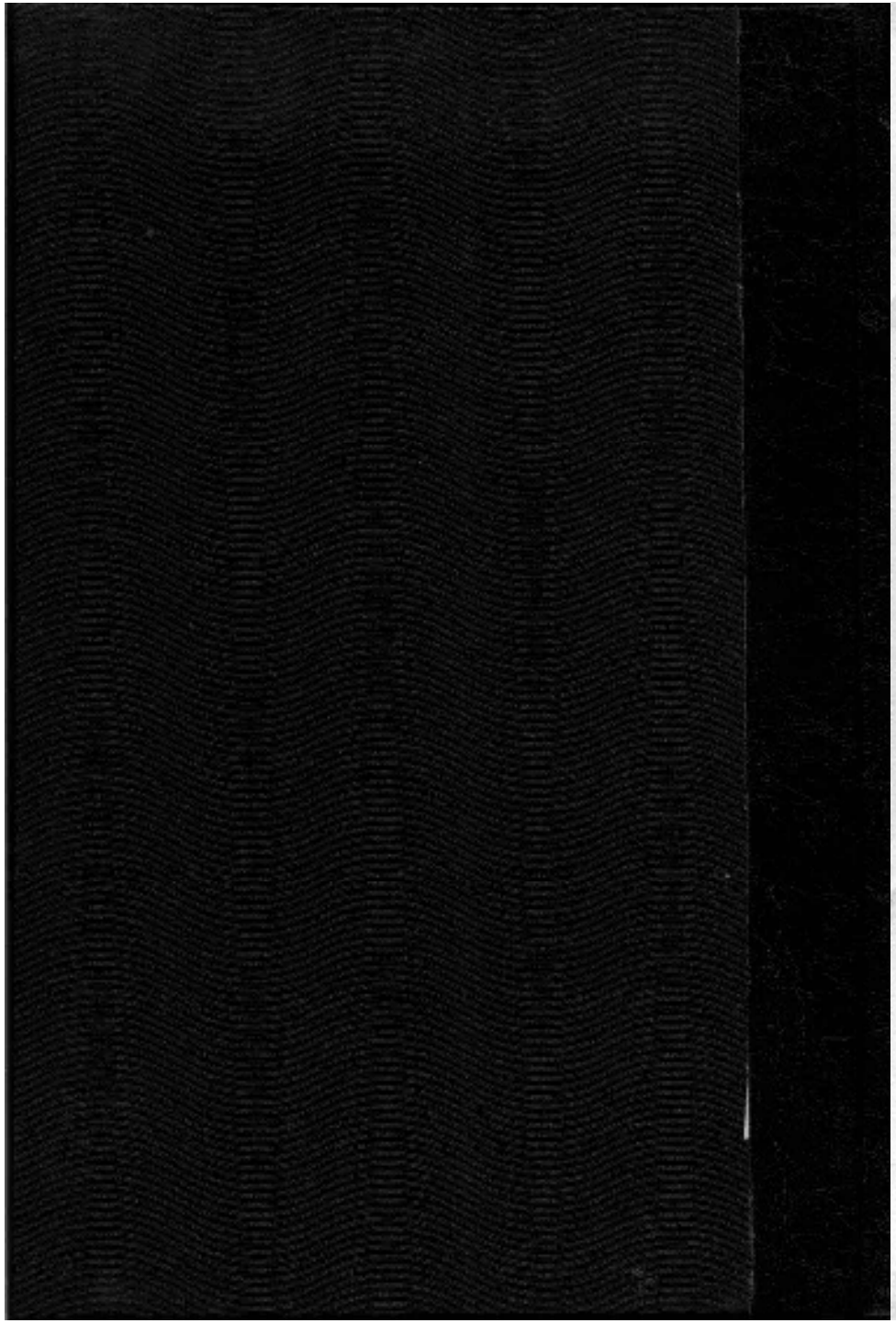

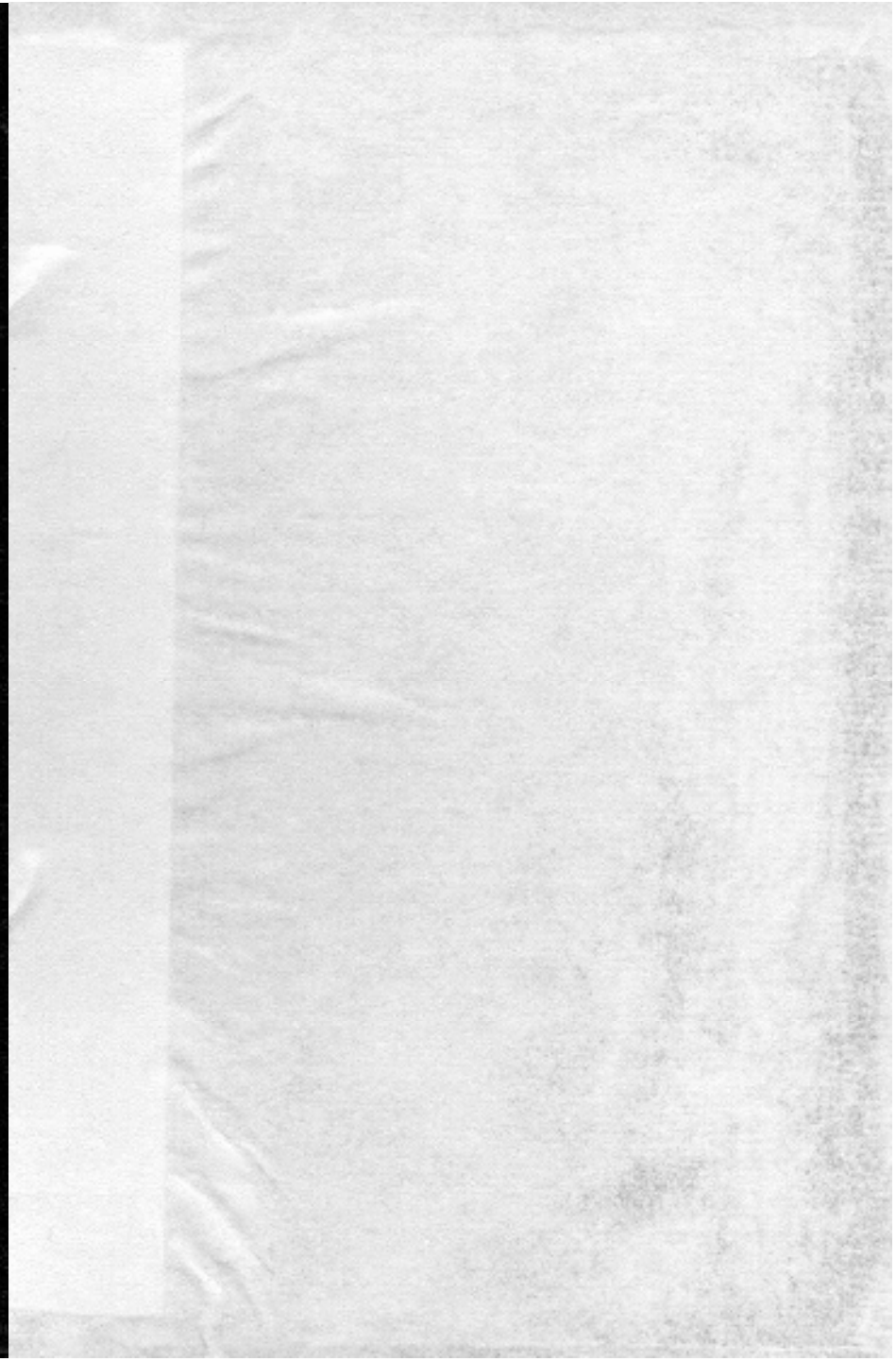

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قائد القوات العلوية

مالك الأشتر النخعي

وقف
السيد عبد الكريم القزويني
لمكتبة الروضة الحيدرية
الفاتحة الى روح صوابه

كان لي كما كنت
لرسول الله « ص »
قاله : امير المؤمنين علي
ابن ابي طالب (ع)

اهدي وانفس ما اهدي الى وطني ... وللعروبة ذات المجد والشرف
آثار اسلافنا الماضين من نهضوا ... جميعة للعلا فاستن بالسلف
وها انا كاتب عن اشتر عبرا ... للناهضين من الاحفاد والخلف
فلتقبل العرب الاحرار تحفتها ... بذكر ابطالها تهدى من النجف

المؤلف

للعالم الفاضل اوحد زمانه

الشيخ عبد الواحد المظفر

ادام الله بقاه بالنبي وآله الطاهرين

طبع على نفقة محمد جواد صاحب المكتبة العلمية

المطبعة العلمية في النجف

سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥١ م

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٥٠٤٧
التاريخ ١٥/٧/٢٠٠٧

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

حياة الأشتر بطل العراق في القرن الاول الهجري .

تقدمة النوال يبدأها بقوله :

كل ذي نهضة وان مات حي ... بجميل الذكرى لدى كل جيل
حي ابطال يعرب ومعد ... كاسي المجد بالحسام الصقيل
ولنشد ذكر مالك باحتفال ... لف بين الاطراء والتبجيل
بطل ضارب حكومة كسرى ... وهرقل ذي التاج والاكليل
وهو سيف الوصي اقطع سيف ... في يديه للفتك والتنكيل

هل تعرف الأشتر مالك بن الحارث المذحجي النخعي ؟ هو رجل الدنيا في عصره بعد ائمة الهدى ورأس اهل العراق والممتاز على اقرانه والمبرز على نظرائه والمقدم عليهم شرفا وفعالا والفائق على مجاريه في السؤدد ومكانته في الزعامة مآثراً وآثارا .

لا تحسب ان الأشتر هو ذلك البطل الشجاع فقط والقائد المظفر والامير الظافر والزعيم الموفق فحسب بل قل بملؤفيك انه حيزت له مزايا عديدة وجمعت فيه صفات كثيرة له في جميعها بعد اهل العصمة الامتياز وفي كلها طار له الصيت الذائع وصار له الصوت الاول في اندية نخار العروبة ودوى في ارجاء المعمورة وخلده له التاريخ الصحيح .

ولكن تلك الخلال الحميدة والصفات الحسنة الجليلة لم تذكر له مجموعة ولم تدون مستقلة على انفرادها فقد كان الاشتر جوادا كريما وخطيبا بليغا هذه خطبة له في الجمل وصفين وسائر المواقف تشهد ببلوغه في الخطابة الدرجة الراقية وكما كان خطيبا بليغا كان شاعرا حماسيا فصيحا يقطر شعره حماسة ويضج شجاعة مع نظامة الالفاظ وجزالتها وحسبك من شعره السينية التي

الروضة الحيدرية
النجف الاشرف
٣

اوردها الطائي في حماسته ولقد شهد له معاوية خصمه الألد بالتقدم واعترف له بالرئاسة وزعامة العراق لما سمع قوله :

قد دنى الفضل في الصباح ولله ... مسلم رجال وللحروب رجال

في ابيات تأتي قال معاوية شعر منكر من شاعر منكر راس اهل العراق وعظيمهم ومسعر حربهم الخ .

وكان للاشتر في العلم الحظ الاوفر والنصيب الاوفى فقيهاً وحديثاً فكان في صف الفقهاء والمحدثين كما كان في صف الشعراء والخطباء وكان مع الجلالة والزعامة ورعا زاهدا ومتقشفا ناسكا يلبس الصوف والشعر نسكا وزهادة وتقدسا وخشوعا وكان لباس الشعر والصوف لباس الزهادة في تلك العصور .

واوقات الاشتر في السلم مقسومة بين العبادة والعلم وبذل المعروف لمستحقه واعطاء النوال لطالبه ، وفي الحرب بين مكافحة الابطال ومصاولة الاقران وتنظيم الجيوش وتدريب الجنود وترتيب الوحدات العسكرية والفيالق المنظمة على حسب ما يقتضيه المنهج الحربي والنظام العسكري الملائم لتلك الازمنة والعصور وبين توصية الزعماء ومشاهير الابطال بما يقتضيه الحزم من اليقظ وترك الاغفال والاهمال لما يوجبه الاحتراس لئلا يتسنى للعدو اقتحام الفرجة التي يتطرق اليها الخلل من ناحية الاغفال فينال بذلك حاجته من التفوق والغلبة .

ثم يعطف على افراد القواد واصراء القوات بالمحافظة على النقاط العسكرية المهمة والتحفظ بالمناطق العسكرية والمحطات المركزية الرئيسية في المواضع الحربية ويعطيهم دستوراً عملياً يعرفهم الكيفية الحربية هجوما ودفاعا تقدما وثباتا في مواضعهم وصراكزهم على عرض الخطوط الحربية او الانسحاب بانتظام ان اقتضت المصلحة الغنية ذلك الانسحاب فبذلك تحفظ القوة معنويها

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لتتمكن ثانيا من صد هجمات العدو .

ثم يعطف على نفسه فعلا وعلى الامراء تعليما يوصيهم بالارفاق بالجنود والعطف على افراد الجيش النظامي ممن لا نباهة له ولا صوت ويؤكد على نفسه وقواده التفقد لأحوال المراكز العسكرية وتفاطها على طول الخط الاماي ومرافبة الخطوط الخلفية حتى لايقع اختلال فى المراكز النظامية فى خطوط الدفاع والهجوم ولا يطرء الاغفال على الاحتراس من الجهة الخلفية وتجب المرافبة لحركات الاعداء والملاحظة لما يدبره الخصم من المكائد التي توجب خطب الجيش .

وللاشتر فى العلم والعفو والاغضاء مالا يجهل قدر فضيلته ولا تحتقر فائدته يرتفعه وحسبك ماتسمعه من مقابلته للسوقي الذي سخر منه واستهزأ فيه بالعفو عنه والصفح عما اجترم اليه ولم يرتضى له بفضيلة العفو عنه وحدها حتى ضم اليها فضيلة الاستغفار له عن جنايته .

قد خلد التاريخ في اسلاف الامم الراقية رجالا سمت مفاخرا وارتفعت مآثرا لكنا لو تصفحنا تاريخ الامم والشعوب لم نجد عظيما كالأشتر مع شدة البطش وشراسة النفس وقوة الشكيمة يقابل من شتمه وسبه ساخرا به مستهزأ فيه بالعفو والصفح مقابلا سخافة السوقة بعفو الملوك لم تجده الا فى النفس العربية الحرة المفموسة بلطافة الروحانية الاسلامية وقداسة الشريعة المحمدية الغراء فانها قد اوحت الى نفوس العرب الاحرار وحي الثقافة والتأديب كما اوحت اليها العروبة الفحة وحي الشموخ والتباذخ هكذا تتصور ان عامة المزايا الفاضلة والصفات الحميدة والكمالات الزاهية فى تلك الشخصيه الفذة المزدان بها ذلك الجثمان الحي بشعوره واحساسه فقالب الاشتر وهيكله الجسماني اطبق على المميزات من الاخلاق وضمت حناياه بين تجاويفها العفة والقناعة والايثار والتواضع وغيرها مما امعنا اليه وفي جميعها

كان قسطه الاوفر ونصيبه الاوفى .

لكن غطى على جميع صفاته صفة الشجاعة والبطولة التى ادهشت العقول وحيرت الافكار واذهلت المفكرين عن تحديد صفتها حتى قال القائل لو ان حالفا يحلف ان الله لم يخلق اشجع من الاشتر الا استاذه علي بن ابى طالب لرجوت ان يكون صادقا هكذا نطق هذا العظيم وفاه بهذه الكلمة فى عصر البطولة وفى قرن الشجاعة ان عصراً يحوي مثل المقداد وعمار والزبير وخالد وسعد بن عبادة وقيس بن سعد في امثالهم مما لوعددنا اسماؤهم خرجنا عن حد الاقتصاد فى التأليف ولم يقاس الواصف للاشتر هذه المغامرة ولم يتجاسر هذا التجاسر الا لباهر شجاعة الاشتر التي ظهرت فى الحروب الاسلامية وقد قيل لرجل ما تقول فى الاشتر فقال ما اقول فى رجل هزمت حياته اهل الشام وهزم موته اهل العراق وهذه الكلمة مستخرجة من قول امير المؤمنين عليه السلام فيه اذل موته اهل المشرق واعز اهل الغرب وكل واصف له لايبلغ قول امير المؤمنين فيه وهل موجود كما لك عقمت النساء ان يلدن مثل مالك لو كان صخرا لكان صلدا ولو كان جبلا لكان فندا وكأنما قدمني قدا كان لي كما كنت لرسول الله (ص) فاذن هو كاشف الكرب عن وجه امير المؤمنين عليه السلام كما ان هو كاشفها عن وجه رسول الله (ص) ولا تحسب ان امير المؤمنين (ع) حين ولاه مصر هذا القطر العظيم والشعب المهم لكونه شجاعا فقط اوذا نجدة وتجربة فحسب بل انتخبه مهذبا وانتقاه مثقفا واختاره واعيا لما اودعه من دقائق الحكم حافظا لما اوصاه به من شؤن الادارة والسياسة فارسله على علم منه به بالتجربة والاختبار عرف منه الكفاءة لما استكفاه من شؤن تلك الولاية العظيمة واصلاح امور ذلك الشعب المتشعب بالاهواء المختلفة من الاراء والمعتقدات فارسله حاكما وحكما بالسلطة والسيطرة وقاضيا بين الخصوم بالشريعة النبوية مفتيا بالاحكام الدينية ومحدثا عن

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

امير المؤمنين (ع) واهل الوثاقه الورعين من صلحاء الصحابة .

فسار يحمل معه العلم والحلم والاناة والرفق والقضاء والفتوى والادارة والسياسة والنجدة والفراسة وسائر ما يحتاج اليه سكنة ذلك القطر الشاسع الاطراف ولضمة الفضائل وجمعه فنون المعارف لم يبعث معه امير المؤمنين ع قاضيا ولا مفتيا ولا محدثا ولا رجلا اداريا ولا شخصا سياسياً فعلمنا انه ولاه كل هذه المناصب ورآه اهلا لها وصالحا لجميع هذه الوظائف وهذه الولايات والوظائف قد جعلها كلها للاشتر ثقة منه باهليته وتيقنا بكفائته .

والا فقد كانت الخلفاء قبله تولى القضا غير من توليه الحرب وتولى القضاء غير من يتولى الجباية هذا عمر بن الخطاب ولى عمار بن ياسر على الحرب وعبد الله بن مسعود على الصلاة وسلمان بن ربيعة الباهلي على القضاء وقرظة ابن كعب الانصاري على الجباية وعثمان بن حنيف على المساحة .

فاصبح الاشتر فى هذه الولاية العظيمة يمثل رجل الفضيلة الكامل فى عصر الكمال الاسلامى وقرن نبوغ الفضل الزاهي ببركة التعاليم النبوية المحمدية والعلوية المرتضوية .

بقلم المؤلف عبد الواحد بن الشيخ احمد مظفر

كلمة تمهيدية اخرى للمؤلف

كلمة تمهيدية بجلة امام حياته المفصلة :

كان الاشتر رحمه الله شيعيا تابعيا من عظماء الشيعة وافاضل الامامية وكان من خواص امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) والمخلص المنجبين من اصحابه الاصفياء ومن امراء شرطة الخميس وقواد جيشه بل هو قائد القواد وامير الامراء وكان قائداً حربيا مظفراً واميراً مدربا موفقا لم ترد له راية ولم يهزم له جيش قاد الفيالق وفتح الفتوحات وتولى قيادة القوات للجيش العلوي فى حروبه المشهورة وكان من ابطال الامة الذين لا يختلف اثنان فى تميزهم على الاقران وهو من اعظم زعماء اهل العراق فى عصره واسيرهم ذكرا بل هو زعيم الزعماء كما اعترف له بذلك خصمه معاوية بن ابي سفيان وقد اتصف بصفات الفضل التي يحرص على نيلها كل عربي فقد كان سخيا حليما وقوراً زاهداً عابداً من العبادة والنسك بمكان مع الزعامه والرئاسة وكان فقيها محدثا وخطيبا مصقعا وشاعراً مفلقا .

وفي الاشتر كمالات عديدة ستقف على جملة منها انشاء الله وانما شهر بالشجاعة فغطت على تلك المحاسن كما شهر الاحنف بن قيس بالحلم وحاتم بالسخاء مع كونهما من الشجعان والشعراء الى غير ذلك من المزايا التى غمرتها هذه المزية السائرة والخصال التي قهرتها هذه الخصلة المشهورة وليس حكم هؤلاء حكم أهل بيت رسول الله (ص) فان مزاياهم متكافئة وصفاتهم متوازنة فالعلم مثلا فى امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وان امتاز على من عدى النبي (ص) من افراد الامه لكنه لم يغلب على بقية صفاته من الشجاعة والفصاحة والسخاء والحلم والزهد وهكذا سائر الصفات التى كل واحدة منها سارت سيرا يعجز الطالب لها وفى كل واحدة منها اصبح

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قدوة للمسلمين وهكذا شأن بقية اهل العصمة .

وغيرهم من سائر الناس انما تسير له خصلة واحدة تغلب عليه فتغطي سائر محاسنه فلا يذكر إلا بها فكأنه لم يتصف إلا بها .

للمؤلف :

تساوت مزايا الفضل في آل احمد ... فما خصلة إلا تقول انا الأصل

سرى علمهم سرى الشجاعة والسخا ... فكان لهم فيها على الامم الفضل

واما سواهم فهو يحوي فضيلة ... يكون له فيها النباهة والنبل

فهذا سخي ذاك في الحرب فارس ... وهذا حليم ليس يغلبه الجهل

فلم تسري في الدنيا لهم غير خصلة ... وعترة خير الرسل تسري لها الكل

(نسب الاشتر)

نسب الاشتر مالك بن الحارث النخعي :

(قال الطبري في التاريخ) الاشتر مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بن مذحج الخ وتابعه الحافظ العسقلاني في الاصابة واسقط المرزباني في معجم الشعراء (١) في نسب الاشتر الحارث الثاني وصحف الآمدي في المختلف والمؤتلف (٢) عبد يغوث بعبد الفوث وهو تصحيف واضح لان يغوث كان صنما لمذحج تعبده في الجاهلية وهو من اصنام نوح الخمسة التي ظفر بها عمرو بن لحي الخزاعي وجاء بها ودعى العرب الى عبادتها وصحف ابن ابي الحديد في شرح النهج تصحيفين صحف جذيمة الى خزيمة وسلمة الى مسلمه واسقط الحارث الثاني وكأنه تبع المرزباني وما ذكر الطبري اثبت واوصل ابن ابي الحديد نسب النخع الى مذحج وصحف ايضا فقال النخع ابن عمرو بن علة بن خالد بن مالك الخ فصحف جلد الى خالد وهذا تصحيف لا مناسبة له ولا وقع للاشتباه فيه قال ابو عمر بن عبد البر في الانباه (٣) النخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ الخ ، وعليه عامة أهل النسب ولعل ابن ابي الحديد تبع ابن قتيبة في المعارف وذكر خالداً وهذا نصه (٤) ولد مذحج مراداً وسعد العشيرة وخالدا وعنسا ثم قال ولد خالد بن مذحج بن علة بن خالد فولد علة عمرا فولد عمرو جسرا وكعبا فأما جسر فهو ابو النخع بن جسر رهط ابراهيم النخعي الخ :

(١) معجم الشعراء ص ٣٦٢ (٢) المختلف والمؤتلف ص ٢٨ (٣) الانباه ص ١١٦ (٤) معارف بن قتيبة ص ٤٨ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

النخع لقب لقب به : اسم النخع جسر قال ابن عبدالبر في الانباه (١) قال ابن الكلبي النخع اسمه جبير بفتح الجيم ابن عمرو وسمي النخع لانه ذهب عن قومه وقال ابن دريد سمي النخع لانه انتخع عن قومه اي بعد عنهم الخ واظنه كان تصحيفا لان عامة النسابين يقولون اسم النخع جسر قال السويدي في السبائك واسم النخع جسر قال ابو عبيدة وسمي النخع لانه انتخع عن قومه اي بعد الخ .

النخع عدناني ام قحطاني : يختلف النسابون في النخع على نحو اختلافهم في تقييف لكنهم في النخع فريقان فريق يقول انهم من العدنانية من اياد فهم دخلاء في مذحج وقيل ان تخوض في هذا نذكر الاساس الذي بنى عليه العرب انسابها

رأي العرب في الانساب واصول النسبة عندهم : بنت العرب انسابها على اسس اربعة : « ١ » الولادة وهذا اقوى اساس واحكمه وعليه تجري احكام شريعة الاسلام في الحل والحرمة والمواريث وغير ذلك وهو النسب الصريح والاصل الصحيح واليه الاشارة بقوله تعالى « وجعلكم شعوبا وقبائل وقوله «ص» ما افترقت فرقتان الا كنت في خيرهما « ٢ » الحلف وذلك بان يترك الرجل عشيرته ويحالف غيرها لاسباب منها الهجرة من بلاده الى من حالفهم لغرض من الاغراض نحو ان يصيب دما في قومه فيخاف منهم او تكثر جرائره فينفونه اوتقع حرب بين بطن من قبيلته وبين بطونها الاخرى فلا يقوى هذا البطن على تلك البطون فيحالف طائفة اخرى يتقوى بهم على قومه او يفارق البطن عشيرته طلبا للريف او يسافر الرجل لتجارة فيقيم ويتزوج فيهم فينسب اليهم بالحلف تارة وبالدخالة اخرى وينتسب الى عشيرته اونة اخرى وهذا كثير في العرب كحذيفة بن اليمان العبسي حليف الانصار وقيس بن المكشوح الاحمسي حليف مراد وامثالهم كثير ومن القبائل بجيلة وخثعم وعك فانها عدنانية قد انتسبت في قحطان

(١) الانباه ص ١١٧ ، ٢) سبائك الذهب ص ٣٩ .

في قبائل اخرى ندع ذكرها للاختصار ومن هذا القبيل النخع عند من نسبهم الى اياد ، « ٣ » الولاء وهذا انما يكون بالعتاقة فان العتيق يكون ولاؤه لمن اعتقه وينسب اليه على عادة العرب وقد قررته الشريعة الاسلامية قال النبي (ص) مولى القوم منهم وعلى هذا جرى كثير من الفقهاء على حرمة الصدقة على موالي العلويين والطاهريين لهذا الحديث ومن هنا وردفي حق سلمان الفارسي (سلمان منا اهل البيت) لانه عتيق رسول الله (ص) اشتراه من اليهود فاعتقه ومن هذا القسم كثير عند العرب كمهار بن ياسر مولى بني مخزوم واصله عنسي من مذحج ومن اراد ان يعيب عمارا من جفات العرب اطلق عليه اسم العبد ومن هذا القسم زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله « ص » وفي محدثي اهل السنة البخاري ينسبونه الجعفي لانه مولى جعفل وهو فارسي او تركي وفي محدثي الشيعة زارة بن اعين ينسبونه الشيباني وهو مولى لبني شيبان واصله فارسي وامثال ذلك كثير وقد توسعت العرب في الاسلام فاطلقت اسم الموالي على عموم العجم من دون فرق بين الحر الاصلي منهم ومن اعتق فتحرر وكذلك اطلقوا عليهم اسم الحمراء ايضا لحمرة الوان العجم ولهذا يقول الأشعث بن قيس لامير المؤمنين « ع » غلبتنا عليك هذه الحمراء . « ٤ » التبني وهو الادعاء ويقال لمن ثبت نسبه بهذا السبب الدعي والملصق ويكنى عنه بقدح الراكب والزنيم ايضا وكان التبني شائعا في الجاهلية فابطلته السنة المحمدية وهدمه القرآن المجيد فقال تعالى « ما جعل الله ادعياءكم ابنائكم » وقال « ادعوهم لابائهم فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم » فرد القسم الذي لا يعرف نسبه الى قسم الولاء وقد كان جماعة من افاضل الصحابة ملحقون بالتبني منهم المقداد بن عمرو البهراني من قضاعة كان يسمى بابن الأسود لان الاسود بن عبد يغوث الزهري قد تبناه في الجاهلية يعني جعله ابنا له ادعاء ويقال له الكندي لان أباه كان حليفا لكندة فلما هدم القرآن تلك القاعدة الجاهلية انتمى الى اصله

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والى ابيه الحقيقي فقيل له لمقداد بن عمرو البهراني وزيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي اسر صغيراً فبيع بعكاظ فاشتراه رسول الله « ص » ثم تبناه لقصة مدرجة في ترجمته فكان يدعى ابن محمد فلما هدم القرآن تلك القاعدة انتسب الى ابيه وقومه وكلاهما من قضاعة هذا كلبي وذاك بهراني ثم غلب الشقاء على الناس في الاسلام فعارضوا نص القرآن بامضاء سنة الجاهلية ورفضوا نص رسول الله بامضاء حكم الفسقة فادعوا زياد بن سمية ابن العبد عبيد عيد بني علاج وسموه ابن ابي سفيان وقد قال القرآن ماسمعت وقال النبي « ص » (الولد للفراش وللعاهر الحجر) وادعوا عباد بن زياد وهو اسن من زياد المدعي بنوته وادعوا عبيد الله بن مرجانة وكان اعجمياً يرتضخ لكنه فارسية كما نص عليها جماعة من العلماء .

هذه امور اربعة اثبتناها لنعرف ان الخلاف بين القائلين بان النخع من اياد وبين القائلين انهم من مذحج من الاختلاف الجوهري ونزاعهم من النزاع الدائر بين النفي والاثبات وتنازعهم هل هم ناقلة في مذحج او متأصلة والا فقد اتفقوا ان نسبتهم الاخيرة في مذحج وقد ذكر الزاعمون انهم ناقلة قصة مطولة اوردها الحموي في معجم البلدان في الطائف والاصبهاني في الاغاني في ترجمة اسماعيل ابن طريح لكن الفريق الاخر عم جمهور النسابين وعمدهم يجعلونهم من المتأصلين في نسب مذحج :

دليل الناسبين النخع الى اياد بن نزار : قال المبرد في الكامل (١) قال يحيى ابن نوفل يهجو العريان بن الهيثم بن الاسود النخعي وكان العريان تزوج زياد من ولد هانى بن قبيصة وكانت عند الوليد بن عبدالملك فطلقها فتزوجها العريان وكان ابن نوفل له هجاء فقال :

اعريان ما يدري امرء سيل عنكموا ... أمن مذحج تدعون ام لاياد
فان قلتموا من مذحج ان مذحجا ... لبيض وجوه غير جد جماد

(١) كامل المبرد ص ١٠٩ ج ٤ مطبعة النهضة بمصر .

وانتم صغار اقحام حدل كانما ... وجوهكموا مطلية بسواد
فان قلتم الحي اليمانون اصلنا ... وناصرنا في يوم كل جلاد
فطول يا بؤ من معد ونزوة ... نزت بإياد خلف دار مراد
لعمر بني شيبان اذ ينكحونه ... زياد لعمري قصروا بزياد
ابعد وليد انكحوا عبد مذحج ... كمنزية عيرا خلاق جواد
وانكحها لا في كفاء ولا غني ... زياد اضل الله سعي زياد

قوله امن مذحج تدعون ام لاياد فبنو مذحج بنو مالك بن زيد بن عريب ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان واياد بن نزار بن معد ابن عدنان ويقال ان النخع وثقيفا اخوان من اياد ثم قال المبرد (١) وقالت اخت الاشتر وهو مالك بن الحارث النخعي وهذا الشعر رواه ابو اليقظان وكان متعصبا

ابعد الاشتر النخعي ارجو ... مكاثرة وتقطع بطن واد
وتصحب مذحجا بالخاء صدق ... وان تنسب فنحن ذرى اياد
ثقيف عمنا وابو ابينا ... واخوتنا نزار أولوا السداد

انتمى وذكر الشعر السابق واللاحق ابن ابي الحديد في شرح النهج (٢) وذكر ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني (٣) من قصة مطولة وفيها ان النخع وثقيفا من اياد فثقيف قيس بن منبه بن النبيت بن يقدم بن افصى بن دعمي ابن اياد والنخع بن عمرو بن الطمثان بن عبد مناة بن يقدم بن افصى نفرجا ومعهما عنز لها لبون يشربان لبنها فعرض لها مصدق ملك اليمن فاراد اخذها فقالا له انما نعيش بدرها فابى ان يدعها فرماه احدهما فقتله ثم قال لصاحبه انه لا يحملني واياك ارض فاما النخع فمضى الى بيشة فاقام بها ثم ساق القصة في اخبار ثقيف مطولة وكذلك في معجم البلدان في الطائف ووادي وج ساقها مطولة وفيها لحوق النخع ببيشة ويجزم ابو عبيد البكري بنسبتهم الى

(١) كامل المبرد ص ٢٠٣ ج ٤ (٢) شرح نهج البلاغة ص ٤١٦ ج ٣
(٣) الاغاني ص ٧٤ ج ٤ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اياد فيذكر في تفرق القبائل العدنانية عن ارض الحجاز ولفظه في مقدمة معجم ما استعجم (١) وتيامنت النخع وهو جسر بن عمرو بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن افصى بن دعمى بن اياد بن نزار فنزلت ناحية بيشة وما والاها من البلاد واقاموا بها فصاروا مع مذحج في ديارهم وانتسبوا اليهم فقالوا النخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن ادد بن زيد وثبتوا على ذلك الاطائفة منهم فانهم يقرون بنسبهم ويعرفون اصلهم فقال لقيط بن يعمر الايادي وهو يحضض اياداً على كسرى ويعيرهم صنيعهم :

ولا يدع بعضكم بعضا لمائبة كما تركتم باعلى بيشة النخعا

قال هشام وقد رويا في النخع وثقيف وفي نزولها منازلها بايدانها حديثا اخر قال هشام ام النخع بنت عمرو بن الطمثان وهذا خلاف قولهم وام ثقيف بنت سعد بن هذيل بن مدركة ، قال هشام - دثني الكلبي عن ابي صالح قال ذكر ثقيف والنخع يوما عند ابن عباس فقال ان ثقيفا والنخع ابنا خالة وانهما خرجا تجمة ومعهما غنيمة لهما فيها شاة منها جدي لها فعرض لهما مصدق لبعض ملوك اليمن فاراداها على اخذ الشاة ذات الجدي فقالا له خذ منها ما شئت فقال هذه الشاة الحلوب قالا انما نعيش ونعيش جديها منها فخذ غيرها قاني قال فنظر احدهما الى صاحبه وهما بفناه فاشار احدهما الى صاحبه ان ارمه فرماه بسهم فشق قلبه ثم قال احدهما لصاحبه والله ما تحملنا ارض واحدة فاما ان تغرب واشرق واما ان تشرق واغرب فقال قمي وهو ثقيف فاني اغرب وقال النخع واسمه جسر فاني اشرق قال فمضى النخع حتى نزل بيشة باليمن فلما كثر ولده تحول الى الدثنية الخ وهذا القدر كاف وممن جزم بهم انهم من مذحج السلطان الملك الاشرف عمر بن يوسف بن رسول نسبهم الى مذحج في طرفة الاصحاب الى مذحج مرتين جاريا بذلك راجعه (٢)

(١) معجم ما استعجم ص ٦٣ ج ١ ، (٢) طرفة الاصحاب ص ٩ وص ٣٥

والمبرد صاحب الكامل في نسب عدنان وقحطان (١) وابن عبد البر صاحب الاستيعاب في الانباه (٢) وابن قتيبة في المعارف (٣) وابن عبد ربه المالكي في العقد الفريد (٤) وابن خلدون في العبر (٥) في اخرين .

بطون النخع واخذاها : نلخص ذلك عن سبائك الذهب (٦) للسويدي البغدادي ، بنو بكر بن عوف بن النخع ويعرفون ببكر النخع منهم يزيد بن المكشوح وعلقمة بن قيس (٧) ، بنو آدم بن عرف اخوة بكر منهم الحسن ابن عبدالله الفقيه ، بنو هلال بن عمرو بن جشم بن النخع منهم العريان (٨) ابن الهيثم بن الاسود ، بنو سعد بن مالك بن النخع ستة بطون ، بنو حارثة ابن سعد منهم ابراهيم بن يزيد الفقيه والحجاج بن ارطاة ، بنو صهبان بن سعد منهم كيل بن زياد الذي قتله الحجاج ، بنو وهيل ويقال وهبيل منهم شريك بن عبد الله القاضي . بنو جذيمة بن سعد منهم الاشتر النخعي الذي ولاه امير المؤمنين علي بن ابي طالب مصر وكتب له بذلك عهدا وهو من ابلغ العهود ، بنو عامر بن سعد ، بنو قيس بن سعد ثم بنو كعب بن قيس بن سعد ، بنو عدا بن كعب بن قيس قال ابو عبيد وايام عدى الاشعث بن قيس الكندي وكانوا اخواله بقوله :

ابي ذو التاج قيس فاعلمنه واخو لي الملوك بنو عداه

انتمى ، وتنتمي اليهم في هذه العصور قبائل وبيوت في البيوت العلمية

(١) نسب عدنان ص ١٩ ، (٢) الانباه ص ١١٦ ، (٣) ص ٤٨ ، (٤) ص ٢٦ ج ٢ ، (٥) ص ٣٥ ج ٢ ، (٦) ص ٤ ، (٧) علقمة ابن قيس الفقيه التابعي شهد هو واخوه ابي صفين مع امير المؤمنين ع فقتل ابي وقطعت رجل علقمة وكان يتمنى ان تكون الصحيحة قد قطعت ايضا احتسابا للاجر (٨) كان على شرطة زياد وكان اموي الراي هو وابوه الهيثم ولكن ام الهيثم كانت شيعية وهي التي احرقت جسد اللعين ابن ملجم المرادي .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في النجف الاشرف آل كاشف الغطاء بيت العلم والرياسة وسيدهم اليوم حجة الاسلام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء صاحب المؤلفات السائرة ومن البيوت العلمية في النجف المنتسبة اليهم وهم مالكية آل الشيخ راضي بيت شهير بالعلم اما القبائل فكثيرة قال ابراهيم في الغراف والمشخاب وناحية المدينة ينتمون الى ابراهيم ومن اولئك آل بدران بطن مشهور ينتسبون الى آل ابراهيم وهم اليوم في المدينة ناحية تابعة لقضاء القرنة وفي نواه البصرة في ناحية الهارثة وبنو مالك كما يزعم عرب الغراف آل رميض وغيرهم كلهم يدعون الانتساب الى مالك ولا اعرف صحة ذلك فانا لا اثبته ولا انفيه .

منازل النخع في الجاهلية : هي كما سمعت بيشة والدثنية من اليمن المتاخمة للحجاز ونجد ونعرف اليوم ببلاد عسير وهي تابعة في هذا الوقت للحكومة السعودية الوهابية قال الحموي في معجم البلدان « ١ » بيشه بالهاء اسم قرية غناء في واد كثير الاهل من بلاد اليمن وقال القاسم بن معن المسعودي بثشة وزثنة مهموزتان ارضان وقال عقيل وجميع بني خفاجة يجتمعون ببيشه وزثنة وهما واديان بيشة تصب من اليمن وزبنة تصب من سراة تهامة وبين بيشة وتبالة اربعة وعشرون ميلا وبيشة من جهة اليمن وعن ابي زياد خبر ديار بني سلول بيشة وهو واد يصب سيله من الحجاز حجاز الطائف ثم ينصب في نجد حتى ينتهي في بلاد عقيل وفي بيشة بطون من الناس كثيرة من خثعم وهلال وسواءة بن عامر بن صعصعة وسلول وعقيل والضباب وقريش وهم بنو هاشم لهم المعمل ، وبيشة من عمل مكة مما يلي اليمن من مكة على خمسة مراحل وبها من النخل والفسيل شيء كثير وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الاسد الخ وقال في الدثنية « ٢ » بفتح اوله وكسر ثانيه وياء مثناة من تحت ونون ناحيه بين الجند وعدن وفي حديث ابي سبرة النخعي قال اقبل رجل من اليمن فلما كان ببعض الطريق نفق حماره فقام وتوضأ ثم صلى

« ١ » معجم البلدان ص ٣٣٤ ج ٢ « ٢ » ص ٣٦ ج ٤ .

ركعتين ثم قال اللهم اني جئت من الدثنية مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك وانا اشهد انك تحي الموتى وتبعث من في القبور لا تجعل اليوم لاحد علي منة اطلب اليك ان تحيي لي حماري قال فقام الحمار ينفض اذنيه الخ ورواه الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى وسمى الرجل نباتة بن يزيد النخعي انظره ص ٦٩ ج ٢ حديثها يذكر سليمان بن سحمان الوهابي في تتمة تاريخ نجد للالوسي الحنبلي الوهابي ونصه (١) في الكلام على مقاطعة عسير .

وبيشة فهي من أحسن القبائل واوسعها واكثرها نخيلا واكثر اهل الحجاز اذا حصلت ثمارهم يأتون اليها من كل البلاد ويقيمون فيها اياما وليالي لخصبها وسعة ارزاقها وضيافة من يفد اليهم من اولئك القبائل ثم يختارون منها ما يعيشون به برهة من الزمان وقراهم فيها بلغنا تنيف على اربعين قرية وفيها قبائل شتى الى أن قال وفي اعلى بيشة قبائل وقرى في القبائل الساكنين فيها اكلب من خثعم او من بني تغلب وبلادهم يقال لها الثنية (٢) ويليهم من القرى تبالة الخ .

نادرة تدل على تمكن العرب في الوصف وذلك لبلاغتهم الطبيعية قال القالي في اماليه (٣) بعد الاسناد عن ابن الكلبي عن ابيه عن اشياخ من بني الحارث ابن كعب قالوا اجدبت بلاد مذحج فارسلوا روادا من كل بطن رجلا فبعث زبيد رائداً وبعث النخع رائداً وبعث جعفي رائداً فلما رجع الرواد قيل لرائد بني زبيد ما وراءك قال رأيت ارضا موشمة البقاع ناعمة النقاع مستحلسة الغيطان ضاحكة القربان راعدة واحري بوقائها راضية ارضها عن سمائها ، وقيل لرائد جعفي ما وراءك قال رأيت ارضا جمت الماء اقطارها فامرعت اصبارها وديمت اوعارها فبطنانها عمقة وظهرانها غدقة ورياضها مستوسقة

(١) تاريخ نجد ص ١٢٦ (٢) الثنية تصحيف دثنية (٣) امالي القالي ص ١٨٠ ج ١ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ورفاقها رائخ رواطئها سائخ وماشيها مسرور ومصرمها محسور ، وقيل للنخعي ما وراءك فقال مداحي سيل رزهاء ليل وغيل يواصي غيـلا قد ارتوت اجرازها ودمث عزازها والتبدت اقوازها فراعاها أتق وراعيها ـ ق فلا فضض ولا رمض بازيها لا يفزع وواردها لا ينكع فاختاروا مراد النخعي الخ

وبهذا المقدار كفاية فان الكتاب لم يوضع للقبيلة فيستوفى اخبارها .

منازل النخع في الاسلام : انهم نزلوا الكوفة واختطوا بها مع من اختط من العرب بعد ان شهدوا مغازي الشام وقد ذكرنا خططهم في الكوفة في كتابنا سفير الحسين مسلم بن عقيل فاطلبه فانه مطبوع ثم فرقتهم الحروب والوقائع العظيمة التي وقعت في الاسلام وهم اليوم على ما ينتسبون بنو مالك وبنو ابراهيم قد شغلوا اراضي كثيرة في كثير من الويه العراق ففي لواء كربلاء في النجف وفي لواء الديوانية في قضاء الشامية ولواء المنتفك ولواء البصرة وهم اذا صحت هذه النسبة قبائل مهمة فان بني مالك تلث من اثلاث المنتفك كما ان آل ابراهيم في ثلث الأجوف اليوم .

ولادة مالك الاشتر : علمنا انه ولد في عصر الجاهلية ولا نعلم الوقت الذي ولد فيه ولا خفاء في ان التاريخ العربي الجاهلي كان في معزل عن ضبط الولادات والوفيات معها كانت الشخصيات ولما جاء التاريخ الاسلامي بنى تواريخ الاسلاميين الجاهليين على اسس غير محكمة وقواعد غير مضبوطة فيعبر عن الشخص الجاهلي الاسلامي بلفظ له ادراك ان لم يكن شاعراً يريد ادرك البعثة النبوية المحمدية مسلماً ويعبر عن الشاعر الاسلامي الجاهلي بلفظ المخضرم ان كان شاعراً هكذا اوحت الينا مصادر التاريخ في ترجمة الاشتر بهذين اللفظين ، لكنا لم نعرف على الدقة والتحقيق اكان من الذين ولدوا قبل البعثة او عندها او بعدها كل ذلك محتمل غير اني استدل على ولادته قبل البعثة بقوله لام المؤمنين عائشة زوجة النبي « ص » لما عاتبته في شأن ابن اختها عبدالله بن الزبير لما صرعه يوم الجمل :

فنجـاه مني اكله وشبابه وانني شيخ لم اكن متماسكا

وعبدالله بن الزبير الذي ذكر ان شبابه نجاه منه هو ابن ٣٦ سنة لانه ولد عام الهجرة بالاتفاق ووقعة الجمل سنة ٣٦ والشيخ الذي لا يتماسك لابد أن يكون سنه بالضعف من سن ذاك الشباب فيبلغ تقدير عمره ٧٠ سنة وعليه فلابد ان يكون قد ولد قبل البعثة لان المدة من سنة البعثة الى وقعة الجمل ٥٩ سنة وهذه المدة وان كان الانسان بها شيخاً لكنه لا يكون غير متماسك فلابد ان يكون قد تجاوزها فثبت بهذا الشعر ان الاشتر قد ادرك البعثة بالغا وهذا دليل واضح لمن لم يرد الا الحقيقة ، قال الحافظ العسقلاني الشافعي (في تهذيب التهذيب) ص ١١ ج ١٠ مالك بن الحارث بن عبد يغوث ابن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن مالك بن النخع النخعي الكوفي المعروف بالاشتر ادرك الجاهلية الخ وفي (الاصابة) له ص ٤٨٢ ج ٣ بعد النسب له ادراك وكان رئيس قومه .

نشأة الاشتر : لا شك انه نشأ في بلاد قومه التي عرفتها من اليمن ثم هاجر منها في الفتوحات الاسلامية ايام ابي بكر الى الشام وشهد حروب المسلمين والرومان ثم توجهوا الى العراق في حرب القادسية فلما مصرت الكوفة نزلها الاشتر وقومه واختطوا بها ، قد كان انتزاح القبائل اليمانية لما استنفرهم ابوبكر لقتال الروم في ايام خلافته بنسائهم وذراريهم وتجمع بطون القبيلة تحت امرة رئيس منها مشهور وان كان لكل بطن منها رئيس فكانت مذحج باسرها ملتفة تحت لواء قيس بن المكشوح حليف مراد وتحت قيادته وللنخع رئيس منهم غير الاشتر انتظر قصته قريبا وهذا ما نذكره عن بعض المؤرخين حيث ان مالك الاشتر لم تظهر بعد شجاعته ولم يسر صيته قال الازدي في فتوح الشام ص ٧ فقدمت حمير على ابي بكر ومعها نساؤها واولادها ففرح ابو بكر بمقدمهم فقال ابو بكر عباد الله الم نكن نتحدث فنقول اذا اقبلت حمير تحمل اولادها ومعها نساؤها نصر الله المسلم وخذل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

للشرك فابشروا ايها المسلمون قد جائكم الله بالنصر قال وجاء قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي وكان من فرسان العرب في الجاهلية ومن اشرافهم واشدائهم ومعه جمع كثير من قومه حتى اتى ابا بكر فسلم عليه ثم جلس اليه فقال لابي بكر ما تنتظر ببيعة هذه الجنود فقال له ابو بكر ما كنا ننتظر الا قدومكم قال فقد قدمنا فابعث الناس الأول فالأول فان هذه البلدة ليست ببلدة خف ولا كراع الخ ، وفي فتوح الشام للواقدي ص٣ ج ١ وسارت حمير بكتائبها واموالها واقبلت من بعدها كتائب مذحج اهل الخيل العتاق والرماح الدقاق وامامهم سيدهم قيس بن هبيرة المرادي رضي الله عنه الى ان قال فتقدم بكتائبه وموالبه الخ ، وسيأتي قريباً انشاء الله ان عمر ابن الخطاب أمد سعد بن ابي وقاص بجماعة فيهم الأشتر والمكشوح ومر ذاك الوقت توطنوا في الكوفة قال العسقلاني في التقريب ص٣٤٤ بعد النسب الملقب بالأشتر بالمعجمة الساكنة والمثناة المفتوحة مخضرم نزل الكوفة بعد ان شهد اليرموك وغيرها الخ

كنية مالك الاشتر والقابه : له كنية واحدة وهي ابو ابراهيم ولقبان سائران الاشتر وكبش العراق .

الاشتراك في هذا اللقب : عرفت جماعة من العرب بلقب الاشتر .

١ ـ مالك بن الحارث وهو المترجم هاهنا .

٢ ـ بشر بن عبدالله العامري الهلالي وله قصة مع معشوقته يذكرها الجاحظ وغيره

٣ ـ الاشتر بن عامر اخو بني ولاد ثم من بني عوف بن ولاد من تيم الرباب

٤ ـ الاشتر الحامي من بني حامه من ازد عمان ولها شعر عند الامدي

٥ ـ عبدالله الاشتر بن محمد قتيل احجار الزيت بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) يعرف بالكابلي لانه هرب الى كابل فقتل هناك وقد لقب به اخرون تركنا ذكرهم للاختصار .

السبب في تلقيب مالك بن الحارث بالاشتر : قال المرزباني في معجم الشعراء

ص٣٦٣ ط مصر ضربه رجل من اياد يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قيحا الى عينه فشتر به الخ وتبعه الحافظ العسقلاني في الاصابه وشرحه المفصل هو ما ذكره ابو اسماعيل محمد بن عبدالله الازدي البصري في كتابه المسمى فتوح الشام ص ٢١٤ ط كلكته تحت عنوان الاشتر ومبسرة بن مسروق بعد الاسناد ان الاشتر قال لأبي عبيدة ابعث معي خيلا في آثار القوم وامضي نحو ارضهم فان عندي جزاء وغناء فقال له ابو عبيدة والله انك لخليق لكل خير فبعثه في ثلثمائة فارس وقال له لا تتباعد في الطلب وكن مني قريباً فخرج الاشتر فكان يغير منه على مسيرة اليوم واليومين ثم ان أبا عبيدة دعا مبسرة بن مسروق (عبسي) فسرحه في اثر فارس فر على قنسرين فاخذ ينظر اليها في الجبل فقال ما هذه فسميت له بالرومية فقال انها لكذلك والله لكانها قن نسر ثم انه مضى في آثار القوم حتى قطع الدروب وبلغ ـ الاشتر ـ انه قطع الدروب فمضى قبله ١) حتى لحقه واذا ميسرة مواقف لجمع من الروم وهم كثير وكان ميسرة في اثر فارس من المسلمين وكان اولئك اكثر من ثلاثين الفا من الروم وكان ميسرة اشفق على من كان معه وخاف على نفسه وعلى اصحابه الهلاك فانهم لكذلك اذ طلع عليهم الاشتر في ثلثمائة فارس من النخع فلما رآهم اصحاب ميسرة كبروا وكبر الأشتر واصحابه وان الاشتر حمل من مكانه ذلك عليهم وحمل ميسرة عليهم فهزموهم وركب بعضهم بعضاً فهزموهم وركبوا رؤسهم وتبعتهم خيل المسلمين يقاتلونهم حتى انتهوا الى موضع مرتفع عن الارض فارتقوا فوقه ونزلت رجالة منهم الى خيل المسلمين فرموهم فوقف المسلمون حين رمتهم رجالة الروم فقال بعض المسلمين لبعض دعوهم فانهم قد انهزموا واخذت الروم يعضون على وجوههم ، واقبل عظيم من عظمائهم مع رجالة كثيرة من رجالتهم فجعلوا يرمون خيل المسلمين وهم على مكان مشرف قال فان خيل المسلمين لمواقفتهم

(١) قبله بفتح القاف وكسر الباء اي قصد جهته التي قصدها .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اذ نزل للمسلمين رجل من الروم اعرعظيم جسيم فتعرض للمسلمين ليخرج اليه رجل منهم فوالله ما خرج اليه رجل منهم فقال لهم الاشتر ما منكم من احد يخرج الى هذا العلج فلم يتكلم أحد قال فنزل الاشتر ثم خرج اليه فمشى كل واحد منهما الى صاحبه وعلى ـ الاشتر ـ الدرع والمغفر وعلى الرومي مثل ذلك فلما دنى كل واحد منهما الى صاحبه شد عليه الاشتر فاضطربا بسيفيهما فوقع سيف الرومي على هامة الاشتر فقطع المغفر واسرع السيف في راسه حتى كاد ينشب في العظم ووقعت ضربة ـ الاشتر ـ على عاتق الرومي فلم يقطع سيفه شيئاً من الرومي إلا انه قد ضربه ضربة شديدة اوهنت الرومي واثقلت عاتقه ثم تحاجزا فلما رأى ـ الاشتر ـ ان سيفه لم يصنع شيئا انصرف فمشى على هينته حتى اتى الصف وقد سال الدم على لحيته ووجهه وقال اخزاك الله سيفا وجاء اصحابه فقال علي بشيء من حناء فاتوه به فوضعه على جرحه ثم عصب بالخرق ثم حرك لحيته وضرب اضراسه بعضها ببعض ثم قال ما اشد لحيي واضراسي ورأسي ثم قال لابن عم له امسك سيفي هذا واعطني سيفك فقال له دع سيفي رحمك الله فاني لا ادري لعلي احتاج اليه فقال اعطنيه ولك ام النعمان يعني ابنته قال فاعطاه اياه فذهب ليعود الى الرومي فقال له قومه نشدك الله ان تتعرض لهذا العلج فقال والله لاخرجن اليه فليقتلني او لاقتلنه فتركوه فخرج اليه فلما دنى منه ـ الاشتر ـ شد عليه وهو شديد الحنق فاضطربا بسيفيهما فضربه الاشتر على عاتقه فقطع ما عليه حتى خالط السيف رئته ووقعت ضربة الرومي على عاتق الاشتر فقطعت الدرع ثم انتهت ولم تضره شيئاً ووقع الرومي ميتاً وكبر المسلمون ثم حملوا على صف رجالة الرومي فجعلوا ينفضون ويرمون المسلمين وهم من فوق فما زالوا كذلك حتى امسوا وحال بينهم الليل فلما امسوا نادى مناد العبسي بالصلاة فلما اقام تقدم ميسرة العبسي فصلى باصحابه وتقدم الاشتر باصحابه فصلى بهم فلما انصرف جاء قنان بن دارم العبسي فقال يا صاحب هذه الخيل ما منعك

ان تصلي مع الامير ميسرة بن مسروق فقال الاشتر ومن ميسرة بن مسروق فقال ميسرة بن مسروق العبسي فقال الاشتر وما عبس وما بنو عبس فقال سبحان الله وما تدري من عبس وما بنو عبس فقال الاشتر لا والله ما ادري فقال له العبسي فمن انت قال انا مالك بن الحارث قال ثم انت قال من النخع فقال العبسي والله ان سمعت بالنخع قط قبل الساعة فغضب ناس من اصحاب الاشتر فقال الاشتر لاصحابه مهم تغضبون اما انا والله ما كذبت وما اظن الرجل إلا صادقا ثم قال الاشتر منعني يا عبدالله من الصلاة معكم اني وليت هذه الخيل ولم يؤمر علي انسان ولم اؤمر بطاعة أحد ولست مؤمراً من لم اؤمر بطاعته ولا يريد الامارة علي من لم اؤمر بطاعته وانا ان صليت الغداة انصرفت انشاء الله فلما صلى الغداة وقد باتوا لياتهم يحارسون فلما اصبحوا وصلى الغداة ارتحل الاشتر باصحابه ومضى ميسرة حتى بلغ مرج القبائل وهي ناحية انطاكية والمصيصة ثم انصرف راجعا وكان ابو عبيدة قد اشفق عليهم حين بلغه انهم قد ادربوا وجزع جزعا شديدا وندم على ارساله اياهم في طلب الروم قال فانه لجالس في اصحابه مستبطئي قدومهم متأسفا على تسريحه اياهم اذ اتي فبشر بقدوم الاشتر وجاء الاشتر فحدثه بحديث ما كان من امرهم ولقائهم ذلك الجيش وهزيمتهم اياهم وما صنع الله لهم ولم يذكر مبارزته الرومي وقتله اياه حتى اخبره غيره الى آخر القصة وسيجيء بعض الاقوال في صفة الاشتر .

لقبه الثاني كبش العراق : نحن في كتابنا « بطل العلقمي » قد شرحنا هذا اللفظ شرحا وافيا فراجعه وان ذكرهنا ما لا بد منه مراعاة للاختصار

قال الفيروزابادي في القاموس الكبش الحمل اذا انتهى واذا خرجت رباعيته جمع أكبش وكباش واكباش وسيد القوم وقائدهم انتهى لاخفاء انه استعارة لا حقيقة حيث ان قطيع الضان يتبع الكبش كذلك الاتباع والجنود يتبعون الرئيس والقائد وقد توسعوا في الاستعارة فاطلقوه على

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كل داع متبوع في غيه او رشده وفي الحديث النبوي (يلحد بمكة كبش اسمه عبد الله عليه نصف عذاب اهل النار) وهذا الكبش الملحد هو عبدالله ابن الزبير كما ذكرنا النصوص على ذلك في كتابنا (الميزان الراجح) وروى الحديث كثير من حفاظ اهل السنة (١) .

الملقبون بالكبش اربعة : ثلاثة من قريش وواحد من مضر وان صححنا نسبة النخع الى اياد كانوا كلهم من مضر .

١ ـ ابن الزبير لقبه به رسول الله «ص» في الحديث المشهور وهو لقب ذم لا مدح كالقاب الثلاثة الآتي ذكرهم لانه كان داعي ضلالة ولا يستريب مطلع من مريديه انه قطع الصلاة في خطبه على النبي « ص » ثم يصلي عليه اربعين جمعة حتى هاج الناس عليه فاعتذر باقبح عذر بان له اهيل سوء يلعنون اعناقهم عند ذكره فلا اريد ان اسرهم .

(١) رواه ابن قتيبة ويتفقه للشافعي اولا ثم لابي نور ثانيا في تاريخه الامامة والسياسة في مقتل عثمان ص ٣٥ ج ١ ورواه الحافظ الهيثمي المكي الشافعي في الصواعق المحرقة ص ٦٦ و٦٧ والمحب الطبري الشافعي في الرياض النضرة ص ١٢٨ ج ٢ بطريقين ذكر انها خرجها الامام احمد بن حنبل وفي الرياض النضرة ايضا ص ١٢٩ عن عبدالله بن الزبير نفسه انه قال لعثمان حين حصر عندي بجانب اعددتها فهل لك ان تحول عليها الى مكة فيأتيك من اراد ان يأتيك قال « يعني عثمان » لا اني سمعت رسول الله يقول: يلحد بمكة كبش من قريش عليه مثل اوزار نصف الناس ورواه البرهان الحلبي الشافعي في سيرته ص ١٨٣ ج ١ وسبط بن الجوزي الحنفي في التذكرة وعندها التصريح في الحديث انه : يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبدالله وبه تعرف ان جماعة من السنة حذفوا من الحديث لفظ عبد الله وتكلف اخرون تاويل الحديث بصرفه الى الحجاج وهو حديث مشهور من اعلام النبوة وفي انكاره جحود للنبوة ضمنا .

٢ ـ كبش الكتيبة العبدري من ال عبد الدار من قريش واسمه طلحة ابن ابي طلحة وكان معه لواء المشركين يوم احد قتله امير المؤمنين عليه السلام كما شرحنا خبره في كتابنا بطل العلقمي .

٣ ـ كبش كتيبه الحسين « ع » اخوه ابو الفضل العباس الاكبر حامل لوائه الاعظم يوم كربلاء واطلب حديثه من كتابنا بطل العلقمي .

٤ ـ كبش العراق : مالك بن الحارث الاشتر النخعي وهو المترجم هنا وهو قائد قوات امير المؤمنين « ع » في حروبه ولقب بهذا اللقب بصفين روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين في حديث طلب اهل الشام الموادعة من اهل العراق وقد ضجوا وجزعوا من تاخر اهل العراق عن اجابتهم فاخذوا يستثيرون عواطف اهل الحفاظ من اهل العراق ويستدرون العاطفة عليهم من رؤساء اهل اليمن ونص نصر بن مزاحم وفادى انسان من اهل الشام في سواد الليل بشعر سمعه الناس :

رؤس العراق اجيبوا الندى ... فقد بلغت غاية الشده
وقد اودت الحرب بالعالمين ... واهل الحفائظ والنجده
فاسنا واسنم من المشركين ... ولا الجمعين على الرده
ولكن اناس لقوا مثلهم ... لنا عدة ولهم عده
فقاتل كل على وجهه ... يقحمه الجد والنجده
فان تقبلوها ففيها البقا ... وامن الفريقين والبلده
وان تدفعوها ففيها الفنا ... وكل بلاء الى مده
ثلاثة رهط هموا اهلها ... وان يسكتوا تخمد الوقده
سعيد بن قيس وكبش العرا ... ق وذاك المسود من كنده

قال نصر بن مزاحم ص ٢٦٠ طبع ايران فحمد هؤلاء النفر المسمين في الصلح فاما المسود من كندة فهو الاشعث فانه لم يرض بالسكوت بل كان من اعظم الناس قولا في اطفاء الحرب واما « كبش العراق » وهو الاشتر

فلم يكن يرى الا الحرب ولكنه سكت على مضض واما سعيد بن قيس فجارة هكذا وغارة هكذا وقال نصر ايضا ص ٢١٠ اقبل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية الاعظم وهو يقول :

انا ابن سيف الله ذاكم خالد اضرب كل قدم وساعد
بصارم مثل الشهاب الواقد انصرعي ان عمي والدي
بالجهد لا بل فوق جهد الجاهد ما انا فيما نابني براقد

فاعترضه جارية بن قدامة السعدي وقال :

انت لحد الرمح يابن خالد انت لليث ذي فلول عارد
من اسد خفاق شديد الساعد ينصر خير راكع وساجد
من حقه عندي كحق الوالد ذاكم علي كاشف الاوابد

واطعنا مليا ومضى عبد الرحمن وانصرف جارية وعبد الرحمن لا يأتي على شيء الا هده وهو يقول :

اني اذا ما الحرب فرت عن كشر اقحم والخطي في النقع كسر
تخالني اخزر من غير خزر كالحية الصماء في راس الحجر

احمل ماحملت من خير وشر

فغم ذلك عليا « ع » واقبل عمرو بن العاص في خيل من بعده وقال اقحم يابن سيف الله « ١ » فانه الظفر واقبل الناس على الاشتر وقالوا يوم

« ١ » قالوا خالد سيف الله اصحاب معاوية كيدا لاهل العراق لان رسول الله صلى الله عليه وآله قال علي سيف الله وقال جبرئيل ورضوان لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي فقالت السفيانية لا فتى كخالد ولا سيف الله تمسكوا بقول ابي بكر لما طلب منه عمر بن الخطاب ان يقيد من خالد بن الوليد بمالك بن نويرة اليربوعي الذي قتله خالد وهو مسلم فقال ابو بكر لا اشيم سيفا سله الله .

من ايامك الاول قد بلغ لواء معاوية حيث ترى فاخذ الاشتر لوائه ثم حمل وهو يقول :

اني انا الاشتر معروف شتر انى انا الانفي العراقي الذكر
لست من الحي ربيعه اومضر لكنني من مذحج الغر الغرر

فضارب القوم حتى ردهم على اعقابهم ورجعت خيل عمرو فقال النجاشي في ذلك :

رأيت اللواء لواء العقاب يقحمه الشانئ (١) الاخزر
كليث العرين خلال العجاج واقبل في خيله الابتر « ٢ »
دعونا لها الكبش كبش العراق وقد خالط العسكر العسكر
فرد اللواء على حقبه وفاز بحظوتها الاشتر
كما كان يفعل في مثلها اذا ناب معصوصب منكر
فان يدفع الله عن نفسه فحظ العراق به الاوفر
ان الاشتر الخير خل العراق فقد ذهب العرف والمنكر

انتهى ، للمؤلف :

كبش العراق وفارس العرب يسطو بجيش من عزمه لجب
كالبحر جيش الطغام اذ حشدوا بقاع صفين شاهري القضب
كي يدعموا الضلال قائدهم ويهدموا حق شامخ الرتب
من انزل الله فرض طاعته على السرايا بسائر الكتب
جالد كبش العراق جمعهم بذي فرند كشعلة اللهب
فردها القهقرى وارغمها وان جثت جثما على الركب
ولم يدع اشتر لها بطلا يحسب جد الكفاح كاللعب
الا سقى الارض من رواهشه حتى تروت عواطش الكثب

« ١ » الشانئ هو عبد الرحمن بن خالد لان ال المغيرة شانؤا النبي (ص)
« ٢ » الابتر عمرو بن العاص وفي ابيه نزلت سورة الكوثر .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اكرم به ناصحا بنصرته خير وصي يدعى لخير نبي

وفي حديث الطبري ان معاوية لما وقف على عبد الله بن بديل قتيلا يوم صفين قال هذا كبش القوم وكذلك نصر بن مزاحم وعليه فالمقبون بالكبش خمسة نفر .

وفاة مالك الاشتر : ان في موت الاشتر على الفراش ووفاته حتف انفه او مسموما لعبرة للجبناء الذين يحيدون عن المنية ويجانبون الاخطار حرصا على الحياة التي لا ترافقهم الا ايما يسيرة ولا تماشيهم الا خطوات قلائل تنتهي بهم الى اللاحد المظلم والقبر الموحش مع ما تحملوه من الاوزار المثقلة لظهورهم بترك فروض الجهاد والجرائم الاثيمة التي اقترفوها بخذلان الدين وترك نصرة دعاة الحق مع عجزهم عن النهوض بحملها ثم يرتحلون الى سجن الارواح الشريرة وحبوس الانفس الخبيثة تاركين خلفهم عار الابد وخزي الدهر الخالد ، ان هؤلاء الجبناء ليسمعون التلب لهم مشافهة والسب الفاضح مواجهة ولكن يعيرون ذلك اذنا طرشاء وصماخا اصم رضاً بالهوان ورضوخا للمذلة ظنا منهم ان الحياة تحفظ بالمحايدة والبقاء يحرزه الفرار فلذلك اتخذوه شعارا لهم وقد انهزم قائد من قواد زياد بن سمية فقيل له اغضبت الامير عليك فقال غضبه علي وانا حي خير من رضاه علي وانا ميت .

ان هذا هو اعتذار ساقط الهمة الدني النفس ولو رام شرف الاحدوثة وجميل الذكر لما تحدث بمثل هذا وليستعرض الجبناء تاريخ الابطال والفرسان الذين خاضوا الاهوال واقتحموا الغمرات المتلفة فرقت الاسلحة ابدانهم ولم تدع مقدار شبر في اجسادهم سالما من وسم الجراح ثم ماتوا على الفراش فهذا خالد بن الوليد المخزومي سيف الدولة البكرية وحسامها المسلول يموت على فراشه فيقول اني قارعت الفرسان ونازلت الاقران ولم يبق في بدني مقدار شبر سالما من الجراح وها انا اموت على فراشي كما يموت العير (يعني الحمار) فلا وألت نفس الجبان ، ودع كل شيء وخذ مثالا في الاشتر بطل الابطال

الاوحد وفارس القحطانية ومن قد عرفت تجدته وبأسه كيف صار امره الى الموت مسموما فيا ايها الجبناء خاطروا بالنفوس في سبيل احياء الدين وانقاذ الشرف من رق الاستعباد وزجوا بها في لهوات الحروب فان المنايا تقذف بقوادفها وترمي نبالها التي توترها عن اقواسها فقد تخطئ المقدم وتصيب الحامد وتردي الجبان ويسلم منها المقدام وقد قال فارس ربيعة الحارث ابن عباد البكري البشكري فارس النعامة في حروب البسوس .

قد يصاب الجبان في اخر الصف وينجو مقارع الابطال

كيفية موت مالك الاشتر : يختلف المؤرخون في موت الاشتر فيذهب فريق منهم انه مات حتف انفه فجأة والمشهور انه مات مسموما واختلف هؤلاء فذهب بعض ان معاوية دس اليه سما على يد مولى له ويقال مولى عثمان ويذهب بعض اخر ان معاوية كتب الى عامل الخراج بالقازم ان يسمه وسنذكر الاقوال في هذا ذكر الطبري وابن الاثير وابن ابي الحديد ولفظه في شرح النهج (١) لما انقضى امر الحكومة كتب علي عليه السلام الى الاشتر وهو يومئذ بنصيبين امابعد فانك ممن استظهر به على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به الثغر المخوف وقد كنت وليت محمد بن ابي بكر مصر فخرجت عليه خوارج وهو غلام حدث السن ليس بذي تجربة للحروب فاقدم علي لننظر فيما ينبغي واستخلف على عملك اهل الثقة والنصيحة من اصحابك والسلام .

فاقبل الاشتر واستخلف على عمله شبير بن عامر الازدي وهو جد الكرماني المتغلب على خراسان وهو صاحب نصر بن سيار فلما دخل الاشتر على علي عليه السلام حدثه بحديث مصر وخبره خبر اهلها وقال له ليس لها غيرك فاخرج اليها رحمك الله فاني لا اوصيك اكتفاء برأيك واستعن بالله على ما اهمك واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق ابلغ واعتزم على الشدة حين

(١) شرح النهج ص ٤٠٧ ج ٣ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لا يغني عنك الا الشدة فخرج الاشتر من عنده فاتى برحله فاتت معاوية عيونه فاخبروه بولاية الاشتر على مصر فعظم عليه ذلك وقد كان طمع في مصر فعلم ان الاشتر ان قدم عليها كان اشد عليه من محمد بن ابي بكر فبعث الى رجل من اهل الخراج ينق به وقال له ان الاشتر قد ولي مصر فاكفنيه فان كفيتنيه لم اخذ منك شيئا ما بقيت فاحتال في هلاكه ماقدرت عليه فخرج الاشتر حتى انتهى الى القلزم حيث تركب السفن من مصر الى الحجاز فاقام به فقال له ذلك الرجل وكان المكان مكانه ايها الامير هذا منزل فيه طعام وعلف وانا رجل من اهل الخراج فاقم واستريح واتاه بالطعام حتى اذا طعم سقاه عسلا قد دس فيه سما فلما شربها مات رحمه الله انتهى وروى الفاضل المجلسي « ره » في بحار الانوار ص ٦٥٧ بعد ان ذكر كتاب امير المؤمنين عليه السلام في تولية الاشتر الى اهل مصر قال له لا تاخذ لي السماوة (١) فاني اخاف عليكم معاوية واصحابه ولكن الطريق الاسفل في البادية حتى تخرج الى ايلة ثم ساحل مع البحر اليها ففعل فلما انتهى الى ايلة وخرج منها صحبه نافع مولى عثمان بن عفان فخدمه والطفه حتى اعجبه شأنه فقال له ممن انت قال من اهل المدينة فقال من ايوم قال مولى عمر بن الخطاب قال واين تريد قال مصر قال وما حاجتك بها قال اريد اشبع من الخبز فانا لا اشبع بالمدينة فرق له الاشتر وقال له الزمني ساصيبك بخير فلزمه حتى بلغ القلزم وهو من مصر على ليلة فنزل على امرأة من جهينة فقالت له اي الطعام اعجب بالعراق فاعالجه لكم قال الحيتان الطريه فعالجتها له فاكل وقد كان ضل صائما في يوم حار فاكثر من شرب الماء فجعل لا يروى فاكثر منه حتى بغر يعني بطنه من كثرة شربه فقال له نافع ان الطعام لا يقتل سمه الا العسل فدعا به من ثقله فلم يوجد فقال له نافع هو عندي فآتيك به قال نعم فاتى رحله فاخذ شربة من عسل بسم قد كان معه اعده له فاتاه بها فشربها فاخذه الموت من

(١) يعني سماوة كلب في شرقي الاردن لا سماوة العراق .

ساعته وانسل نافع في ظلمة الليل فامر به الاشتر ان يطلب فطلب فلم يعب قال — عبدالله بن جعفر — كان لمعاوية عين بمصر يقال له مسعود رجرجة فكتب الى معاوية بهلاك الاشتر فقام معاوية خطيباً في اصحابه فقال ان عليا كانت له يمينان قطعت احداهما بصفين يعني عماراً والاخرى اليوم ان الاشتر مر بايلة متوجها الى مصر فصحبه نافع مولى عثمان فخدمه والطفه حتى اعجبه واطمأن اليه فلما نزل القلزم حاض له شربة من عسل بسم فسقاها له فمات ألا وان لله جنوداً من عسل انتهى .

قال ابن ابي الحديد مات الاشتر سنة ٣٩ متوجها الى مصر واليا عليها لعلي « ع » قيل سقي سما وقيل لم يصح ذلك وانما مات حتف انفه وذكر المسعودي المؤرخ في « مروج الذهب (١) » ان وفاة الاشتر سنة ٣٨ قال ولي علي « ع » الاشتر على مصر وانفذه اليها في جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان كان بالعريش فارغبه وقال اترك خراجك عشر سنين فاحتال للاشتر بالسم في طعامه فلما نزل الاشتر العريش سأل الدهقان اي الطعام احب اليه قيل العسل فاهدى له عسلا وقال ان من امره وشأنه كذا وكذا ووصفه للاشتر وكان الاشتر صائما فتناول منه شربة فما استقرت في جوفه حتى تلف واتى من كان معه على الدهقان ومن كان معه وقيل ذلك بالقلزم والاول اثبت الخ وكذلك ذكره الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ٣٨ وقال الحافظ العسقلاني في الاصابة (٢) ولاه على مصر بعد صرف قيس بن سعد بن عبادة عنها فلما وصل الى القلزم شرب شربة عسل فمات فقيل انها كانت مسمومة وكان ذلك سنة ٣٨ بعد ان شهد مع علي الجمل وصفين وابدى يومئذ عن شجاعة مفرطة الخ وقال في تهذيب التهذيب (٣) ذكره ابن سعد في الطبقة الاولى من تابعي أهل الكوفة قال وكان من اصحاب علي

(١) مروج الذهب ص ٣٩ ج ٢ . (٢) الاصابة ص ٤٨٢ ج ٣ .
(٣) تهذيب التهذيب ص ١٣ ج ١٠ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها قال وولاه علي مصر فلما كان بالقلزم شرب شربة عسل فمات ثم ذكر المسقلاني عن ابن يونس ما نصه قال ابن يونس ولاه علي مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة فسار حتى بلغ القلزم فمات بها يقال مسموما في شهر رجب سنة ٣٧ الخ ويذكر الحافظ الخزرجي في خلاصة تذهيب الكمال انه مات موتا سنة ٣٧ وقال الدميري في حياة الحيوان (١) ولاه علي مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة بن دليم فلما وصل الى القلزم شرب شربة من عسل فمات فلما بلغ عليا قال لليدين وللفم وقال عمرو بن العاصي حين بلغه ان له جنودا من عسل وقيل ان الذي قال ذلك معاوية وهو الذي سمه وقيل ان الذي سمه كان مولى لعثمان وكانت وفاته في رجب سنة ٣٧ روى النسائي له حديثين انتهى وعلى هذا القول جرى الزركلي في الاعلام فذكر وفاته سنة ٣٧ هـ سنة ٦٥٧ م وهذا قول ساقط لان وقعة صفين كانت سنة ٣٧ هـ وقد شهدها الاشتر بالاتفاق وكما اخطأ الدميري ومن وافقه في تاريخ وفاة مالك الاشتر اخطأوا في نسبة المثل لعلي امير المؤمنين (ع) ولم يعلق عليه مثلما علق ابن الاثير ولكن كل متحرق مسموم فانه يدس السم في العسل قصدوا بهذا المثل الذي قاله عمر ابن الخطاب ان يسقطوا منزلة الاشتر عند عوام الشيعة الذين لا يحسنون بالمسائس ولا يشعرون بالايعازات لكن ابن الاثير يذكر في تاريخه (٢) بعد كلام واقبل الذي سقاه الى معاوية فاخبره بهلاك الاشتر فقام معاوية خطيبا ثم قال اما بعد فانه كانت لعلي يمينان قطعت احداهما بصفين يعني عمار بن ياسر وقطعت الاخرى اليوم يعني الاشتر فلما بلغ عليا موته قال لليدين وللفم وكان قد ثقل عليه لأشياء نقلت عنه وقيل انه لما بلغه قتله قال انا لله وانا اليه راجعون مالك وما مالك ولو موجود مثل مالك لو كان من حديد لكان قيداً أو من حجر لكان صلدا على مثله فلتبك البواكي

(١) حياة الحيوان ص ٣٠٢ ج ٢ (٢) كامل التاريخ ص ١٧ ج ٣.

وهذا اصح لانه لو كان كما ذكرها له لم يوله مصر انتهى كلامه والمثل ليس من كلام امير المؤمنين (ع) وانما هو لعمر بن الخطاب نص عليه الميداني في مجمع الامثال (١) لليدين وللفم يقال هذا للشاتة بسقوط انسان وفي الحديث اتي عمر بسكران في شهر رمضان فعثر بذيله فقال عمر لليدين وللفم ولدانا صيام وانت مفطر ثم امر به فحد الخ والذي ذهب شوطا بعيدا في الغرابة الحافظ المقريزي المؤرخ الشافعي فانه قال في كتابه المواعظ والاعتبار الخطط (٢) بعد ان ذكر عزل قيس بن سعد عن مصر سنة ٣٧ ثم وليها الاشتر مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي من قبل امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» وذلك ان — عبدالله بن جعفر — كان اذا اراد ان لا يمنعه علي «ع» شيئا قال له بحق جعفر فقال له اسألك بحق جعفر إلا بعثت الاشتر الى مصر فان ظهر فهو الذي تحب والا استرحت منه ويقال كان الاشتر قد ثقل على علي «ع» وابغضه وقلاه فولاه وبعثه فلما قدم قلزم مصر لقي بها يلق العمال به هناك فشرب شربة عسل فمات فلما اخبر علي ع بذلك قال — لليدين وللفم — وسمع عمرو بن العاص بموت الاشتر فقال ان لله جنودا من عسل ثم وليها محمد بن ابي بكر الصديق من قبل علي «ع» الخ

وقد غلط هذا المؤرخ الكبير غلطا فاحشا من وجوه عديدة :

الاول جعله امارة الاشتر قبل امارة محمد بن ابي بكر متصلة بولاية قيس بن سعد بلا فصل وهو خرق لاجماع المؤرخين فانفاقهم ان اول ولاة امير المؤمنين «ع» على مصر قيس بن سعد ثم محمد بن ابي بكر ثم عزل محمدا بالاشتر ثم اعاده الى ولايته بعد موت الاشتر .

الثاني جعله سؤال عبدالله بن جعفر الطيار تولية الاشتر وفيه مخالفة للتاريخ الصحيح من انه طلب من عمه امير المؤمنين «ع» تولية اخيه لامه محمد بن ابي بكر لمصر وعزل قيس بن سعد عنها وسبب هذا الطلب هو

(١) مجمع الامثال ص ١٠٥ ج ٢ (٢) خطط المقريزي ص ١٥٠ ج ٤ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الاخوة وداعي هذا السؤال هو الغيرة لنعمة الرحم وفي قول المقريزي بضا مخالفة للغرض العقلائي فالعقل يمنع ان يتوسط الانسان لشخص يحرص على سقوطه في أمر تحصل له به الرفعه والسمو ويرتفع به قدره وتعلو فيه منزلته .

الثالث جهل هذا المؤرخ بحال امير المؤمنين « ع » حتى جوز عليه الانخداع فيما يظهر منه الضرر العظيم وعلي « ع » أجل واعقل واعظم من ان ينخدع او يرى القسم ولو بمحبوب له فيما يجر على نفسه الضرر وقد شاع قوله واشتهر لا اكون كالضبع تقيم على طول اللدم الى آخر ما في نهج البلاغة

الرابع جهل هذا المؤرخ بما صدر من علي « ع » من الثناء العظيم على الأشتر واتفقت على نقله السنة والشيعة (انه لقول فصل وما هو بالهزل) .

الخامس جهل هذا المؤرخ بسيرة امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع وسيرته مع عماله ولو عرف ما عرف غيره من العلماء مبادرته واسراعه الى عزل من يستريب به وشدته في ذلك ولو وقف على ما لقي منه مصقلة بن هبيرة الشيباني ويزيد بن حجية التيمي والمنذر بن الجارود العبدي وجرير ابن عبد الله البجلي وامثالهم ما تجرأ ان يقول ان الاشتر قد ثقل على علي ع

ايها المؤرخ اعقل ما تقول ان امير المؤمنين « ع » لما ثقل عليه الاشعث ابن قيس لم يوله ولاية وكان حظه عنده الحرمان ونصيبه الخسران والمجابهة بالطرد والكلام الغليظ كقوله حائك بن حائك وكقوله من يعذرني من هذه الضياطر في امثال هذا الكلام الخشن ولو كان الأشتر قد ثقل عليه لكان حاله حال الاشعث والاشعري وامثالهما ولم يقربه ويدنيه ويوله اعظم الاقطار ولو كان علي « ع » منخدعا او مداهنا في السياسة لداهن معاوية وابن العاص وامثالهما ولاقرهم على ولاياتهم فعلي « ع » اجل من ان ينخدع او يداهن

ان الاشتر نقل من ولاية الى ولاية ومن منصب الى منصب ارقى وأعظم خطرا واجل في النظر وقد صرح المؤرخان الشهيران الطبري وابن

الاثير في تاريخيهما في سبب تولية الاشتر على مصر ان علياً « ع » كتب الى الاشتر يستدعيه وكان قد رده الى عمله بالجزيرة لما رجع من صفين .

وبهذا يعلم ان الأشتر لم يكن ثقيلا على امير المؤمنين علي « ع » بل كان من ابين نصحائه وأعظم الثقاة عنده وانه لم يتركه آنا من الآنات عاطلا من الامرة ولا فارغا عن التولية فهو اما على صهوة الجواد قائدا للجيوش او على صدر الدست مدبرا لشئون البلاد وان الاشتر ممن يعده امير المؤمنين « ع » ذخراً في الملمات وكافيا في المهمات وانا احسب ان المقريزي تصحن عليه الاشعث البغيض بالاشتر الحبيب ولم يرزق الفقه في معرفة التصحيف ليصون كتابه عن الغلط المعنوي الذي لا يغتفر سامح الله من زل من العلماء ولا سامح من تعمد وانتظر في مدح الاشتر كلام الطبري وغيره من العلماء فانه يوضح لك غلط المقريزي .

مرقد (الاشتر) وموضع قبره : اختلفوا فيه نحو اختلافهم في وفاته فمنهم من يرى انه دفن في العريش وآخر يقول بالقلزم وذهب فريق انه نقل الى المدينة النبوية فدفن بها ويرى اخرون انه في بعلبك من بلاد سوريا .

قال الحموي في معجم البلدان (١) في بعلبك وبها قبر يزعمون انه قبر مالك الاشتر النخعي وليس بصحيح فان الاشتر مات بالقلزم في طريقه الى مصر وكان علي « ع » وجهه اميراً اليها فيقال ان معاوية دس اليه عسلا مسموما فمات بالقلزم فقال معاوية ان لله جنوداً من عسل فيقال انه نقل الى المدينة فدفن بها وقبره بالمدينة معروف انتهى ولم يذكر في تاريخ سينا الحديث واخبار العريش ولم يتعرض له الرحالتان ابن جبير وابن بطوطه في رحلتيهما والذي يترجح عندي نقله الى المدينة لان الجماعة الذين كانوا معه يخافون ان دفنوه في موضع موته ان ينبشه معاوية فيمثل به لشدة عداوته له فنقلوه الى مدينة النبي « ص » والله اعلم .

(١) معجم البلدان ص ٢٢٧ ج ٢

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بيت الاشتر النخعي : بيت رياسة وشرف في الكوفة وقد اسس هذه الزعامة وابتدئها هو مالك الاشتر وسبب ذلك ان الاشتر كان يحس بنفسه الكفاءة ويجد من الهمة العالية انه اهل للرياسة وجدير بالزعامة ويرى انه بما اودع الله فيه من خصال الحمد اولى من غيره واقوى على ادارتها واصلاح شئونها مما سواه فلذلك لج في منازعة الرئيس الاسبق من اسرته منازعة نكراء وخاصمه خصومة المستحق قد زوي عنه حقه فاحتكا عند قائد القوات الاسلامية وامير امرائها في الجبهة السورية وهو ابو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري .

قال الازدي في فتوح الشام (١) تحت عنوان :

قصة رياسة الاشتر وهو مالك بن الحارث : قال جاء الاشتر وهو مالك بن الحارث النخعي فقال لابي عبيدة اعقد لي على قومي فعقد له وكانت قصته مثل قصة الحنعمي وكان اتى قومه وعليهم رجل منهم فخاصمه الاشتر في الرياسة الى ابي عبيدة فدعى ابو عبيدة النخع اي هاذين ارضى فيكم واعجب اليكم ان يولى عليكم فقالوا كلاهما شريف وفينا رضا وعندنا ثقة فقال ابو عبيدة كيف اصنع بكما ثم اقبل على الاشتر فقال اين كنت حين عقدت لهذا الراية قال كنت بالمدينة عند امير المؤمنين ثم اقبلت اليكم فقال قدمت على هذا وهو رأس اصحابك فقال نعم قال لا ينبغي لك ان تخاصم ابن عمك وقد رضيت به جماعة قومك قبل قدومك عليهم فقال الاشتر انه رضا شريف واهل ذلك هو وانا ايضا اهل للرياسة فليعفني من رياسته قومي فوليهم كما وليهم هذا فقال ابو عبيدة فاخروا ذلك اليوم حتى تكون هذه الواقعة فان استشهدتما جميعا فما عندالله خير لكما وان هلك احدكما وبقي الآخر كان الباقي منكما الرأس على قومه وان بقيتما جميعا اعفيناك منه انشاء الله قال الاشتر قد رضيت فلما كانت الواقعة (٢) استشهد فيها رأس النخع الاول

(١) فتوح طبع كلكته ص ٢٠٩ (٢) يعني وقعة اليرموك .

وجاء الاشتر فعقد له ابو عبيدة وهذه سياسة نكراء ودهاء مفرط ولولا سياسة ابن الجراح ونظراته ما تمهدت خلافة ابي بكر وربما انتالت ابنيتها وانهارت واندكت عروشها . (نوابغ هذا البيت)

عبد الله بن الحارث اخو الاشتر : كان رئيسا شريفا شهد صفين مع امير المؤمنين «ع» وشهد طلب ثار الحسين عليه السلام مع المختار بن ابي عبيد الثقفي وولاه على بعض الاقطار واليه اوى حجر بن عدي لما هرب من زياد وذكرنا قصته في مقتل حجر في كتابنا اعلام النهضة الحسينية وفي كتابنا الميزان الراجح وكان على خيل امير المؤمنين عليه السلام يوم صفين قال ابن واضح في تاريخه (١) وبلغ عليا «ع» ان معاوية قد استعد للقتال واجتمع معه اهل الشام فسار علي «ع» في المهاجرين والانصار حتى اتى المدائن فلقيه الدهاقين بالهدايا فردها فقالوا لم ترد علينا يا امير المؤمنين قال قال نحن اغنى منكم بحق واحق بان نفيض عليكم ثم صار الى الجزيرة فلقيه بطون تغلب والنمر بن قاسط فسار معه منهم خلق عظيم ثم صار الى الرقة وجل اهلها العثمانية الذين هربوا من الكوفة الى معاوية فغلقوا ابوابها وتحصنوا وكان اميرهم سماك بن مخرمة الاسدي فغلقوا دونه الباب فصار اليهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي وقال والله لتفتحن اولاضعن فيكم السيف ففتحوا واقام بها امير المؤمنين «ع» يومه ثم عبر الى الجانب الشرقي من الفرات حتى صار الى صفين وقد سبق معاوية الى الماء ووسعة المناخ فلما والى علي «ع» واصحابه لم يصلوا الى الماء فتوصل الناس الى معاوية وقالوا لا تقتل الناس عطشا فيمم العبد والأمة والأجير فابى معاوية وقال لاسقاني الله ولا سقى ابا سفيان من حوض رسول الله (ص) «٢» ان شربوا منه ابدا فوجه علي

(١) تاريخ ابن واضح اليعقوبي طبع النجف ص ١٦٣ ج ٢ .

(٢) ان معاوية يدري ان حظه وحظ ابيه ابي سفيان الحبية والحسران وانه ليذكر حين لعن رسول الله «ص» الجمل وقائده وراكبه وسائقه =

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عليه السلام الاشتر والاشعث الأشتر في الخيل والأشعث في الرجالة وكانت خيل معاوية مع ابي الأعور السلمي فقاتله اصحاب علي حتى صارت سنابك الخيل في الفرات وغلبوا على المشرعة وكان الواقف عليها عبدالله بن الحارث اخو الاشتر الخ وقال الطبري في التاريخ (١) قالوا اول رجل عقد له المختار راية عبد الله بن الحارث اخو الاشتر عقد له على ارمنية الخ وقد ترجمنا لهذا الرئيس في كتابنا الميزان الراجح فلنكتف بهذا هنا .

اسحاق بن مالك الاشتر : احد الشهداء بكربلاء مع الحسين بن علي فيما حدث به الفاضل الدربندي في اسرار الشهادة ونصه (٢) بعد شهادة حبيب ابن مظاهر ثم نادى الحسين عليه السلام من يبرز الى هؤلاء الملعونين فبرز اليهم شيخ يقال له اسحاق بن مالك الاشتر اخو ابراهيم بن مالك الأشتر وهو ينشد ويقول :

نفسي فداكم طاعنوا وجالدوا حتى يبان منكم الجاهد
وارجل تتبعها سواعد في نصر مولاي الحسين العابد (٣)
بذاك اوصانا الكمي الوالد

قال : وجعل يقصد اصحاب الرايات يطعن في صدورهم حتى قتل منهم جماعة فوقف يستريح فحرضه اصحاب الحسين «ع» على الجهاد وشوقوه الى الجنة فحمل على القوم وانشأ يقول :

يالك يوما كاسفا عصيصبا يالك يوما لا يوارى كوكبا
يا ايها الباغي الذي تركبا الا تخاف الموت لما اقتربا

ـ والقائد معاوية والراكب ابوه ابوسفيان والسائق اخوه يزيد بن ابي سفيان فاذا هو على يقين ان لا حظ له في حوض رسول الله «ص» ولكنه داهية قال ذلك يستغوي به طغام اهل الشام واوباش جاق .

(١) تاريخ الطبري ص ١٠٩ ج ٧ (٢) اسرار الشهادة ص ٢٥٥
(٣) فيه الاقواء على قاعدة العرب .

لان فينا بطلا مجربا اعني الحسين عندنا محببا
تقديه بالام ولا نبغي ابا

ثم حمل على القوم واباد الفرسان وقتل الشجعان حتى قتل من القوم مايربي على خمسمائة فارس وقتل رحمة الله عليه انتهى ، وتفرد به الدربندي وهو غير بعيد لما رجحناه من رواية الامام الباقر «ع» ان الشهداء مع الحسين عليه مائة وخمسة واربعين رجلا لم يسم لنا التاريخ الا شطرهم وربما تنقد هذه القصة باصرين احدهما ان بعض اشطار الرجز من ازاجيز صفين وهذا تقدسهل لجواز انه تمثل ببعض الشطور وزاد عليها ، ثانيهما انه قتل خمسمائة فارس ويشبه ان يكون من المستحيل ولا عجب ولا غرابة اخوه ابراهيم وابوه مالك الاشتر قد ورد انه في يوم الهرير قتل خمسمائة فارس والشجاعة وراثية

ابراهيم بن مالك الاشتر : هو اشهرهم واسيرهم ذكرا ولشهرته تركنا ذكره وقد ترجمناه ترجمة مفصلة في كتابنا الميزان الراجح ولابراهيم ولدان احدهما النعمان بن ابراهيم وبه كان يكنى والثاني خولان بن ابراهيم بن مالك الاشتر والى خولان تنتسب الطوائف المالكية في العراق فقبيلة آل ابراهيم الشهيرة في عشائر العراق من اكبر العشائر فمنهم قبيلة عظيمة كثيرة العدد تقطن اراضي المشخاب في ناحية الفيصلية في قضاء (ابوصخير) لواء الديوانية وقبيلة عظيمة تعرف ايضا بآل ابراهيم في اراضي الغراف التابعة الى لواء المنتفك وفي ناحية المدينة التابعة لقضاء القورنه لواء البصرة عشيرة صغيرة تعرف بآل ابراهيم ملحقة بقبيلة الامارة وينتمي الى آل ابراهيم هؤلاء فيما سمعت قبيلة آل بدران وهي في لواء البصرة فرع منها في قضاء القورنه ناحية المدينة وفرع في قضاء ابي الخصيب في ناحية المارنة بنفس مركز الناحية وفي قرية الجبيلة التابعة لهذه الناحية وفي جميع هذه البطون سماحة وحسن اخلاق وكلهم شيعة امامية .

اما بنو مالك فمن السلائل العلمية ذات الشهرة العظيمة في النجف بيت

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كاشف الغطاء اخرجت هذه السلالة من العلماء والادباء مالا يحصى واسندت الزعامة المذهبية الى اكثرهم واليوم عين اعيانهم وسيدهم الامام حجة الاسلام الشيخ محمد الحسين ال كاشف الغطاء من اعاظم المراجع الشيعية فى التقليد .

ومن البيوت العلمية الشهيرة بيت آل الشيخ راضي يحوى هذا البيت من الأفاضل جما غفيرا وآل الخضري وفيهم الادباء والمثقفون وكان قديما من علماء آل مالك الزاهد المقدس الشيخ ورام بن ابي فراس صاحب المجموعة فى المواعظ المسماة تنبيه الخواطر ترجمه العاملي فى امل الامل والخونساري فى الروضات ومن المحدثين احمد بن موسى مشهور برواية الحديث ، اما القبائل فان الغالب على سكان قضاء الشامية فى لواء الديوانية وثلث عشائر لواء المنتفك ولواء البصرة مالكية وفى ايران فى عربستان الرحالة كثير من المالكية وانا لا اعرف صحة انتسابهم الى مالك الاشتر لان من يسمى بمالك فى العرب ما ينيف على عشرين قبيلة كما اني اجد ذلك من المصطلحات الحديثة لاني اجد بعض القبائل قضاعية كبني نهد فى بني مالك سكان كارون وفيهم قبائل مضرية كبني تميم وامثال ذلك فان بني اسد في ثلث بني مالك وعبادة كذلك وهما من مضر لكن بطون الرميض يجزمون بنسبهم الى الاشتر والله اعلم .

حالات الاشتر وصفاته ووظائفه

صفة مالك الاشتر البدنية : كان الاشتر من أهل الجسامة والضخامة لانها صفة البطولة وكان طوالا يركب الفرس وتخط رجله الارض اطوله وكان اعور اذهبت عينه يوم اليرموك فهو يعد من عوران الاشراف ومن السادة الطوال ويقال ان في لحمه خفة ومعناه انه غير مدمج اللحم لا انه كان نحيفا ذكر نصر بن مزاحم من قصة تاتي بطولها قال وكان من اعظم الرجال واطوله وكان فى لحمه خفة قليلا الخ ذكر ابن حبيب في كتاب المحبر تحت عنوان من كان يركب الفرس الجسام فتخط ارجلهم فى الارض (١) (جذيمة) بن علقمة بن فراس جذل الطعان الكناني وكان (ربيعة) بن عامر بن جذيمة ابن علقمة بن فراس يحاشي الطعينة فيقبلها فسمي مقبل الطعن (زيد الخيل) بن مهلهل الطائي ابو زيد) حرملة بن النعمان الطائي (قيس ابن سعد) بن عبادة الانصاري ابوه (سعد) بن عبادة (سعد) بن معاذ الأنصاري (عبد الله بن ابي سلول المنافق احد بني الحبلى (٢) « بشير » بن سعد اخو بني الحارث بن الخزرج « ٣ » « جبلة » بن الايهم الغساني (حمل) ابن مرداس النخعي « مالك » الاشتر بن الحارث النخعي « عبد الله » بن الحصين ذي الغصة الحارثي « عامر » بن الطفيل الجعفري « قيس » بن سلمة ابن شراحيل بن اصهب الجعفي وكان يغار عليه النحل من عظمه اذا رآه النحل بين الابل غار عليه انتهى ، وذكرنا غير هؤلاء فى البطولة من كتابنا بطل العلقمي .

العور من الأشراف : ذكر ابن رسته فى الاعلاق النفيسة (٤) ونصه « ابو سفيان بن حرب « ذهبت عينه يوم الطائف « الأشعث « بن قيس ذهبت

« ١ » المحبر ص ٢٣٣ « ٢ » من الانصار خزرجي « ٣ » هو ابو النعمان ابن بشير « ٤ » الاعلاق النفسية طبع اوربا ص ٢٣٤ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عينه يوم اليرموك * المغيرة * بن شعبة ذهبت عينه يوم اليرموك * جرير * ابن عبد الله ذهبت عينه بهمذان وكان واليها النعمان * عدي * بن حاتم ذهبت عينه يوم الجمل * عنبسة * بن ابي سفيان ذهبت عينه يوم الجمل [١] قبيصة ابن ذويب ذهبت عينه يوم اليرموك * المختار * بن ابي عبيد ضرب عبيدالله ابن زياد وجهه بالسوط فذهبت عينه * مالك * بن مسمع بن شيبان ذهبت عينه بالجفرة * قيس * بن مكشوح المرادي ذهبت عينه يوم اليرموك الأشتر النخعي ذهبت عينه يوم اليرموك * ابراهيم * النخعي * الحنف * بن السجف * علباء * بن الهيثم * الاسود * بن يزيد * الحارث * الاسود صاحب علي * جابر * بن زيد * ابو الشعثاء * * ابو مجلز * السدوسي * حبيب * بن ابي ثابت كان طوالا اعور * عبد الله * بن عمير اخو عبيد الله بن عمير ذهبت عينه يوم جور وقطعت رجل ابيه يوم حنين ويقال لعبد الله سيد القراء * سعيد * بن عثمان بن عفان يوم سمرقند * طلحة * الطلحات بسمرقند عمرو ابن معديكرب يوم اليرموك ، انتهى وقريب منه ما في معارف ابن قتيبة سلاح مالك الاشتر ولباسه الحربي : اما لباسه الحربي فالدرع والمجن واما سلاحه فعامود الحديد والسيف ويسمى اللج والصفيحة اليمانية وصفتها عن نصر بن مزاحم تاتي بطولها ابو جناب الكلبي عن الحر بن الصباح النخعي ان الاشتر كان يومئذ يقاتل على فرس له وبيده صفيحة يمانية اذا طعطعها خلت فيها ماء منصبا واذا رفعها كاد يغشى البصر شعاعها الخ ويحمل الرمح ايضا ويقاتل به ويحمل القوس ولم يقاتل به .

من كان يعمل عامود الحديد في الحرب الدبوس من عرب الاسلام .

١ ـ المقداد بن عمرو البهرائي المعروف بابن الاسود الكندي .

٢ ـ الزبير بن العوام الاسدي اسد قريش وهو ابن صفية بنت عبد المطلب

٣ ـ حذيفة بن اليمان العبسي حليف الانصار .

* ١ * عنبسة مع عائشة وعدي مع امير المؤمنين .

٤ ـ مالك بن الحارث الاشتر النخعي كبش العراق .

٥ ـ ابو العمرطة الكندي صاحب امير المؤمنين عليه السلام .

٦ ـ حبيب بن المهلب بن ابي صفرة المعروف بالخرون .

٧ ـ قيس بن المكشوح البجلي الاحمسي حليف مراد قاتل الاسود العنسي المتنبي وهو ايضا صاحب امير المؤمنين عليه السلام استشهد معه .

٨ ـ عبيد الله بن عمر بن معمر التيمي نيم قريش .

٩ ـ قطري بن الفجاة المازني من بني تميم راس الازارقة من الخوارج .

١٠ ـ شيب بن يزيد الشيباني من ربيعة راس الصفرية من الخوارج .

مهارة الاشتر في السياسة والادارة : رأي المؤلف في الاشتر :

نظر المؤرخون اليه بعين حولاء يرونه حربيا ولا يرونه سياسيا ، ان الاشتر في عهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كان يتولى القيادة العامة في جميع معارك امير المؤمنين عليه السلام وحروبه مع الخارجين عليه في الجمل وصفين والغارات التي تشنها الاعداء ، ومن هنا ينظر المؤرخ الخبير فلا يجد الا موظفا عسكريا وقائدا ماهرا في الدرجة الاولى من الثقافة العسكرية والمهارة الفنية والخبرة التي اكتسبها بالتجارب من الحروب التي مارسها منذ زمن الطفولية الى سن الشيخوخة ، ونحن لا ننظر الى الاشتر من الوجهة الحربية فقط فنعده كسائر المؤرخين جنديا يتفادى في سبيل الدفاع عن دينه ويتفانى في اعزاز وطنه بل نراه اكبر سياسي بذل جهده في ترقية مجد العروبة عامة وحماية الملة والشرع خاصة .

فالاشتر لدينا من رجال السياسة الماهرين كما انه من رجال القيادة القديرين ولكن طول زمن الحروب التي نشبت بين الامة الاسلامية بعد ان طاح عرش الخلافة العثمانية بيد الثائرين .

شغل الاشتر وغيره من دهاة العرب وساستهم وعظماء زعماء الادارة عن التفكير في اصلاح داخلية البلاد وخارجيتها لانهم اهملوا تلك المصالح العامة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كلية بل اداروها باصبع واحد من اصابع السياسة وكفاها ذلك لكنهم لو تفرغوا لها واداروها بعشر الاصابع لابرزوا بمهارتهم في السياسة للعالم المحايد ما يدهش العقول .

فكانت تلك الحروب حجر عثرة دون نفوذ سياسة الساسة من العرب ومنذ سيطرة الحروب الطاحنة على امة الاسلام وعام جوها النقي الصاحي وتكدر افقها الصافي استعمل للهرة جبلهم في كيفية اخضاع الفرق المارقة والطوائف التي خرقت ناموس الشريعة المحمدية ونبذت انظمتها وقوانينها نبذ حصاة الحذف ورامت ان تسيطر على الامة سيطرة الجائر الفتاك وتتسلط عليها تسلط المعتدي الاثيم ورامت اختلاس منصب الامامة الدينية بلا نص معتبر ولا مشورة حازمة وترسلت الى وسائل اغتصابها بشتى الفنون الدهائيه التي يرومون بها انتشال كرسي الامرة غصبا فوضعوا امورا موهوبها على العوام وجعلوها خدعة الصبي عن اللبن .

لذلك ثمر عظماء الامة وصلحاء المسلمين من اهل الديانة والاصلاح عن ساعد الجد في مكافحتهم ولكن اذا اراد الله امرا قضاه (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وقد اعذروا ولئك العظماء الى الانسانية والعقل والدين بمقاومة الجور الجارف والعدوان السبعي ولم يبالوا بالعطب في سبيل احياء العدل واقامة مراسم الشرع ومن هذا الباب .

تجد الاشتر لم يتولى ولاية تتمحض للسياسة وتخلص للادارة انما كان يتولى الامارات الحربية الادارية معا فيمزج في اصلاحها الشدة باللين والصرامة بالسلاسة واللفاظة بالحنان والرأفة فلم يسد به من ولاه الا ثغرا مخوفا وقطرا مشرفا على الوقوع في خطر الاحتلال للعدو الذي تشبث اظفار سياسته النكراء ذات الحيل والخداع في قلب ذلك القطر فكانت ولاية الاشتر الاولى بلاد الجزيرة الفراتية اي البلاد الشمالية للعراق الحالي والمقسومة اليوم بين تركيا وسوريا والعراق فكانت هذه المنطقة ثغراً حربيا معما وولاية

تجمع شتى العناصر المتشعبة الافكار بالاحزاب السياسية فكان الحزب العثماني الاموي نشيطا في حركاته يترقب الفرصة بالثورة العامة ضد الخلافة العلوية والحزب الحيادي يواصل اعماله في تثبيط الحزب العلوي الهاشمي عن النهضة بالدفاع عن واجب حق لزمه من نصرة الحق لذلك اصبحت الجزيرة الفراتية مشكلة السياسة العظمى واداة تفكير الساسة الخبراء ثم ان المطامع الأموية الاستعمارية توجهت الى مصر خلال امارة الشاب الصالح محمد بن ابي بكر حيث لم تكن له خبرة بادارة البلاد ولبست عنده مهارة بالشئون السياسية لانه شاب نشأ في الترف ورفاهة العيش لم تسلمه يد التجارب الى التهذيب ولم تثقفه الحنكة والاختبار فاعوزته السياسة الفنية فعجز عن ادارة البلاد واستفحلت الاحزاب المضادة للخلافة العلوية بعد ان كانت مقهورة بسياسة السياسي القدير « قيس بن سعد بن عبادة » ومحصورة بدهائه في بقعة ضيقة وبعزله استفحلت القلاقل والاضطرابات في ذلك القطر المهم الغني بثروته وعمت الثورة كل الاقليم .

وبلغ امير المؤمنين « ع » وهو في عاصمة الكوفة من انبائها ما اقلقه واستاء له ورأى انه لا يصلح ذلك الثغر ولا يطفىء ثورته الرهيبة الا الرجل الحازم والسياسي الماهر وليس سوى رجلين قديرين على كل ما تقتضيه شئون الاصلاح ترهيباً وترغيبا اقدرتهما على الادارة وتفوقهما بالسياسة هما الوالي الأول المعزول وعامله المخلوع باشاعات المرجفين به بغيا عليه « قيس » ابن سعد بن عبادة ذلك الرجل الحازم والوالي الكافي .

(ومالك الاشتر) ذاك الرجل العظيم فصمم العزم على ارساله واستجابة من ولاية الجزيرة وارساله الى وظيفته الثانية ومما يزمنا الاسف الطويل والحزن اللاذع المليح ان المنية اختزمته قبل ان يباشر وظيفته الجديدة ليظهر من ضروب السياسة وفنون الادارة ما يدهش الساسة ويحير الكفاة ولا يدع في اصلاحاته القيمة مجالا لقدح القادح في سياسته وهذه كتب امير المؤمنين

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تفيلك عن مقدرته.

قال ابو جعفر الطبري في التاريخ (١) وفسدت مصر على محمد بن ابي بكر فبلغ عليا « ع » وثوب اهل مصر على محمد بن ابي بكر واعتمادهم اياه فقال ما لمصر إلا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلناه عنها يعني « قيسا » او مالك بن الحارث « يعني الأشتر » وكان علي « ع » حين انصرف من صفين رد الاشتر على عمله بالجزيرة وقد كان قال ـ لقيس بن سعد ـ اقم معي على شرطتي حتى نفرغ من امر هذه الحكومة ثم اخرج الى آذربيجان فان ـ قيسا ـ مقيم مع علي « ع » على شرطته فلما انقضى امر الحكومة كتب علي « ع » الى مالك بن الحارث الاشتر وهو بنصيبين (اما بعد فانك ممن استظهر به على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به الثغر المخوف وكنت وليت محمد بن ابي بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج وهو غلام حدث ليس بذي تجربة للحرب ولا مجرب للاشياء فاقدم علي لننظر في ذلك فيما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من اصحابك والسلام) فاقبل مالك الى علي « ع » فحدثه حديث اهل مصر وخبره خبر اهلها وقال ليس لها غيرك اخرج رحمك الله فاني لم اوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما اهمك فاخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق ابلغ واعتزم الشده حين لا يغني عنك إلا الشدة قال فخرج الاشتر من عند علي ع فاتى رحله فتهيأ للخروج الى مصر واتت معاوية عيونه فاخبروه بولاية علي « ع » الاشتر فعظم ذلك عليه وكان قد طمع في مصر فعلم ان الاشتر ان قدمها كان اشد عليه من محمد بن ابي بكر فبعث معاوية الى الجابستار رجل من أهل الخراج فقال له ان الاشتر قد ولي مصر فان كفيتنيه لم أخذ منك خراجا ما بقيت فاحتل له بما قدرت عليه فخرج ـ الجابستار ـ حتى اتى القلزم فاقام بها وخرج الاشتر من العراق الى مصر فلما انتهى الى القلزم

(١) ص ٦٤ ج ٦

استقبله ـ الجابستار ـ فقال هذا منزل وطعام وعلف وانا رجل من اهل الخراج فنزل به الاشتر فاتاه ـ الدهقان ـ بعلف وطعام حتى اذا طعم اتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سما فسقاه اياها فلما شربها مات واقبل معاوية يقول لاهل الشام ان عليا وجه الاشتر الى مصر فادعوا الله ان يكفيكموه قال فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشتر واقبل الذي سقاه على معاوية فاخبره بهلك الاشتر (١) فقام معاوية في الناس خطيبا فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فانه كانت لعلي بن ابي طالب يدان يمينان قطعت احداهما يوم صفين يعني عمار بن ياسر وقطعت الاخرى اليوم يعني الاشتر.

قال ابو مخنف حدثني فضيل بن خديج عن مولى ـ الاشتر ـ قال لما هلك الاشتر وجد في ثقله رسالة علي « ع » الى اهل مصر:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي امير المؤمنين الى امة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الارض وضرب الجور بارواقه على البر والفاجر فلا حق يستراح اليه

(١) للمؤلف

ان ابن هند خاتل ماكر ... ما مثله في الناس من ماكر
امكر من ابليس استاذه ... وفتنة الاول والآخر
ارحى له السحر باغوائه ... والماكر الغدر كالساحر
ان دس للاشتر سما فذي ... حيلة منهوك القوى الخائر
فكم سقاه مالك قبلها ... من كاس غيظ مرعف ماقر
هلا لقي الاشتر في مأزق ... ضنك تحد الصارم الباتر
قد كان في الحرب يرى حاميا ... عنه وراء العسكر الثائر
وقلبه يخفق من خوفه ... خفق جناح الطائر الكاسر
لانه يسمع عند الوغى ... تغريد صوت الاسد الخادر
فالسم قد كان شعار الدسا ... وفاقد السلطة والناصر

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولا منكر يتناهى عنه سلام عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا اله إلا هو اما بعد فقد بعثت اليكم عبداً من عبيدالله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل عن الاعداء حذار الدوائر اشد على الكفار من حريق النار وهو مالك بن الحارث اخو مذحج فاسمعوا له واطيعوا فانه سيف من سيوف لا نابي الضريبة ولا كليل الحد فان آمركم ان تقدموا فاقدموا (١) وان آمركم ان تنفروا فانفروا فانه لا يقدم ولا يحجم الا بامري وقد آثرتكم به على نفسي لنصحه لكم وشدة شكيمته على عدوكم عصمكم الله بالهدى وثبتكم على اليقين والسلام

وكتب علي « ع » الى محمد بن ابي بكر عند مهلك الاشتر وذلك حين بلغه موجدة محمد بن ابي بكر لقدوم الاشتر عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله علي امير المؤمنين الى محمد بن ابي بكر سلام عليك اما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريحي الاشتر الى عملك وانى لم افعل ذلك استبطاء في الجهاد ولا ازد رايا مني لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك وليتك ما هو ايسر عليك في المؤنة واعجب اليك ولاية منه ان الرجل الذي كنت قد وليته مصر كان لنا نصيحا وعلى عدونا شديدا وقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضي الله عنه وضاعف له الثواب واحسن له المآب فاصبر لعدوك وشمر للحرب (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) واكثر ذكر الله بالاستعاذة والخوف منه يكفك ما اهمك ويعنك على ما ولاك اعاننا الله واياك على مالا ينال إلا برحمته والسلام عليك الخ .

وقال بن ابي الحديد المعتزلي الحنفي في شرح النهج وقد كان امير المؤمنين ع كتب على يد الاشتر كتابا الى اهل مصر روى ذلك الشعبي عن سعصعة ابن صوحان .

(١) هكذا في النسخة ويظهر لي ان الصحيح اذا امركم ان تقيموا بقرينة تنفروا وقرينة لا يقدم ولا يحجم .

من عبدالله علي امير المؤمنين الى من بمصر من المسلمين سلام عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا اله الا هو اما بعد فاني قد بعثت اليكم عبداً من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل عن الاعداء حذر الدوائر ولا واه في عزم من أشد عباد الله بأسا واكرمهم حسبا اضر على الفجار من حريق النار وابعد الناس عن دنس وعار .

ألا وهو مالك بن الحارث الأشتر حسام صارم لا نابي الضريبة ولا كليل الحد حليم في السلم رزين في الحرب ذو رأي اصيل وصبر جميل فاسمعوا له واطيعوا فان آمركم بالنفر فانفروا وان امركم ان تقيموا فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم إلا بامري وقد آثرتكم به على نفسي نصيحة لكم وشدة شكيمة على عدوكم عصمكم الله بالهدى وثبتكم بالتقوى ووفقنا واياكم لما يحب ويرضى انتهى ورواه النجاشي رحمه الله وغيره من علمائنا .

لا تحسب ان الامام المصري الواسع الأطراف الكثير الامصار والمدن يحتاج الى رجل حربي فقط بل هو الى رجل سياسي قدير له خبرة تامة بشئون الادارة ومعرفة واسعة باطوار السياسة احوج وكما يحتاج الى رجل حربي قدير وشخص سياسي خبير يحتاج ايضاً الى علامة بجل العلوم فقدان هذا الاختيار على تفوق الاشتر بكل هذه المزايا وتميزه على غيره بعامة الخلال الفاضلة وإلا لما كان لقوله « ع » ليس لها إلا صاحبنا الذي عزلناه بالامس او الاشتر اثر ودعنا والنظر في العهد الذي كتبه له امير المؤمنين « ع » في سياسة المملكة فانه موكول الى شرحنا له الذي سميناه (بالسياسة العلوية) وانظر في كتاب التولية الذي تلوناه عليك نظر الاعتبار والتدبر .

تجده « ع » اثنى فيه للاشتر اكثر مزايا الفضل التي تمتدح بها نبلاء الرجال ونفى عنه خلال الذم التي تنكب عنها عظماء الاقيال فانت له بالتيقظ والاحتراس بقوله لا ينام ايام الخوف وهذه الصفة من افضل صفات القواد واميز مزايا الامراء والرؤساء فاذا كان القائد متيقظا حذرا لم يمكن عدوه

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من الغلط عليه وحمى شعبه وجنده بحراسته ويقظته وقد قال متمم بن نويرة اليربوعي اخو مالك بن نويرة فارس ذي الخمار حين قال له ـ عمر بن الخطاب ـ صف لي اخاك مالكا فقال في جملة كلام له لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام ليلة يخاف وقال له عمر بن الخطاب فيما رواه المبرد (١) انك لجزل فاين كان الخبر منك فقال كان والله اخي في الليلة المظلمة ذات الانذير والصراد يركب الجمل النفال ويجنب الفرس الجواد وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت وهو بين المرادتين حتى يصبح ويصبح اهله متبسما الخ

واثبت « ع » للاشتر صفة الاقدام والجرأة بقوله لا ينكل وهذه المزية الفذة واليتيمة الثمينة لا توجد إلا في الافذاذ من الابطال والنوادر من سراة الرجال فان اغلب اهل الشجاعة والفروسية ربما نكلوا واحجموا في بعض المواطن وربما فروا كما فر جماعة من ابطال العرب وفرسانهم المجمع على فروسيتهم واتفقوا على تميزهم في البطولة وقالوا انهم افرس العرب قاطبة في العصر الجاهلي مثل « عتيبة بن الحارث بن شهاب التميمي اليربوعي المعروف بصياد الفوارس وابي الصهباء بسطام بن قيس البكري الشيباني فارس ربيعة وابي علي عامر بن الطفيل العامري الكلابي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي صاحب الصمصامة ومهلهل بن ربيعة اخو كليب التغلبي فارس الاراقم من ربيعة وغيرهم ممن ذكرناهم « في كتابنا الميزان الراجح » فانهم فروا في بعض الوقائع ونكلوا عن اقرانهم ووقعوا في رق الاسر .

وامير المؤمنين « ع » يثبت ان الاشتر لا ينكل واثبت له المضاء في العزيمة وهذه المزية اكمل من الاولى واجل وانبل وحري بالاطراء من اتصف بالمضاء فانه يعم اوقات الحرب والسلم فان كثيراً من موارد المضاء في العزيمة يقع في المقرءاة والطاعات كالمضي الى الحج وبذل الاموال في اعانة المحتاجين واعطاء الحقوق فاذا كان الرجل ماضي العزيمة لم يصرفه حب الجمع والادخار

(١) كامل المبرد ص ٢٣٤ ج ٨ مطبعة النهضة بمصر .

عن صرف الاموال الطائلة في مرضاة الله وتأدية الحقوق ولا تصده نهاية المعارض في كل ما يرى فيه الصلاح والاصلاح .

واذا كان الانسان واهي العزيمة انقبض عن الانفاق وهاب الاعمال التي يوجبها الحزم فوقف مع الضعف والوهن وفاته حد الدارين وحرم فضيلة النشأتين الدنيا والاخرى .

ومن مضاء العزم استيفاء الحدود وتنفيذ الأحكام من القصاص وسائر الحدود فاذا كان ماضي العزيمة نفذها واقامها واذا كان واهن العزيمة يراقب اهل الصرامة ويلحظ اهل الجاه من العظماء والاكابر عطلها واذا تعطلت الحدود واهملت عامة الاحكام الفضائية حقوقية او جزائية في الجنايات والتعديات كان ذلك اعظم شيء يستدعي اضاعة الشرع المقدس وتقويض دعائم الاسلام ومن مضاء العزم بث الدعاة الى الحق وارشاد الخلق الى الهدى فاذا كان ماضي العزيمة قوي الجنان بث الدعاة الدينية وصارح بالارشادات والمواعظ المنجية فانها لا تخلو عن قبول فانه يتضح بها الحق ويتجلى نور الحقيقة فان العقلاء والمتدينين من العصبية الشنعاء الى قبول النصائح سراع وهكذا قياس ما بقي .

وقوله « ع » من اشد عباد الله بأسا اكبر شهادة منه « ع » للاشتر بامتيازه على نظرائه وتفوقه على اقرانه شجاعة ونجدة ثم شهد له « ع » بشرف الاصل وكرم الحسب والحسب ان كان بمآثر الاباء فحسب مندرج غير خفي وان كان الحسب بمكتسبات النفس من الفضائل ففضائل الاشتر لا تجهل

ثم شهد له « ع » بالايمان الخالص اذ لا يضر الفجار إلا من خلص ايمانه ورسخت عقيدته ونفذت بصيرته .

ثم نفى « ع » عند الدنس وهو ما يلحق الاحساب الكريمة من الفعال المذمومة وما يعرض للديانات من مقارفة المنهيات والمزجور عنها فيفارقها اما جهلا او عمدا بدعوى التأويل والاجتهاد .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثم شهد له بالحلم الذي هو من سجايا الصالحين وسمات المؤمنين واخر ما تمدحت به العرب في جاهليتها واسلامها حتى فضلوا بهذه الصفة قيس بن عاصم السعدي سيد اهل الوبر والأحنف بن قيس السعدي كلاهما من بني تميم على سائر العرب بهذه الخصلة .

وشهد له عليه السلام بالرزانة في الحرب وهي ملكة نفسية تثيرها العواطف الانسانية والشعور الروحي وتعضدها قوة الايمان ، فينبعث عنها الثبات امام الأهوال المزعجة والاطمئنان عند الصدمة المروعة التي يشتد بها جيشان النفس عند الفزع فلذا تجد الشجاع الجريء القوي الجنان لا يتزعج اذا طاشت الحلوم وذهلت الالباب كما قال الاشتر في بعض اهوال صفين لاصحابه غمرات ثم ينجلينا ، ثم شهد عليه السلام له بجودة الرأي في الحرب والسلم كليهما اما جودة الراي في الحرب فانها تمد الجيش بالقوة المعنوية فان جيد الراي البصير في الحرب دائم التيقظ شديد الاحتراس فلا يستطيع العدو له كيدا ولا يتمكن ان يصيب منه غرة كما حدثتنا حروب الازارقة والمهلب ما استطاع الخوارج ان يصيبوا منه غفلة فانه قد حصن جيشه بالخنادق والحرس وبث الطلائع الاكتشافية وراعى خطط الحرب بما يلائم تلك الظروف مجموادفاعا وهكذا كانت حالة الاشتر في الحرب ثم انه يصيب بجودة رأيه كيد الأعداء فينال من الظفر بهم بغيته ويحصل في اصابة الغرة منهم امنية ولذا قيل الحرب خدعة

اما جودة الرأي في السلم فهي ضرب من ضروب السياسة وفن من فنون الادارة فان بالراي تساس الرعية وتدار شؤن البلاد وبها يكون اصلاح الشعوب ونظام المملكة ولهذا قالوا اعظم الناس سياسة علي بن ابي طالب ع لانه دخل العراق وهي تموج بالفتن وقد انقسمت الى حزبين سياسيين حزب عثماني يرى من اعظم الواجبات الانتصار لعثمان والانضمام الى صف نصرائه وحزب علوي يرى من اعظم القرب الى الله اباده الحزب العثماني وسياسة علي عليه السلام الف الحزبين المتضادين وضم احدهما الى الاخر فجهز منهما جيشا

ضخما صمك به جيش اهل الشام المتحزب لعثمان ومن هؤلاء العثمانية الاقحاح ابو حازم وابو وائل شقيق بن سلمة الاسدي الذي قال فيما بعد شهدت صفين وبئست الصفون في امثالهم ، وكما قالوا ان عليا عليه السلام اعظم الرجال سياسة قالوا ان عامله على مصر قيس بن سعد بن عبادة ادهى الرجال لانه قدم مصر وهي متحزبة بثلاثة احزاب سياسية علوية وعثمانية وواقفة محايدة وهو وان لم يستطع ان يضم الحزبين اليه كما فعل علي عليه السلام لكنه استطاع ضم الحزب المحايد الى حزبه فتقوى بهذه الضميمة واستطاع بدهائه ان يخمد ثورة الحزب العثماني بالمهادنة مرة والاماني اخرى واستمال معه اللين وعامله بالمساهلة وتحرى جذبه استدراجا بالمغالطة والتعمية حتى اقلق دهاؤه معاوية ، فعلي عليه السلام اعظم الساسة وقيس اعظم الدهاة ثم شهد عليه السلام للاشتر بالصبر الجميل وهذه الصفة محمودة شرعا وعقلا لان الانسان اذا صبر عن اللذات الشهوانية آمن من الوقوع في الورطة المهلكة واذا صبر على صدمات الاهوال في معامع القتال فقد ادى واجب الجهاد المفترض احسن تأدية واذا صبر على البلاء فقد نال اجرا وحصل ذخرا لمعاده .

ثم بين عليه السلام منزلة الاشتر عنده بقوله آثرتكم به على نفسي وفيه دلالة واضحة ان للاشتر عند امير المؤمنين ع المنزلة العظمى والمحل الاسنى من الاختصاص به فلا يتطرق ادنى تشكيك في عظم محله عند امير المؤمنين ع وان محله عنده محل الصاحب الاثير والرفيق القدير الذي لا يعدل به احد من الخاصة ولا يقاربه احد من المخلصين ولو اقتصرنا على هذا لكان كافيا في رد منتقده وضعف الشعبي وابن ابي الحديد لا يضرنا لانه قد رواه من علماء الامامية الاعيان الورعون منهم الكشي والنجاشي وناهيك بالنجاشي ضبطا واتقانا والحمد لله رب العالمين .

دهاء الأشتر والدهاة في الاسلام : الدهاء شعبة من جودة الراي وخصافة العقل وفرع من فروع التفكير الحي والشعور والاحساس النامين برافقانه

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ويمضداه ولكنه يتلون بلونين ويصطبغ بصبغتين احدهما شيطانية والثانية روحانية فالشيطانية تدعو الى فعل كلما اتجه التفكير سواء خالف العقل والشرع ام وافقهما وسواء حمل القبائح والمنكرات ام تعرى منها ولا تحاشى عندصاحب هذا الدهاء عن ارتكاب القبائح اذا ماتوصل الى مطلوبه واوصله دهاؤه من كبت عدوه واتلافه ولو تلفت فى سبيل ذلك نفوس كثيرة من الضعفاء والابرياء اوجر ذلك الى هتك الاعراض وانتهاك الحرمات فالهدف الاقصى هو نيل المطلوب مهما كلف الأمر من تبعة او مسؤلية فى حكم الشرع والعقل فلا زاجر له من عقل ولا رادع من شرع فالغاية تفوق والقصد الغلبة بأي سبب كان واى طريق سار عليه الدهاء والمكر .

والدهاء الروحاني شرطه تقديس الشرائع واحترام موادها ومؤسساتها واجتناب ماحظرته العقول ومنعت من ارتكابه من القبائح المذمومة فصاحب هذا الدهاء يقف عند موانع الشرع وحوائل العقل فلا يمشى فى دهائه اذا صادف اضرارا دينية او قبائحا عقلية فهو يتمشى مع الشرع والعقل وان عاد عليه ذلك ببعض الاضرار الدنيوية فهو فرح اذا احرز دينه وان خسر دنياه وفرحه بمقدار فرح الداهية الشيطاني اذا ربح دنياه وخسر دينه ومن هنا قال مولانا امير المؤمنين عليه السلام انا ادهى من معاوية وقال عليه السلام قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله .

نبغ في القرن الأول الاسلامي سبعة من الدهاة اربعة من القسم الاول الذين لا نردعهم ورادع الملة الاسلامية ولا زجرهم زواجر العقل الصارف عن القبيح وهم :

الاول : معاوية بن ابى سفيان الاموي ابن آكلة الأكباد .

الثاني : عمرو بن العاص السهمي الابتر ابن النابغة .

الثالث : المغيرة بن شعبة الثقفي الأعور الزنى من قرد .

الرابع : زياد بن سمية ابن عبيد عبد بني علاج من ثقيف .

ومن القسم الثانى اهل الوقوف عند المحرمات هم ثلاثة من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام .

الاول : قيس بن سعد بن عبادة احد السادة الطلس سيد الخزرج .

الثاني : عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي سيد القراء ذوالسيفين .

الثالث : مالك بن الحارث الاشتر سيد مذحج وقائد قوات امير المؤمنين عليه السلام ، وبعضهم يعد فى الدهاة رجلين اخرين :

احدهما : عدي بن حاتم ابو طريف الطائي سيد طي وجواد العرب .

وثانيهما : عروة بن مسعود الثقفي عظيم القريتين وجد علي بن الحسين الاكبر عليهما السلام لامه ليلى فيبلغ مجموعهم على مختلف الأقوال تسعة ونحن نذكر ما يتهيأ لنا بالاشتر وندع ما سواه .

قال اليافعي الشافعي فى تاريخه مرآة الجنان (١) كان الاشتر من الابطال وكان سيد قومه وخطيبهم وفارسهم وقد ذكر بعض انه شارك فى قتل عثمان قلت وقد قيل ان دهاة العرب اربعة : عمرو بن العاص ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وعروة بن مسعود الثقفي ، والاشتر النخعي اسمه مالك بن الحارث وكانوا يعنون بالدهاء والكيد والرأي والمكر قال في الصحاح الداهية الامر العظيم والدهاء بسكون الهاء الفكر وجودة الراي يقال رجل داهية بين الدهى بسكون الهاء الخ .

سخاء مالك الأشتر : السخاء عند العرب خلق طبيعي لهم قل ان يخلو

عربي من السخاء وذلك ان العرب تعد السخاء منخرة من مفاخرها ومنقبة من مناقبها ولما قال الاعشى الاكبر يهجو علقمة بن علاثة العامري :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

فكان علقمة اذا ذكر هذا البيت بكى وقال قطع الله لسانه انحن نبيت

(١) مرآة الجنان ص ١٠٦ ج ١ طبع حيدر اباد .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جاراتنا خماصا فقل ان تجد عريا بخيلا ولما جاء الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الشيم دعى الناس الى الفضائل ونوه القرآن الكريم بمن بذل ماله وتصدق بما يجده وكذلك السنة ولم ترض حتى جعلتهم سادات اهل الدنيا قيل لابن عباس من السادة قال اما في الدنيا فالاسخياء واما في الآخرة فالاتقياء وقد كتبنا في كتابنا بطل العلقمي فصلا نافعا في السخاء وثمراته

قال عبد الله بن محمد الخفاجي الحلبي في سر الفصاحة « اما الكرم فالامر فيه واضح لأننا لم نجد امة من الامم ولا شعبا من الشعوب رأى قرى الضيف واجبا ومساوات الجار فريضة الا هذه الامة من العرب حتى صرحوا بذلك في اشعارهم ودونوه في المأثور عنهم وتساوى فيه موسرهم ومعسرهم وغنيهم وفقيرهم هذا وهم في الاكثر اهل جدب وفاقة وضيق وعسر ونصب في انتجاع الرزق وكذا التعرض للكسب ثم بلغ من حبهم الجود وصبابتهم الى جميل الذكر ان سمحوا بنفوسهم ورأوا البخل بها مذموما كالبخل باموالهم وكان من كعب بن مامة الايادي في ذلك ماهو مشهور معروف لا تزيد الايام ذكره الا بقاء ولا يؤثر فيه بعد العهد الا جدة ووضوحا ولم تر في الهند والزنج والحبش من ادعى مثل هذه السجية ولا انتسب الى هذه الحالة فاما والروم فالبخل عليهم غالب وحب الغنى مركوز في طباعهم ليس عندهم في ذلك كبير عار ولا يلحقون انفسهم به منقصة الخ .

سخاء الاشتر يشهد له قول امير المؤمنين « ع » في كتابه المتقدم وقول الاشتر نفسه في سينيته الآتية في قوله :

بقيت وفري وانحرفت عن العلى ولقيت اضيافي بوجه عبوس

صرح بانه يلقى اضيافه بوجه هش بش طلق المحيا تعلو اساريره لمعات الفرح بالاضياف وانه اشدة سخائه وعظم جوده وكرمه لا يبقي وفرا وينفق ثروته في العطاء والبذل والسماح بها لذوي الحاجات وهذا نظير قول حاتم

(١) سر الفصاحة ص ٤٨ .

لقد علم الاقوام لو ان حاتما اراد ثراء المال كان له وفر

وفاء مالك الاشتر : ان من شمائل العرب وسجاياهم الوفاء وهو من الاخلاق التي افترضت شريعة الاسلام الالتزام بها في الآيات والروايات وقد كتبنا في كتابنا بطل العلقمي فصلا وافيا بالوفاء وثمراته واقسامه ولعله لا يحوج الناظر فيه الى كتاب سواه ، اما كون الوفاء من اخلاق العرب فقد قال الخفاجي في سر الفصاحة (١) :

واما الوفاء فمن دينهم الذي كانوا يرونه لازما ومذهبهم الذي كانوا يعتقدونه حتما حتى صار من تمسك بجوارهم او تعلق ببعض اطنابهم تبذل النفوس دونه وتراق الدماء في المنع منه فكم قتل الرجل منهم في ذلك اقرب الناس اليه نسبا وامسهم به رحما وكم من وقعة عظيمة وحرب جليلة طويلة جرها ضيم نزيل او التعرض لسب جار كالحال في حرب البسوس التي ساقها ما علم من قتل كليب لناقة جارة جساس واستفحال ذلك وتماديه حتى شهدته الاجنة شيبا فاما السموءل ورضاه بقتل ابنه دون الدروع التي كانت عنده وديعة وابو دواد الايادي في قود ولده بجاره فما هو متداول لاخفاء بتقصير جميع الامم عنه انتهى ، اما وفاء الاشتر فلا نبرهن عليه باكثر من ثباته على بيعة امير المؤمنين ع والتمسك بطاعته وقد خذله اكثر الناس وفارقوه

رأفة مالك الاشتر ورقته : انك اذا استعرضت سيرة الابطال ولاحظت اخبار الشجعان وجدت القسوة والغلظة فيهم وفي طبائعهم الوحشية وعرفتها في اخلاقهم المتمكنة وقل ان ترى شجاعا راحما وبطلا عطوفا تأخذه الرقة ويقوده الحنان والعطف ان مثل ذلك مستغرب وعجيب في صفات البطولة حتى ان العرب ليمدحون البطل بالعبوسة والشجاع بالغلظة .

لكن اذا رزق الله البطل الايمان وغمس روحه الطيبة بروحانية القداسة

(١) سر الفصاحة ص ٤٩ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الدينية وقطرت عليها قطرات الرضوان ذهبت تلك الفطرسة والخيلاء وتبدل العنف والقسوة بالرقة والعطف إلا على اعداء الدين واضداد الملة وبغاة الاسلام بالكيد والغوائل فانه يزداد عليهم حنقا وغلظة ويعظر عليهم جانبا من قسوة وقد احتاز هذه الصفات ابو ابراهيم مالك فكان كما قال فيه امير المؤمنين في كتابه السابق اضر على الفجار من حريق النار مع قوله حليم .

حدثنا نصر بن مزاحم في كتاب صفين (١) قال كان من اهل الشام رجل بصفين يقال له الاصبغ بن ضرار الازدي وكان يكون طليعة ومساحة لمعاوية فندب علي « ع » له الاشتر فاخذه اسيرا من غير ان يقاتل وكان علي « ع » ينهي عن قتل الاسير الكاف فجاء به ليلا وشد وثاقه والقاه مع اضيافه وكان الاصبغ شاعراً مفوها ونام اصحابه فرفع صوته فاسمع الأشتر

الا ليت هذا الليل طبق سرمدا ... على الناس لاياتيهم بنهار
يكون كذا حتى القيامة انني ... احاذر في الاصباح ضربة نار
فيا ليل طبق ان في الليل راحة ... وفي الصبح قتلي او فكاك اساري
ولو كنت تحت الارض ستين واديا ... لما رد عني ما اخاف حذاري
فيا نفس مهلا ان للموت غاية ... فصبرا على ما ناب يا بن ضرار
الا تخشى ولي في القوم رحم قريبة ... ابى الله ان اخشى والاشتر جاري
ولو انه كان الاسير ببلدة ... اطاع بها ثمرت ذيل ازاري
ولو كنت جار الاشعث الخير فكني ... وقل من الامر المخوف فراري
وجار سعيد او عدي بن حاتم ... وجار شريح الخير قر قراري
وجار المرادي العظيم وهانيء ... وزجر بن قيس ما كرهت نهاري
ولو انني كنت الاسير لبعضهم ... دعوت رئيس القوم عند حذاري
اولئث قومي لاعدمت حيانهم ... وعفوهم عني وسر عوادي

فغدا به الاشتر على علي « ع » فقال يا امير المؤمنين هذا رجل من

(١) نصر بن مزاحم ص ٢٤٣ مطبعة العباسية بالشام .

المساحة لقيته بالامس فوالله لو علمت ان قتله الحق قتلته فقال علي « ع » اذا اصبت اسيرا فلا تقتله فرجع به الأشتر الى منزله وقال لك ما اخذناه منك ليس لك عندنا غيره انتهى هذه النسخة محرفة والصحيح ما في النسخة المطبوعة في ايران ونصه (١) بعد قوله قتلته وقد بات عندنا الليلة وحركنا فان كان فيه القتل فاقتله وان غضبنا فيه وان كنت فيه بالخيار فهبه لنا قال هولك يامالك فان اصبت اسيراً فلا تقتله فان اسير اهل القبلة لا يفادى ولا يقتل فرجع به الاشتر الى منزله الخ وكذلك رواه بن ابي الحديد عن نصر بن مزاحم والذين نوه بهم هذا الأسير وهم الاشعث بن قيس الكندي وعدي ابن حاتم الطائي وسعيد بن قيس الهمداني والاشتر النخعي من مذحج وشريح ابن هاني الحارثي من مذحج والمرادي العظيم قيس بن المكشوح الاحمسي بحلي حليف مراد وهانيء بن عروة المرادي من مذحج وزجر بن قيس الجعفي من مذحج هتف بهم هذا الازدي ولا وصلة بينه وبينهم في الرحمية والنسب سوى الوصلة اليمانية والانتماء الى يعرب وهكذا نهض بالاشتر شممه واهتز اريحية ومجدا واعتراه العطف والحنان وخالطت روحه الشفافة الرقة والانكسار لهذا المأسور الذي يتوقع حلول التلف وترقب سقوط طير المنية له فليتخذ ابطالنا هذه المؤسسة الكريمة قاعدة لبناء المكارم ودعامة لصروح المجد والفخر ولا ينقضون على عادي الحيلة انقضاض الصقور الخاطفة ولا يثورون على الضعفاء ثورة السباع الكاسرة وليخلطوا الشدة باللين والسطوة بالعفو .

حلم مالك الاشتر : الحلم وهو ترك العقوبة للجاني والتساهل مع المسيء في الغض على اساءته وعدم سرعة الانتقام مع القدرة عليها وهي من افضل اخلاق العرب واجل سجايا الملوك وقد حثت الشريعة الاسلامية على الحلم وندبت

(١) ص ٢٥٠ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المؤمنين الى العفو والادلة وافية باثبات هذه الفضيلة ويكفي في بيان فضلها انها من صفات الله تعالى وصفات رسوله محمد « ص »

وهذه الصفة الخلقية وسواء قلنا انها من الطبائع النفسية المتأصلة او من الملكات المكتسبة كما شرحنا ذلك شرحا وافيا في كتابنا الميزان الراجح فهو قوة قاهرة للقوة الغضبية ومطفئة لنورة الشرارة الشيطانية لان حب التشفي عند هيجان الغضب وطلب الانتقام من المسيء من الغرائز النفسية والاخلاق الطبيعية تثيرها القوة الشيطانية المتسلطة على كرسي القلب وعرش الشعور والاحساس والمستولية على دوائره المركزية .

فاذا طاشت تلك النفس الجبارة ونزت بها النخوة الجبروتية فزمامها الصفح عن الضعفاء وعقالها العفو عمن لا يستطيع الدفع عن نفسه ولا يزمها بهذا الزمام إلا المتدين ولا يعقلها بهذا العقال الا وافر العقل يراعي حرمة الدين من ناحية ويراقب الحقوق الانسانية من ناحية اخرى .

وكم طائش نزت به نخوته الاثيمة فأعرب عن سطوته الجبارة بضعفاء البشر فاستحق بذلك من الله التبعيد عن مدارج الرحمة وجوزي بالعقوبة الآجلة والعاجلة فهذا عبدالله بن الزبير لما نزعت الرحمة من قلبه وعدم الرقة المحمودة فضرب اخاه عمرو بن الزبير الف سوط حتى مات تحت السياط وضرب محمد بن عمار بن ياسر الف سوط حتى مات وكذلك فعل باخرين من اهل المدينة فسلط عليه الحجاج الثقفي شر مولود على وجه البسيطة وفعل معه ما هو مذكور في مقتله .

ومع ذلك فقد قوبل بالمقت عند الامة واستحاض الذم واخترعوا له الالقاب الهائلة لستر التوقير امثال الملحد والمحل وما شابهها فبعدا لمن تلبس باعمال الجبروتية وسحقاً وعقدار ما وضعت شدة الانتقام وسرعة العقوبة من اقدار اقوام رفعت محبة العفو والحلم من اقدار اخرين فهذا الاحنف بن قيس التميمي السعدي طبق الآفاق شهرة وسار مع الاجيال ذكره لخصلة

واحدة واصبح مثلا يضرب في الامثال ويمدح الشعراء الملوك بمناظرته فيقول الطائي لممدوحه :

اقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم احنف في ذكاء اياس

وهذا ايضا ما قيل في ابن الزبير :

قدني من نصر الخبيبين قدي ... ليس الامام بالشحيح الملحد

اما الاشتر مالك بن الحارث فقد كان كامل المروة تام الانسانية قويا في دينه متأنيا في نفسه هاضما لها عند النزوة والطماح كابحا لجماحها قاهراً لها عن التعدي على الضعفاء ومن لا يستطيع الانتصار فلا يصب جانب العقوبة وزوابل الانتقام إلا على هام الجبابرة والمتمردين ومثل هذا البطل يستحق ان يطلق عليه اسم الانسانية دون المتغطرس الاثيم .

للمؤلف :

لقد جمع الضدين مالك واغتدى ... يضرب الامثال في العفو والباس

فبسطوا على الجبار سطوة قاهر ... ويعفو غداة السلم عن اضعف الناس

ويضرع للجاني الضعيف تكرما ... ويضرب جبار الملوك على الرأس

قال المجلسي « ره » في البحار (١) حكي ان مالك الاشتر رضوان الله عليه كان مجتازاً في السوق وعليه قميص وعمامة فرآه بعض السوقة فازدرى به فمضى ولم يلتفت فقيل له ويلك اتعرف لمن رميت فقال لا فقيل له هذا مالك صاحب امير المؤمنين « ع » فارتعد الرجل ومضى ليعتذر اليه وقد دخل مسجدا وهو قائم يصلي فلما انفتل اكب الرجل على قدميه يقبلهما فقال له ما هذا الأمر فقال اعتذر اليك مما صنعت فقال لا بأس عليك فوالله مادخلت هذا المسجد الا لاستغفر الله لك انتهى . هذه عادة اهل الاسواق في الصلف والبذاءة وقلة الحياء وعدم المبالات فانهم يسخرون من كل شخص ويهزأون بكل انسان من دون ان يعرفوا من هو وما هو وهم اليوم على هذه الصفة

(١) البحار ج ٩ ص ٧٢٣ طبع تبريز

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

سوى اناس البسهم الحياء بردة ضافية .

علوم مالك الاشتر : العلوم الاسلامية في القرن الأول الهجري تدور على ثلاثة اصول وبقية العلوم اما فروع لها كالاصول الفقهية والتفسير واما لا اهمية كبرى لها كعلم النسب والنجامة وامثالها واما لاستغنائهم عنها بما لديهم من المعلومات التي تلقوها عن الوحي الالهي كعلوم الطبيعة والتوحيد فان صدور المعجز واخبار الصادق البالغ بالوحي الالهي اغناهم عن التفكير في المبادي الطبيعية والفلسفة النظرية

والاصول الثلاثة ، الاول الفقه بانواعه ، الثاني الحديث والرواية .

الثالث الفصاحة وعلم اللسان العربي .

اما الفقه وهو استخراج الاحكام من الكتاب والسنة ويدخل في ذلك العباديات والمعاملات والعقود والايقاعات والاحكام بانواعها القضائية والجنائية (الجزائية) من الحدود والاقتصاص والفرائض وكل هذه الانواع لمالك الاشتر اليد الطولى والخبرة التامة .

ويدلنا عليه ان مولانا امير المؤمنين « ع » كتب دستوراً للاشتر لما ولاه مصر لم يبن له فيه الاحكام الفقهية وانما تضمن بيان احكام سياسة الشعب وكيفية ادارة البلاد ولو لم يكن عند الاشتر ما يكفيه من الفقه لكان الى التعريف به احوج من التعريف بقوانين الادارة .

وقد يتخيل المتخيل ويظن الظان ان اراء الفقهاء تدون وفتاوى العلماء تضبط ولم يدون للاشتر رأي ولم تضبط له وهذا خيال وهمي وظن سفسطي .

ان الامة الاسلامية تنقسم في العلوم الفقهية الى قسمين يختلفان اختلافا جوهريا في العقيدة والعمل فاهل السنة والجماعة ارباب القياس والرأي الذين يحكمون آراءهم في النصوص الدينية تحكيما ملموسا فيقدمون المصالح المرسلة والاستحسان وقياس الشبه والمثل على النص الصريح فهؤلاء تدون افكارهم

وتذكر آراؤهم لمقابلتها النصوص ومعارضتها للسنن الصحيحة .

واهل التشيع ارباب التبعية للنصوص الكتابية والنبوية لا يجوزون مخالفتها ولا يرون اثراً للاستحسان ولا المصالحة العامة ويعدون ذلك من المحق للدين والرد على كتاب الله وسنة رسوله « ص » وانه داخل تحت قوله « ص » (من كذب علي متعمداً او قال ما لم اقل فليتبوء مقعده من النار) والقول بالرأي والقياس كذب صريح على الله وعلى رسوله فالشيعة يوجبون اتباعها ويحرمون مخالفتها وهم جميعا في ازمنة المعصومين اهل عمل بالنصوص ولا رأي لهم حتى يدون وانما دونت اراء فقهاء الشيعة الامامية بعد غيبة الامام الثاني عشر .

فالاشتر وغيره من شيعة علي « ع » انما يأخذون الاحكام من الكتاب والسنة النبوية بواسطة ثقاة الاصحاب وعدو لهم ومرجعهم الاعلى ومصدرهم الاكمل قال انه وقال رسوله ومعلمهم الاعظم ومدرسهم الاكبر هو امير المؤمنين « ع » الذي كان يعلن بقوله سلوني قبل ان تفقدوني وهم يسألونه عن كل شيء حتى عن القضايا الاجتماعية والمفاكهات الاخلاقية حكى الجاحظ في البيان والتبيين (١) وقال له مالك الاشتر كيف وجد امير المؤمنين امرأته قال كالخير من النساء الا انها قباء (٢) قال وهل يريد الرجل من النساء غير ذلك يا امير المؤمنين قال لاحتى تدفىء الضجيع وتروى الرضيع انتهى ان من يهمه السؤال عن مثل هذه المسألة لجدير ان يسأل عن احكام دينه ويستقصي في الاسئلة عن جميع ما افترض الله عليه من واجب وراجح ومحرم ومذموم .

اما علم الحديث وفن الرواية وهذا يدور على السماع من المعصوم النبي او الامام او من احد الثقاة الناقلين له عن المعصوم وقد روى الاشتر الحديث عن جماعة من اعيان الصحابة واكثر عن امير المؤمنين عليه السلام وروى عنه اهل

(١) البيان والتبيين ص ٦٠ ج ٢ (٢) القباء الضامرة دقيقة الخصر .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السنة في المعاجم الموسومة بالصحاح كسنن النسائي وغيره من المسانيد واخرج له اصحابنا احاديثا في الجوامع الاربعة وغيرها ونحن نورد عن اهل السنة والجماعة ما يدل على جلالته اذلا ريب ان شهادة الضد اقوى وان من ظهر فضله وشهرت جلالته ووثاقته عند الخصم وصح اعتماد المعادي له عليه فذاك هو الرجل الوحيد عند العقلاء .

ان عامة اهل الحديث من الاشعرية والحشوية عقيدتها النقاص من عرف بالتشيع ودينها القدح بمن والى اهل البيت فان انضمت شيعيا وسمته بالاعتماد رمته بفساد العقيدة والزيغ فحب اهل البيت الذين افترض الله مودتهم عندهم ذنب من اعظم الذنوب كما هو دين الذهبي والخطيب وامثالهما .

فهؤلاء مع هذه العقيدة واعترافهم بتشيع الاشتر وانه جنى عندهم ذنبا اخر غير الموالاة وهو قتل عثمان ومع هذا فقد قرضوه واطروه اجل الاطراء ووثقوه تصريحا لا تلويحا قال ابن الأثير في التاريخ (١) وكان الاشتر قد روى الحديث عن عمر وعلي وخالد بن الوليد وابي ذر وروي عنه قال احمد بن صالح (٢) كان ثقة وقال الحافظ الخزرجي في خلاصة تذهيب الكمال (٣) س مالك بن الحرث بن عبد يغوث النخعي الكوفي احد الاشراف ويعرف بالأشتر مخضرم عن عمر وعلي وكان من كبراء امرائه شهد اليرموك وذهبت عينه يومئذ قال ابن حبان اليه على عثمان ووثقه العجلي وقال ابن يونس مات سنة ٣٧ وقال الدميري في حياة الحيوان (٤) روى له النسائي حديثين وقال الحافظ العسقلاني في الاصابه (٥) وتهذيب التهذيب ولفظ الاخير (٦) روى عن عمر وعلي وخالد بن الوليد وابي ذر وام ذر وعنه ابنه ابراهيم وابو حسان الاعرج وكنانة مولى صفية وعبد الرحمن بن

(١) كامل ابن الأثير الطبعة الاولى ص ١٤١ ج ٣ (٢) احمد بن صالح المصري من الحنابلة (٣) تذهيب ص ٣١٣ (٤) حياة الحيوان ص ٣١٣ ج ٢ (٥) الاصابه ٣٨٢ ج ٣ (٦) تهذيب التهذيب ص ١٠ ج ١٠

يزيد وعلقمة بن قيس ومخرمة بن ربيعة النخعيون وعمرو بن غالب الهمداني وذكره ابن سعد في الطبقة الاولى من تابعي اهل الكوفة قال وكان من اصحاب علي وشهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها الى ان قال قال العجلي كوفي تابعي ثقة وذكره ابن حبان في الثقاة الى ان قال وروي ان عليا نعاه الى قومه واثنى عليه ثناء حسنا (قلت) وقال مهناء سألت احمد (١) عن الاشتر يروي عنه الحديث قال لا ولم يرد احمد بذلك تضعيفه وانما نفى ان تكون له رواية وقد وقع له ذكر في ضمن أثر علقه البخاري في صلاة الخوف قال قال الوليد ذكرت للاوزاعي صلاة شرحبيل بن السمط باصحابه على ظهر الدابة فقال كذلك الامر عندنا اذا تخوف الفوت وهذا الاثر رواه عمرو ابن ابي سلمة عن الاوزاعي قال قال شرحبيل بن السمط لاصحابه لا تصلوا صلاة الصبح الا على ظهر فنزل الاشتر فصلى على الأرض فانكر عليه شرحبيل وكان الاوزاعي يأخذ بهذا في طاب العدو انتهى .

وفقه شرحبيل مغلوط ان صلاة الخوف لا تصلى الا على الارض وانما تصلى على ظهر الدابة صلاة شدة الخوف وتعرف بصلاة المطاردة وذلك اذا احاط العدو بهم من جميع جهاتهم واختلط بهم واشتغل كل فرد بالدفاع عن نفسه تصلى حين على ظهر الدابة اما اذا كان العدو في جهة او جهتين او لم يكن مختلطا بهم تصلى على الارض فرادى وتصح جماعة اذا قام بعضهم بحراسة بعض هذا هو الفقه وهو الذي عمل به الاشتر ومن يكون شرحبيل ابن السمط الذي خرج على امير المؤمنين علي بن ابي طالب وادخل اهل الشام قاطبة النار لاجل حزازة دنيوية وغيظ منه على جرير البجلي رسول علي عليه السلام الى معاويه فذكر حقده مع جرير ايام المغازي حين شكاه الى عمر بن الخطاب فنفاه عمر الى الشام فاثر ذلك في نفسه على جرير فاغتنم الفرصة في رسالته لاجل ان يفسد عليه ما جاء لاجله ولو عقل الغبي لعرف انه افسد

(١) هو احمد بن حنبل امام الحنابلة .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من دينه اكثر مما افسد على جرير و (كانت عاقبة امره خسرا) .

اما الفصاحة : فسهم الاشتر فيها الصائب وقدحه المعلى وجواده السابق

فانه قد ضم الى الفطرة البدوية الثقافة الاسلامية الخالصة والتربية القرشية العربية المحضة ، ان اهل البوادي افصح من سكان المدن في تلك العصور لانهم اقحاح لم يختلطوا بالنبط والاحباش ولا بالفرس والاروام وانما عاشوا في فيافيهم الواسعة وبواديهم الشاسعة عن الامصار ردحا من الزمن تحت ظلال الاخبية فهم على الفطرة العربية الخالصة .

ومنذ انتزح هؤلاء العرب في الفتوحات الاسلامية انحاز فريق منهم الى فصحاء العرب والحكام عليهم في اختيار الفصيح وهم قريش وبحكومتهم سميت القصائد السبع المختارة بالمعلقات لانهم اختاروها من اشعار العرب وعلقوها على كعبتهم .

واختار الاشتر لنفسه صحبة افصح قريش بعد رسول الله ص فاستفاد منه اكثر مما استفاد من صحب غيره لان عليا عليه السلام اعترف له اعدى اعدائه بالتفرد بالفصاحة ذلك معاوية في قصة الثقفي ومعاوية من اهل التمييز لانه معدود في خطباء قريش الابناء .

والأشتر تلميذ افصح قريش وخريج ابلغ العرب الذي بلغ بحفظ بعض كلامه رجلان الدرجة العليا من الفصاحة وعدا من اعظم كتاب الدنيا وهما ابن المقفع وصديقه عبد الحميد وكلاهما من الفرس فما ظنك بالأشتر العربي الفح والبدوي المحض .

التعريف بالفصاحة على سبيل الايجاز : قال الخفاجي في سر الفصاحة (١)

الفصاحة الظهور والبيان ومنها افصح اللبن اذا انجلت رغوته وفصح فهو فصيح قال الشاعر : وتحت الرغوة اللبن الفصيح

« ١ » سر الفصاحة ص ٥٥ .

ويقال افصح الصبح اذا بدا ضوءه وافصح كل شيء اذا وضح وفي الكتاب العزيز « واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي » ثم قال بعد وسمى الكلام الفصيح فصيحا كانهم سموه بيانا ولاعرابه عما عبر به عنه واظهاره له اظهار جليا روى عن النبي « ص » انه قال انا افصح العرب بيد اني من قريش الخ وقال ابن الاثير في النهاية « ١ » الفصيح في اللغة المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه يقال رجل فصيح ولسان فصيح وكلام فصيح وقد فصح فصاحة وافصح عن الشيء افصاحا اذا بينه وكشفه وقال الامام يحيى بن حمزة امام الزيدية في كتاب الطراز « ٢ » الفصاحة في اللغة عبارة عن البيان والظهور يقال افصح العجمي اذا خلص كلامه عن اللكنة واللحن وافصح اللبن اذا ذهب عنه اللباء وزالت عنه الرغوة وافصحت الشاة اذا صفا لبنها عما يشوبه وافصح الصبح اذا ظهر وعلا ضوءه وفيه المثل افصح الصبح لذي عينين وفي مصطلح علم البيان خلوص اللفظ عن التعقيد في تركيب الاحرف والالفاظ جميعا فتى سلمت اللفظة الواحدة عن تنافر تركيبها الخ يعني فهي فصيحة وقال الزمخشري في اساس البلاغة (٣) سقاهم لبنا فصيحا وهو الذي اخذت رغوته او ذهب لباؤه وخلص منه وفصح اللبن وافصح وفصح وافصحت الشاة فصح لبنها ومن المجاز سرينا حتى افصح الصبح وحتى بدا الصباح المفصح وهذا يوم مفصح وفصيح لا غيم فيه ولا قر الى ان قال وافصح العجمي بالعربية وفصح لسانه بها خلصت لغته من اللكنة وافصح الصبي في منطقه فهم ما يقول في اول ما يتكلم تقول افصح فلان ثم فصح وافصح عن كذا الخصه وافصح لي ان كنت صادقا اي بين وفلان يتفصح في منطقه اذا تكلف الفصاحة الخ وحسبك ان

« ١ » النهاية ص ٢٢٨ ج ٢ « ٢ » الطراز ص ١٠٣ ج ١ .

« ٣ » اساس البلاغة ص ١١٢ ج ٢ طبع الاسكندرية .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

شئت الزيادة فراجع مطول التفتازاني ومفتاح السكاكي وغيرهما .

وفصاحة الكلام تعرف بترصيفه واحكام قوافيه ان كان نظما وبتناسب فصول تراكيبه وتنميق الفاظه ان كان نثرا .

ودليلنا على فصاحة الاشتر في فني النثر والنظم خطبه واشعاره والفصاحة معها اختلفت اساليبها وتنوعت طرقها يظهر رونقها في الفنين الخطابي والشعري وبالاخص الشعر الذي يقال فيه :

وانما الشعر لب المرء يعرضه ... على المجالس ان كيسا وان حمقا

ويقول فيلسوف الشعراء المعري :

والحسن يظهر في بيت رونقه ... بيت من الشعر او بيت من الشعر

فالاشتر شاعر الحماسة وخطيب الفراسة ان نظم كان شاعرا حماسيا يقطر شعره شجاعة وحماسا وان خطب كان خطيبا مصقعا ومتكلما مفوها كما كان شاعرا مفلقا يعرب عن حكمة وينطق ببيان فمن اشعاره ما ذكره الامدي في المختلف والمؤتلف :

وما برحت مثل المهاة وسابح ... وخطارة غير السرى من عياليا
تقاسمهن العيش في الفقر والغنى ... ويدفع عنهن السنين احتياليا
فهذا لايام الهياج وهذه ... للهوي وهاذي عدة لا ارتحاليا

وقوله ورواه الامدي والقالي والامام اليماني والمرزباني والخوارزمي والطائي في حماسته واخرون

بقيت وفري وانحرفت عن العلى ... ولقيت اضيافي بوجه عبوس
ان لم اشن على ابن هند غارة ... لم تخلو يوما من ذهاب نفوس
خيلا كامثال السعالي شزبا ... تغدو ببيض في الكريهة شوس
حمي الحديد عليهموا فكانه ... ومضان برق او شعاع شموس

قال الحافظ العسقلاني في الاصابه قال بعض المتاخرين لو قال ان لم اشن على ابن حرب كان انسب قلت كلا بل بينهما فرق كبير هو انسب من

جهة مراعات النظير وبطرائق المتاخرين واما قول الشعراء فانهم لا يعتنون بذلك بل نسبة خصمه الى امر ابلغ في نكايته انتهى وقال ابو علي القالي في الامالي « ١ » ومن احسن ما سمعت في القسم قول الاشتر النخعي رحمه الله ثم ذكر الابيات ، وقال المرزباني وهو القائل وهو من شريف الايمان وذكرها ، وقال الامام يحيى بن حمزة امام الزيدية في الطراز « ٢ » وقد ذكر بيتين منها فضمن هذا القسم على الوعيد ما فيه افتخار من الجود والشرف والسؤدد والشجاعة والبسالة الخ .

ومن شعر الأشتر يقوله توبيخا لجرير البجلي ، قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين « ٣ » عن الشعبي قال اجتمع جرير والاشتر عند علي « ع » فقال الاشتر ليس قد نهيتك يا امير المؤمنين ان تبعث جريرا واخبرتك بعداوته وغشه واقبل الاشتر يشتمه ويقول يا اخا بجيلة ان عثمان اشترى منك دينك بهمذان والله ما انت باهل ان تمشي فوق الارض حيا انما اتيتهم لتخذ عندهم يدا بمسيرك اليهم ثم رجعت الينا منهم تهددنا بهم وانت والله منهم ولا ارى سعيك الا لهم ولان اطاعني امير المؤمنين (ع) ليحبسنك واشباهك في محبس لا تخرجوا منه حتى تستبين هذه الامور ويهلك الله الظالمين قال جرير وددت انك مكاني بعثت اذاً والله لن ترجع فقال الاشتر فيما كان من تخويف جرير اياه بعمرو وحوشب ذي ظليم وذي الكلاع .

لعمرك يا جرير لقول عمرو ... وصاحبه معاوية الشآمي
وذي كلع وحوشب ذي ظليم ... اخف علي من زفي النعام
اذا اجتمعوا عليك تخل عنهم ... وعن ليث مخالبه دوامي
فلست بخائف ما خوفوني ... وكيف اخاف احلام النيام
وهمهم الذي حاموا عليه ... من الدنيا وهمي ما امامي

(١) امالي القالي ص ٨٥ ج ١ (٢) الطراز ص ١٥٤ ج ٣ .
(٣) ص ٣٥ طبع ايران .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فان اسلم اعمهموا بحرب يشيب لهولها راس الغلام
وان هلك فقد قدمت امرا افوز بفلجة يوم الخصام
وقد رعدوا لي واوعدوني ومن ذا مات رعبا من كلام

ومن شعره وذكره نصر بن مزاحم ايضا :

وانا اذا ما احتبسنا الوغى ادرنا الرحى بصفوف الجدل
وضرب هاماتهم بالسيوف وطعن لهم بالقنا والاسل
عرانين من مذحج وسطها يخوضون اغمارها بالخيل
ووائل تسعر نيرانها يقادونهم امرنا قد كمل
ابو حسن صوت خيشومها باسيافه كل حام بطل
على الحق فينا له منهج على واضح القصد لا بالميل

قال نصر بن مزاحم (١) قال الاشتر حين قال علي « ع » انني مناجز القوم اذا اصبحت :

قد دنى الفصل فى الصباح وللسلم رجال وللحروب رجال
فرجال الحروب كل خدب مقحم لا تهده الاهوال
يضرب الفارس المدجج بالسيف اذا قل في الوغى الاكفاء
يا ابن هند شد الحيازيم للموت ولا تذهبن بك الآمال
ان في الصبح ان بقيت لامراً تتفادى من هوله الابطال
فيه عز العراق او طعن الشا م باهل العراق والزلزال
فاصبروا للطعان بالاسل السمر وضرب تجرى به الامثال
ان تكونوا قتلتموا النفر البيض وغالت اولئك الاجال
فلنا مثلهم وان عظم الخطب قليل وامثالهم ابدال
يخضبون الوشيج طعنا اذا جرد للموت بينهم اذيال
طلب الفوز فى المعاد وفي ذا تسعان النفوس والاموال

(١) ص ٢٥١

فلما انتهى الى معاوية شعر الاشتر قال شعر منكر من شاعر منكر رأس أهل العراق وعظيمهم ومسعر حربهم واول الفتنة وآخرها انتهى وللاشتر اشعار كثيرة يأتي بعضها :

خطب مالك الاشتر : الاشتر أحد خطباء الابطال الفصحاء وخطبه كثيرة وبديعة الاسلوب حسنة السبك روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين (١) عن الفضل بن ادهم (٢) قال حدثني ابي :

ان الاشتر قام يخطب الناس بقنسرين وهو على فرس أدهم مثل الغراب فقال

الحمد لله الذي خلق السماوات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى احمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء حمداً كثيراً بكرة واصيلا من يهده الله فقد اهتدى ومن يضلل الله فقد غوى واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالصواب والهدى واظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه واله وسلم :

ثم قد كان ما قضى الله وقدر ان ساقتنا المقادير الى هذه البقعة من الارض والفت بيننا وبين عدونا فنحن بحمد الله ونعمته ومنه وفضله قريرة اعيننا طيبة انفسنا نرجو في قتالهم حسن الثواب والامن من العقاب معنا ابن عم نبينا سيف من سيوف الله علي بن ابي طالب صلى مع رسول الله « ص » لم يسبقه بالصلاة ذكر حتى كان شيخا لم يكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة فقيه في دين الله عالم بحدود الله ذو رأي اصيل وصبر جميل وعفاف قديم فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجد .

واعلموا انكم على الحق وان القوم على الباطل يقاتلون مع معاوية وانتم

(١) نصر بن مزاحم ص ١٢٢ (٢) الفضل بن ادهم تصحيف وهم ضبطه الذهبي في الميزان .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مع البدريين قريب من مائة بدري سوى ذلك من اصحاب محمد « ص » اكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله « ص » ومع معاوية رايات كانت مع المشركين على رسول الله « ص » فما يشك في قتال هؤلاء الا ميت القلب فانما انتم على احدى الحسنيين اما الفتح واما الشهادة عصمنا الله واياكم بما عصم به من اطاعه واتقاه وانهمنا واياكم طاعته وتقواه واستغفر الله لي ولكم .

وروى الخوارزمي في كتاب المناقب (١) قال كان الاشتر يرتب الصفوف ويقول اثبتوا في مواضعكم واقيموا صفوفكم فلما كتب الكتائب ورتب الصفوف اقبل علينا بوجهه ثم قال .

اما بعد فقد كان سابقا في علم الله اجتماعنا في هذه البقعة من الارض لآجال اقتربت وامور تصرفت يسوسنا سيد الاوصياء ويرأسنا ابن عم سيد الانبياء فامامنا المؤيد بنصر الله من السماء وسيف من سيوف الله الذي انار الله به معالم الدين بعد انطماسه وهاجم الجبابرة والمشركين يوم بدر عن خير المرسلين ورئيسهم معاوية بن اكلة اكباد الشهداء يسوقهم الى دار الشقاء ونحن نرجو الثواب وهم ينتظرون العقاب فاذا حمي الوطيس وحف الرئيس وثار القتام وطال العتاب والملام والتقت حلقتا البطان وتقصف المران وجالت الخيل بالابطال وبلغت النفوس الآجال فلا اسمع الا غماغم الفرسان وهمام الشجعان كان الله ولينا وعلى امامنا والنصر لوائنا ايها الناس غضوا الابصار وعضوا على النواجذ والاضراس فانها اشد لشئون الرأس واستقبلوا القوم بهامكم وخذوا قوائم سيوفكم بايمانكم واطعنوا الشرسوف الايسر فانه تقتل وشدوا شدة قوم موتورين بآبائهم وبدينهم ودماء اخوانهم حنقين على عدوهم قد وطنوا على الموت انفسهم لئلا يسبقوا بثار ولا نلحقوا في الاخرة بثار .

(١) مناقب الخوارزمي ص ١٤٦ طبع ايران .

واعلموا ان الفرار من الزحف مسبة عند الله وفيه الخزي والمذمة الى يوم القيامة وفيه كثرة تلف الانفس في قبيلة رات الادبار والثبات والوقوف محمدة والحمد أفضل من الذم اعاذنا الله واياكم على طاعته واتباع مرضاته ونصرة اوليائه وقهر اعدائه فانه خير معين انتهى .

ومن خطبه الرائعة في الكوفة يستحثهم على الجهاد لما خذلهم الاشعري عن نصرة امير المؤمنين عليه السلام .

قال الشيخ المفيد « ره » في كتاب الجمل (١) ثم خرج الاشتر رحمه الله وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

ايها الناس اصغوا الي باسماعكم وافقهوا لي بقلوبكم ان الله عز وجل قد انعم عليكم بالاسلام نعمة لا تقدرون قدرها ولا تؤدون شكرها كنتم اعداء يأكل قويكم ضعيفكم وينتهب كثيركم قليلكم وتنتهك حرمات الله بينكم والسبيل مخوف والشرك عندكم كثير والارحام عندكم مقطوعة وكل اهل دين لكم قاهرون فمن الله عليكم بمحمد فجمع شمل هذه الفرقة والف بينكم بعد العداوة وكثركم بعد ان كنتم قليلين ثم قبضة الله وحوله اليه فجرى بعده رجلان ثم ولي بعدهما رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره وعمل في احكام الله بهوى نفسه فسألناه ان يعزل لنا نفسه فلم يفعل واقام على احداثه فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا ودنيانا ولا يبعد الله الا القوم الظالمين .

وقد جاءكم الله باعظم الناس مكانا واعظمهم في الاسلام سهما ابن عم رسول الله « ص » وافقه الناس في الدين واقرأهم للكتاب واشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد استنفركم فما تنتظرون .

اسعيد ام الوليد الذي شرب الخمر وصلى بكم على سكر والثاني منها قد استباح ما حرمه الله فيكم اي هذين تريدون قبح الله من له هذا الرأي ألا فانفروا مع الحسن بن بنيكم ولا يتخلف رجل له قوة فوالله مايدري

(١) كتاب الجمل ص ١٧١ طبع النجف .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

رجل منكم ما يضره وما ينفعه وانني اكم ناصح شفيق عليكم ان كنتم تعقلون او تبصرون اصبحوا انشاء الله غداً غادين مستعدين وهذا وجهي الى ما هنالك بالوفاء انتهى .

وللاشتر خطب كثيرة يأتي بعضها .

(اراء الاشتر ومعتقداته)

اراء مالك الاشتر ومعتقداته

الاراء رأيه في الوطنية : كان الاشتر حراً قحا ووطنيا محضا ينافح ويكافح عن وطنيته بسيفه ولسانه ما استطاع وما اتاحت له الفرص السانحة ومكنته الظروف من الدفاع عنها ولم يكن يؤثر شيئا بعد ديانته على الوطنية .

فالاشتر اول رجل عرفه التاريخ العربي الاسلامي يبذل جهوده في مقاومة الاستعباد ويدأب جاداً في مكافحة الاستبداد المجتاح الوطنية جدالا وجلادا وقد كان في الحفلة التي كانت عند الامير الاموي بل محتفل السمر عنده مع خواص سماره .

وفي العادة المألوفة ان الالفة والاختصاص والتقدمة في التكريم توجب المحابات والاغضاء وتجر الى التغاضي عن الهفوات والاشتر لما كان شديد الوطنية حر العقيدة قوي الايمان بحرية الوطن المحبوب لم يخطر في فكرته جواز الاستبداد على الشعب العربي الحر فلم يحتمل كلمة الامير الاموي المنهور ولم يغفر له مقالته الفظة ان السواد بستان لقريش لما عرف مغزاه وتيقن رمزه انه يريد ان يجعل القطر العراقي مستعمرة لقريش وهذا مما يوحي لذي الشعور الحي ان هذا اول قضاء على الحرية العربية واول ضربة موجعة للوطنية وفي سلب الثروة عن افراد الشعب بانتزاع املاكه ايحاء

الموت اليهم فقراً وهزالا وصب الدمار عليهم تبعيدا وجلاء والقصور الحمراء والحدائق الغناء والرياض المزدهية بالنباتات والاشجار الباسقة انما هي مهر دمائهم التي سفكوها في سبيل تبعيد الفرس واجلائهم عن تلك الديار وما غرست تلك الحدائق الا بدماء ضحايا العرب المسلمين ولا بنيت تلك القصور الا بجماجم الابطال وهامات الفرسان فاستبدلوا هذا السواد بحمر الدماء .

فالقادسية التي غدت بيداؤها تلالا وهضابا من الجماجم والهامات وصبغ واديها الاخضر بالارجوان السائل من النحور واين كانت امية التي يريد الامير الاموي ان يجعل العراق لها مستعمرة عن مشهد تلك الوقعة الهائلة التي دارت رحاها بين العذيب والسدير فطحنت فارسا طحنا شديدا لم يبق لها بعده الا النقال .

فلذا يقول الاشتر اتجعل السواد الذي افاء الله علينا باسيافنا بستانا لك ولقومك فتطورت هذه المحاورة الجدلية بطور آخر وتحولت من الجهة السلبية الى الجهة الايجابية دعى الاشتر الى الانتقام من المداهن والتنكيل من المغشوش مدير شرطة الامير الجائر تار اعضاء المحفل وافراد السمر الى ذلك المداهن فانزلوا به أشد العقوبة والتنكيل .

ولم تزل تعقد المجالس وتحتشد المحافل على حل هذه القضية حلا مرضيا يبتني على التفاهم والتوضيح فهم في المفاوضة واجالة الاراء اذ فاجئهم الامر القاسي بطرد المعترضين وعلى رأسهم الاشتر الى اقاصي البلاد والتبعيد عن اوطانهم فاقاموا في المنفى البغيض حتى سنحت لهم الفرصة بالعود الى الكوفة فرجوا اقطارها بالتنديد لاعمال الجائرين وهزوا نواحيها بنعي الاثرة والاستبداد فحدثت الضجة في القطر العراقي واستفحلت الثورة فذهب الخليفة ضحية الاستغلال ملخص هذه الحادثة عند المسامرة .

ذكر ابن ابي الحديد عن الطبري ما نصه (١) وما اورد في ذلك الا

(١) شرح النهج ص ١٥٩ ج ١ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ما اورده ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ وخلاصة ذلك ان عثمان احدث احداثا مشهورة نقمها الناس عليه من تأمير بني امية ولاسيما الفساق منهم وارباب السفه وقلة الدين واخراج مال الفيء اليهم وما جرى في امر عمار وابي ذر وعبدالله بن مسعود وغير ذلك من الامور التي جرت في اول خلافته ثم اتفق ان الوليد بن عقبة كان على الكوفة وشهد عليه بشرب الخمر وولي مكانه سعيد بن العاص فقدم سعيد الكوفه واستخلص من اهلها قوما يسمرون عنده فقال يوما ان السواد بستان لقريش وبني امية .

فقال الأشتر وتزعم ان السواد الذي افاء الله علينا باسيافنا بستان لك ولقومك فقال صاحب شرطته اترد على الامير مقاله واغلظ له فقال الاشتر لمن كان حوله من النخع وغيرهم من اشراف الكوفة الا تسمعون فوثبوا عليه بحضرة سعيد فوطئوه وطئا عنيفا وجروا برجله فغاظ ذلك على سعيد وابعد مغاره فلم يأذن لهم بعد فجعلوا يشتمون سعيدا في مجالسهم ثم تعدوا ذلك الى شتم عثمان واجتمع اليهم ناس كثير حتى غلظ امرهم الى اخر القصة الآتية .

رأي الأشتر في القومية : القومية في عصر العرب الجاهلي بل والعصور الاسلامية تطلق على القومية بالمعنى الاعم كتحزب الجنسيات والتحيز في كل جنس الى جنسه كعموم العربي في قبال سائر الاجناس العجمية وقومية بالمعنى الاخص كالتحزب الصنفي مثل تحيز العدنانية وتحزبها على القحطانية والقحطانية على العدنانية اما الرأي الاول فقل ان يخلو منه عربي فطري ولكن الاسلام رفع هذه الحزبية واما الرأي الثاني فيمقته العقلاء ويحذره المتنورون

ولم يكن الاشتر ممن يعضد القومية المزيفة ولا يتمشى مع فتنها الزائفة التي لا تريد مصلحة الامة ولا تحب الالفة والاجتماع لان الاشتر قوي العقلية وقاد الفكرة شديد التمسك بالقوانين الاسلامية التي من اظهرها واقواها رابطة الاسلام فانه اسس على التآخي والتحاب وبهذا النظام الوحيد

تألفت جمعية قوية ضربت خيشوم كسرى وهرقل وبنت على عروش الدولة الكسروية والرومانية المنهارة وصروحها المتداعية مملكة اسلامية قوية سادت العالم باسره واجتازت الى حدود الصين الاقصى وعبرت مضيق البسفور واستولت على ما وراء جبل الفتح في الغرب الى ان احتلت شطر المملكتين العظيمتين الفرنسية والنمسية فالالغاء الديني والرابطة الاسلامية هي السبب الوحيد في قوة الدولة العربية والتي نشرت معارفها على الكرة الارضية باسرها .

والذين يتشبثون بالقوميد الضيقة من سخفاء العقول امثال الخوارج اليمانية الذين قالوا لا يحكم فينا مضريان ولا نرضى إلا بالاشعري حكما بعض رؤساء اليمن امثال طارق النهدي الذي اغضبه اقامة الحد على النجاشي الحارثي الشاعر قائلا لامير المؤمنين « ع » اوغرت صدورنا .

وقد ثار الأشتر في وجوه هؤلاء المفرقين لكلمة الاسلام والساعين في تشتيت الامة العربية المتألفة جميعها من شتى العناصر تحت راية الاسلام فكبح جماح المتمردين وردع غادية الناكثين عن جادة الانصاف بما سنتلوه عليك

وما عمل الخلفاء إلا تقوية الرابطة الاسلامية التي بها سادوا الامم والشعوب فترى الخليفة الثاني يقصي اشراف قريش امثال ابي سفيان والحارث ابن هشام وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية وسهيل بن عمرو في امثالهم ويدني السابقين الى الاسلام كسلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي ويرفع منازلهم وتراه من ناحية ثانية يوصي ان يصلي بالمسلمين صهيب الرومي حتى يفرغوا من امر الشورى وتجده هو والخليفة الاول يصليان خلف سالم مولى ابي حذيفة والصلاة اهم شيء لا لانها امامة والامام افضل من المأموم ولكن كل هذه الاعمال كانت حفظاً لنظام الاخاء الاسلامي ولم يقصدا بذلك قصد الشعوبية البغيضة كلا .

والاشتر حيث كان بعيد الغور كثير التفكير في العواقب لم يراعي ما

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

راعته السخناء اصحاب الجباه السود اهل الرياء والعبادة الصورية المزيفة ولم يرد ما اراده بغاة الفخفخة واهل البذخ والتعاظم من اليمانية الجهلاء .

بل رضخ للحق وانقاد للمصلحة العامة في اتباع امام الهدى الذي انيط به اقامة الحدود المعطلة واريد منه النظر في مصالح الامة فهو الذي يختار لها من فيه المصلحة وله اللياقة بقهر الخصم المحتال شانئ الرسول وسواء كان مضريا ام يمانيا .

وقد قرر الدكتور طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى عثمان ان ابا بكر انظر للامة منهالها في اختيار عمر بن الخطاب وان كان هذا القول من الجهل بمكان ولو صح ذلك لكان رسول الله (ص) انظر للامة فلم منعوا اختياره باختيارهم ولان الصلاحية للادارة واللياقة للقيام بمهمات السياسة يجب ان يكون بعد التجربة والاختبار وبالتجربة تظهر جوهرية كل شيء وقد تفهم المسلمون هذه التولية المنصوصة وعارضوا صراحة كطلحة وغيره وواجهوا ابا بكر بكلمة ذليظة وابو بكر نفسه لم يرتضي خطة عمر ولم يعمل بها في خلافته فقد امر عمر ابا بكر ان يقتص من خالد بن الوليد بمالك بن نويرة وان يرجمه باحجاره لتزويجه زوجته في ليلتها وامره ان يرد الاموال والسبايا فخالف كل ذلك ابو بكر ورفضه ومن لم يكن عنده اهلا في السياسة في حياته فكيف يكون اهلا لها بعد وفاته ولكن دعهم فليقولوا ما شاؤا .

ليس سبيل انتخاب العضو للمحاكمة وترشيحه للخصومة سبيل اختياره للامامة ان المحاكمة لا تحتاج الى اكثر من معرفة الحكم والقدرة على التخلص من حيل الخصم .

وليس قصد الاشتر الا ربط العناصر الاسلامية بعضها بعض والتفاف شعوبها وتكتلها حول رئيس واحد والصفية مفرقة فاراد الاشتر رفع العصبية ومحق التحزب الطائفي وان لا يميز العدناني من القحطاني في جامعة الدين

الاسلامي فلا يرى فرقا بين كون الحكم من عدنان او قحطان ان كانت له لياقة الحاكمية واهلية الدفاع عن حقوق امامه ووطنه هذا رأي الاشتر وهذه عقليته وقد وفقه الله الى السداد وارشده الى العمل بما في كتابه ونبذه ما سواه حيث يقول (انما المؤمنون اخوة) وخذ قصة النجاشي الشاعر وطارق النهدي وانتظر قصة التحكيم قال ابن ابي الحديد في الشرح (١) بعد قصة سكر النجاشي واقامة امير المؤمنين ع الحد عليه روى صاحب الغارات ان عليا عليه السلام لما حد النجاشي غضبت اليمانية لذلك وكان اخصهم به طارق ابن عبد الله النهدي فدخل اليه فقال يا امير المؤمنين ما كنا نرى ان اهل المعصية والطاعة واهل الفرقة والجماعة عند ولاة العدل ومعادن الفضل سيان في الجزاء حتى رأينا ما كان من صنيعك باخي بني الحارث فاوغرت صدورنا وشتت امورنا وحملتنا على الجادة التي كنا نرى سبيل من ركبها النار فقال علي عليه السلام وانها لكبيرة الا على الخاشعين يا اخا نهد وهل هو الا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرمات الله فاقمنا عليه حدا كان كفارته ان الله يقول (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى) قال فخرج طارق من عنده فلقيه ـ الاشتر ـ فقال يا طارق انت القائل لأمير المؤمنين عليه السلام اوغرت صدورنا وشتت امورنا قال طارق نعم انا قائلها فقال والله ما ذاك كما قلت ان صدورنا له لسامعة وان امورنا له لجامعة فغضب طارق وقال ستعلم يا اشتر انه غير ما قلت فلما جنه الليل همس هو والنجاشي الى معاوية فلما قدما عليه دخل آذنه فاخبره بقدومهما وعنده وجوه اهل الشام منهم عمرو بن مرة الجهني وعمرو بن صيفي وغيرهما فلما دخلا نظر معاوية الى طارق وقال مرحبا بالمورق غضنه المعرق اصله المسود غير المسود من رجل بانت منه هفوة ونبوة باتباعه صاحب الفتنة وراس

(١) شرح النهج ص ٣٦٧ ج ١ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الضلالة والشبهة الذي اغتر ركاب الفتنة حتى استوى على رحلها ثم اوجف في عشوة ظلمتها وتيه ضلالتها وابعده رجرجة من الناس واشابة من الحناة لا افئدة لهم (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها) ، فقام طارق فقال يامعاوية اني متكلم فلا يسخطنك ثم قال وهو متكئ على سيفه ان الحمد لله على كل حال . رب علا فوق عباده فهم منه بمنظر ويسمع بعث فيهم رسولا منهم لم يكن من قبله ، يتلو كتابا ولا يخطه بيده اذاً لارتاب المبطلون فعليه السلام من رسول كان بالمؤمنين برأ رحيما .

اما بعد فانا ما كنا نرضع فيما اوضعنا فيه بين يدي امام تقي عادل مع رجال من اصحاب رسول الله « ص » اتقياء مرشدين ما زالوا منار الهدى ومعالم الدين خلفا عن سلف مهتدين اهل دين لادنيا كل الخير فيهم واتبعهم من الناس ملوك واقيال واهل بيوتات وشرف ليسوا بناكثين ولا قاسطين فلم يكن رغبة من رغب عنهم وعن صحبتهم الا لمرارة الحق حيث جرعوها ولوعورته حيث سلكوها وغابت عليهم دنيا مؤثرة وهوى متبع (وكان امر الله قدرا مقدورا) وقد فارق الاسلام قبلنا جبلة بن الايهم فرارا من الضيم وانفة من الذل فلا تفخرن يا معاوية ان شددنا نحوك الرحال واوضعنا اليك الركاب اقول قولي واستغفر الله العظيم لي ولجميع المسلمين .

فغمظ على معاوية ما سمعه وغضب ولكنه امسك وقال ياعبد الله انا لم نرد بما قلناه ان نوردك مشرع ظمأ ولا ان نصدرك عن مكرع ري ولكن القول قد يجري بصاحبه الى غير ما ينطوي عليه من الفضل ثم اجلسه معه على سريره ودعاه بمقطعاة وبرود فصبها عليه واقبل نحوه بوجهه يحدثه حتى قام وقام معه عمرو بن صرة وعمرو بن صيفي الجهنيان واقبلا عليه باشد العتاب وامضه بلوماته في خطبته وما واجه به معاوية فقال لهما طارق والله ما قمت بما سمعتما حتى خيل لي ان بطن الارض خير من ظهرها عند سماعي ما اظهر من العيب والتنقيص لمن هو خير منه في الدنيا والاخرة وما زهت به نفسه

وملكه تعجبه وعاب اصحاب رسول الله « ص » واستنقصهم فقمت مقاما اوجب الله علي فيه ازلا اقول الا حقا ولي خير فيمن لا ينظر ما يصير اليه غدا فبلغ عليا (ع) بالعراق قوله فقال لو قتل النهدي يومئذ لقتل شهيدا انتهى

رأي مالك الاشتر في استقامة العرب : اني لاجد الاشتر من اكابر الرجال السياسيين واعظمهم تفكيرا في الانظمة الادارية وضبط المملكة الواسعة التي دخلها الانحطاط والضعف بسبب تخاذل العرب وتقاعدهم عن نصر امير المؤمنين عليه السلام والتحاق الوجوه والاشراف بمعاوية امير الشام احضر امير المؤمنين عليه السلام الأشتر حين اختل نظام المملكة وكان يثق بنصحه ويستصوب رأيه ويشاوره في الامور السياسية ويفاوضه في الامور الادارية ما لم يمنع منها مانع الدين قائلا له ما للناس ينفضون عنا فاجابه فرقهم العدل يا امير المؤمنين ورغبوا في الدنيا هذه الكلمات تعرفك مقدرة الاشتر ونباهته في السياسة وخبرته باصلاح العرب وكيفية مداراتهم واصلاح خللهم ويعتقد الاشتر ان الاستقامة للساطان الديني تشمر بامور :

١ — صحة العقيدة وخلوص الايمان .
٢ — العفة والورع عما يثلم المروة ويخدش الشرف .
٣ — الحياء من ارتكاب النقائص واكتساب الرذائل .
٤ — الهمم العالية والاخلاص للوطن ولجماعة الاصحاب .

وعرب الكوفة في عصر الخلافة العلوية تعروا من جميع هذه الخلال وفقدوا كل هذه الخصال فاسرعوا مغذين الى امير الشام واسلموا وطنهم وامامهم والراي عند الاشتر في علاج هذا الداء السارى والمرض المزمن بقطع عضو الامل الذي شل بالاطماع ولا دواء له الا المال الذي اياه طلبوا ولاجله هربوا وكان رايا سديدا على نهاية من الجودة والاحكام واميرالمؤمنين عليه السلام يراه سديدا وبعرة صوابا ولكن حال دون قبوله في مثل تلك الظروف الحرجة والتي ينبغي للساسة المحنكين تطبيق مواد الاصلاح لها ورفع العراقيل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التي عرضت لتلك الخلافة القوية - حتى اصبحت مهددة بخطر الانقلاب ، سنة المساوات وفرض العدل منعا من تنفيذ ذلك الرأي فالتزم امير المؤمنين (ع) سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وحكم القرآن بالمساوات والعدل ورفض المفاضلة في القسم .

يموه الاشتراكيون على السخفاء بان الاسلام اشتراكي لانه يامر بالمساوات وهذه مغالطة نكراء وفرق بعيد بين الاشتراك والمساوات الاشتراك معناه سلب حرية الانسان في تصرفه باموالة واملاكه وموادثروته والحجر عليه فيها وانه لا يستبد بها وانه شريك مع المعدمين فيها وهـذا شيء يبرء منه الاسلام لانه اعطى المتمولين والمثرين حرية التصرف في اموالهم وحرم على الناس المشاركة لهم فيها الا برضا منهم واخذ منهم الفضلة التي لا تضر بهم ولا تجحف فردها على الفقراء ، والمساوات في الاسلام هي قسمة الحقوق العامة التي اشترك الجميع في تحصيلها باذ لا يفضل واحد على اخر فهذه المساوات الاسلامية وتلك الاشتراكية فلا تخدعك الشيوعية بزخارفها وتستغوي عقليتك بتمويهها ، فالعرب اهل دنيا يميلون معها حتى قال معاوية لا يذلن لهم دنياي حتى تغلب دنياي اخرة ابن ابي طالب .

قال ابن ابي الحديد في الشرح «١» ، عن المدائني قال ان من اوكد الاسباب في تقاعد العرب عن امير المؤمنين «ع» امر المال وانه لم يكن يفضل شريفا على مشروف ولا عربيا على عجمي ولا يصانع الرؤساء واشراف القبائل كما يصنع الملوك ولا يستميل احدا الى نفسه وكان معاوية بخلاف ذلك فترك الناس عليا عليه السلام والتحقوا بمعاوية .

فشكى عليه السلام الى الاشتر تخاذل اصحابه وفرار بعضهم الى معاوية فقال الاشتر يا امير المؤمنين انا قاتلنا اهل البصرة باهل البصرة والكوفة ورأي الناس واحد وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النية وقل العدد

«١» شرح النهج ص ١٨٠ ج ١

وانت تاخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحق وتنصف الوضيع من الشريف فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع فنهجت طائفة ممن معك من الحق اذ عموا به واغتنموا من العدل اذ صاروا فيه ورأوا صنائع معاوية عند اهل الغناء والشرف فتاقت انفس الناس الى الدنيا وقال من ليس للدنيا بصاحب واكثرهم يجتوي الحق ويشتري الباطل ويؤثر الدنيا فان تبذل المال يا امير المؤمنين يمل اليك اعناق الرجال وتصفو نصيحتهم لك ويستخلص ودهم صفو الله لك يا امير المؤمنين وكبت اعدائك وفض جمعهم واوهن كيدهم وشتت امورهم (انه بما يعملون خبير) .

فقال علي عليه السلام اما ماذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل وان الله عزوجل يقول (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) وانا من ان اكون مقصرا فيما ذكرت اخوف واما ماذكرت من ان الحق ثقل عليهم فارقونا لذلك فقد علم الله انهم لم يفارقونا من جور ولا لحؤ اذ فارقونا الى عدل ولم يلتمسوا الا دنيا زائلة عنهم كأن قد فارقوها ويسئلن يوم القيامة ألا لدنيا ارادوا امم الله عملوا واما ماذكرت من بذل الاموال واصطناع الرجال فانه لا يسعنا ان نؤتي امرءاً من الفيء اكثر من حقه وقد قال سبحانه وتعالى وقوله الحق «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين» وقد بعث الله محمدا «ص» وحده فكثر به القلة واعز فئته بعد الذلة وان يرد الله ان يولنا هذا الأمر يذلل لنا صعبه ويسهل لنا حزنه وانا قابل من رأيك ما كان لله عزوجل رضا وانت من آمن الناس عندي وانصحهم لي وارفقهم في نفسي انشاء الله انتهى .

رأي الاشتر في الموادعة يوم صفين : حديث الموادعة كان مكرا وطلب الصلح خداعا ودهاء لدفع اضرار الحرب التي انهكت قواهم وابادت جيشهم وكادت الجيوش العلوية تكتسح الجيوش الاموية وتنسفها نسف العواصف الغبار هبت زوبعة هائلة وعصفت عاصفة مروعة بجيش الشامي من صدمة

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قائد جيش العراق الاشتر ذاك الجبل الاملس والافعى الاطلس فارتاع امير الشام وخف للهرب واستعلى على جواد الفرار فاقعدته الحامية الشامية رغما واوقفته القوة الباقية قهرا تقول ابيدت قوادنا واستاصلت امراؤنا وضباطنا امام لوائك الفاشل وها انت تنتهز فرصة الفرار اقم ما اقام معك انسان فاقام بقلب يخفق خفقان جناح الطائر وجسم يرتعد ارتعاد المقرور ويهتز اهتزاز السعفة في الريح العاصف استغاث بشيطان قريش الاشهب ابن النابغة حاملة راية الفجور مستنجدا بدهائه بعد الياس من النجدة بالجلاد فالتفت اليه الداهية التكراء قائلا اعددت لك رايا مخذلا للعراق وحيلة تزرع فيهم حب الفشل فاعلن بسرعة رفع المصاحف فانخدع العراقيون الغفل بتلك الحيلة وجدوا في اطفاء الحرب واخماد الملحمة دؤلاء الزهاد المراؤن ومستودعوا الايمان الذين لم يتجاوز تراقيهم وما تعدى حناجرهم فضجوا ضجة دوى لها وادي صفين البقيا البقيا الصلح الصلح واحتاطوا بامير المؤمنين ع باستداروا عليه استدارة الرحى بالقطب هاتفين اجب القوم ورد الاشتر ان هذا هو البلاء قد قال الشاعر :

ومن البلية عذل من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يفهم

فالاشتر من العارفين بدهاء الشاميين ومكرهم ومغفلية نساك العراق وغباوتهم ولكن استفحل الامر واتسع الخرق ولم يمكن الرتق لذلك الفتق فاستسلم للقضاء ولم يقر بكلمة تدل على الرضا .

ان الاشتر قوى الايمان شديد التبصر في الدين راسخ العقيدة لم تزعزعه مواقف الارتياب كما زعزعت ارباب البصائر ولم تزلزل راسخ ايمانه شبهة الزائغين برفع المصاحف خديعة ومكرا ولم ينخدع بهتاف اهل الشام واستنجادهم باهل العراق حتى قلب فكرة المتبصرين منهم عن المضاء والجد وحتى ارتد شطر الجيش وانقلب على الاعقاب دهشة وذهولا اذ فاجئتهم بلية ارتفاع المصاحف وهتاف اشياخ السوء على غير روية ولا استعداد فاصبحت للعباد

فتنة والزهاد المتنسكين اضلالا واغواء .

وكان الأشتر يحذو حذو امير المؤمنين « ع » في زيادة البصيرة بضلالة رافعيها وثبات العزم في وجوب محق القاسطين او ينيبوا الى لزوم الحق والتمسك بالكتاب والسنة ذلك الرجل الثابت العزم القوي العزيمة الماضي في جده ويقينه في نصرة الحق وامام العدل ويعلم ان اهل الشام ما طلبوا الموادعة والصلح إلا بعد ماقهرهم اهل العراق واستعلوا عليهم فارادوا بذلك فل حدهم وكسر سورتهم فما زاده رفع المصاحف إلا ثباتا وعزما ومضاء على حقه الذي جالدهم عليه اولا حين دعاهم امير المؤمنين (ع) الى حكم القرآن قبل نشوب الحرب فما اجابوا إلا بان حول منبر دمشق سبعون الف شيخ خاضبي لحاهم رافعي ثوب عثمان يبكون عليه فقال امير المؤمنين « ع » ما قميص عثمان بقميص يوسف ولا بكاؤهم ببكاء يعقوب فكيف ينخدع الأشتر بمكايد ابن النابغة ويغتر بحيل ابن اكلة الاكباد كلا هو اكيس واعقل من ان يصاب بمرض العقل او شلل التفكير .

قال نصر بن مزاحم (١) وهو يذكر حوادث ليلة الهرير ورفع المصاحف عن رجل من النخع قال رأيت ابراهيم بن الاشتر دخل على مصعب بن الزبير فسأله عن الحالة كيف كانت فقال كنت عند علي « ع » حيث بعث الى الأشتر ان يأتيه وقد اشرف على عسكر معاوية ليدخله فارسل اليه علي « ع » يزيد بن هاني ان أثبتني فاتاه فبلغه فقال :

الاشتر اته وقل له ليس هذه الساعة ينبغي لك ان تزيلني فيها عن موقفي اني قد رجوت ان يفتح الله لي فلا تعجلني فرجع يزيد بن هاني الى علي « ع » فاخبره فما هو الا ان انتهى الينا حتى ارتفع الرهج وعلت الاصوات من قبل الاشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لاهل العراق ودلائل الخذلان والادبار على اهل الشام فقال له القوم (٢) والله لا نراك إلا آمرته بقتال

(١) كتاب صفين ص ٢٩٥ . (٢) يعني الخوارج .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

القوم فقال ارأيتموني سارت رسولي أليس انما كلمته على رؤسكم علانية وانتم تسمعون قالوا فابعث اليه فليأتك والا فوالله اعتزلناك قال ويحك يا يزيد قل له اقبل الي فان الفتنة قد وقعت فاتاه فاخبره فقال له الاشتر أرفع هذه المصاحف قال نعم قال اما والله لقد ظننت انها حين رفعت ستوقع اختلافا وفرقة وانها من مشورة ابن النابغة (١) يعني عمرو بن العاص ثم قال له يا يزيد ألا ترى الفتح ألا ترى ما يلقون ألا ترى الى الذي يصنع الله لنا ايبغي ان ندع هذا وننصرف عنه فقال له يزيد اتحب انك ظفرت هاهنا وان امير المؤمنين «ع» بمكانه الذي هو به يسلم الى عدوه قال سبحان الله والله ما احب ذلك قال فانهم قالوا ابترسان الى الأشتر فليأتك او لنقتلنك كما قتلنا عثمان او لنسلمنك الى عدوك قال فاقبل الاشتر حتى انتهى اليهم وقال يا اهل الذل والوهن أحين علوتم القوم ظنوا انكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها وقد والله تركوا ما امر الله فيها وسنة من انزلت عليه فلا تجيبوهم امهلوني فواقا فاني احسست بالفتح قالوا لا قال فامهلوني عدو فرس فاني قد طمعت في الفتح قالوا اذاً ندخل معك في خطيئتك فقال حدثوني عنكم وقد قتل اماثلكم وبقي اراذلكم متى كنتم محقين حيث كنتم تقتلون اهل الشام فانتم الآن حيث امسكتم عن القتال مبطلون ام الآن محقون فقتلاكم في النار قالوا دعنا منك يا اشتر قاتلناهم في الله ونترك قتالهم في الله فانا لسنا نطيعك فاجتبنا قال خدعتم والله واخدعتم ودعيتم الى وضع الحرب فاجبتم يا اصحاب الجباه السود كنا نظن ان صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا الى لقاء الله فلا اري فراركم إلا الى الدنيا فقبحا لكم يا اشباه النيب الجلالة ما انتم براثين بعدها عزا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجه

(١) النابغة ام عمرو بن العاص من عنزه من ربيعة كانت عاهرة ذات راية على الفجور .

دوابهم فصاح بهم علي «ع» فكفوا .

فقال الاشتر يا امير المؤمنين احمل الصف على الصف يصرع القوم فقالوا ان امير المؤمنين عليه السلام قد قبل الحكومة ورضا بحكم القرآن ولم يسعه الا ذلك .

فقال الاشتر ان كان امير المؤمنين «ع» قد قبل ورضا بحكم القرآن فقد رضيت بما رضا به امير المؤمنين «ع» وهو لا يمض بكلمة مطرق الى الارض قال نصر عن عمارة بن ربيعة الجرمي قال لما كتبت الصحيفة دعي لها الاشتر فقال لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها الشمال ان كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح او موادعة او لست على بينة من ربي ويقين من ضلالة عدوي او لستم قد رأيتم الظفر ان لم تجمعوا على الجور فقال له رجل من الناس انك والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً فهلم فاشهد على نفسك واقر بما كتب في هذه الصحيفة فانه لا رغبة بك عن الناس .

فقال الأشتر بلى والله ان بي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الاخرة للاخرة ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما انت بخير منهم عندي ولا احرم دما قال عمارة بن ربيعة فنظرت الى ذلك الرجل وكانما قصع على انفه الحم وهو الاشعث بن قيس .

ثم قال رضيت بما صنع علي امير المؤمنين «ع» ودخلت فيما دخل فيه وخرجت مما خرج منه فانه لا يدخل الا في هدى وصواب انتهى كثيرا ما كنت اسمع من يقول اذا مر بكلمة الاشتر احمل الصف على الصف ايه هو هذا الرأي الصائب هذا هو الاوفق بقواعد الحزم وعندي ان هذا التصويب عين الخطأ ومحض الغلط ان هؤلاء المصوبين لهذا الرأي المجيزين لهذه الفكرة جهلاء .

ولم يقلها الاشتر رحمه الله على جهة التفكير وتدقيق الرأي وانما قالها حماسا وغيظا وحنقا وغضبا على المعاندين والمعارضين الجادين في اطفاء

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحرب والجادين في قبول المتاركة والهدنة والذي منع امير المؤمنين «ع» من اجابة الاشتر على هذا الرأي لان الظروف ضيقة عن البيان لا تتسع للشرح وقد فهم الاشتر من سكوته «ع» وتفطن بفكره الثاقب واصاب بقريحته الوقادة فعرف انه قد رضا مقهوراً واجاب مضطراً فاذعن وسلم والموانع من حمل الصف على الصف عدة امور عقلية وشرعية .

١ – وعد النبي «ص» من انه تمرق مارقة على حين فرقة من الناس وانه يقتلهم اولى الطائفتين بالحق وانه صلى الله عليه وآله وسلم قد وصفهم بصفتهم وذكر رجلا فيهم له علامة وهي ثدي كثدي المرءة جعله امارة عليهم وامر عليا «ع» بقتلهم وكان هذا الموصوف بهذه الصفة في جيش امير المؤمنين «ع» بصفين واحد الساعين في الموادعة والمحبذين للهدنة فلو حمل علي «ع» الصف على الصف لم يظهر أمر المارقين وقد امر النبي «ص» عليا «ع» بقتال ثلاث طوائف الناكثين والقاسطين والمارقين وقد تواترت الاحاديث فيهم ومنها حديث ابي ايوب الانصاري واتفقت على روايته اهل السنة والشيعة وفي حمل الصف على الصف ابطال لهذا القول الصادق الذي لابد من ظهوره .

٢ – ان الحزب الكبير الذي اذعن لقبول الحكومة كان اكثره في ذلك مرتابا وشاكا في حقيقة الامر وانما جهل فقه المسألة في انه لا يجوز رد من دعي الى حكم القران ولو كان دعاه مشوبا بغش وخداع وهذه موجة عظيمة غطت هامات كثير من روساء الجيش العراقي وبطول المدة تبصروا ورجعوا الى امير المؤمنين «ع» تدريجا باحتجاجه عليهم واحتجاج ابن عباس وغيره من علماء اصحابه حتى لم يبق احد ممن له عقل ودين وبقي محض المارقين تحت ظلمة العمى فقتلهم بالنهروان ولو حمل الصف على الصف لطعن هؤلاء الذين غمرتهم الشبهة وغطت عليهم موجة الوهم فانجلت عنهم الغباية فاشبه هذا الصلح صلح الحديبية .

٣ – ان الجيش العراقي في ذلك الموقف الرهيب اصبح في خطر الانقسام لانه صار ذا احزاب ثلاثة خطيرة الحزب العثماني الذي كان يترقب اي حركة تحدث يتوصل بها الى اضعاف الحزب العلوي لينال بذلك التشفي في الانتقام منه زاعما انها نصرة لعثمان والحزب الجديد حزب المارقة الذي تشكل برئاسة الاشعث بن قيس المنافق الثالث الحزب المحايد او المتوقف الشكاك الذي يكون مرة هكذا ومرة هكذا فعلى اي حزب من هذه الثلاث يحمل علي «ع» الصف على الصف .

٤ – ان رؤساء جيش علي قد مال كثير منهم الى معاوية حيث اطمعهم بالاموال امثال الاشعث وابن المعمر ونظرائهما فاخذوا في اعمال الوسائل على تسكين الحرب واطفأ النائرة وبث روح التفرقة في الجيش فكيف يحمل الصف على الصف والحال هذه اذ لو قتل الاشعث وخالد بن معمر على هذه الكيفية لغضب عشائرهما كندة وربيعة واعانهم حتى المتبصرون حمية جاهلية فحصل بذلك عطب الجيش ومحال ان يرتكب امير المؤمنين «ع» هذه الخطة ذات العثار والعراقيل .

٥ – قد شاع واشتهر ان اهل الشام يريدون حكم الله والناس لا تعلم ما في نفوسهم من الغش والدغل ولا يعرف زيفهم والخادم الا الحذاق من المفكرين والذين خالطوهم ودرسوا احوالهم فلو حمل علي «ع» الصف على الصف لقال الناس عنه لم يقاتل على دين ولا على احياء سنة وكتاب وانما يقاتل على الملك والسلطان وكان يدعوا الى حكم القرآن حيث لا علم له بالظفر فلما تيقن الغلبة لعدوه رد حكم القران وقد طلب منه المحاكمة اليه فعلي «ع» يعرف هذا ولا يتفطن له الاشتر .

٦ – لو حمل الصف على الصف وقتل هؤلاء الذين يدعون الى حكم القرآن بزعمهم لشنع عليه الناس وقالوا دعى قراء الناس وزهادهم فنهضوا معه وقاتلوا اعداءه حتى اذا عرضت لهم كلمة حق طلبوها منه نهض عليهم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وقتلهم فهو ملك يقتل كل من خالف رأيه ولو كان محقا لا خليفة يقبل الحق اذا عرض عليه ويعمل به وهـذه ايضا لم يتفطن لها الاشتر وبه صرح الخوارج لما قال لهم امير المؤمنين «ع» اني اخترت الاشتر حكما قال الاشعث وهل سعر الارض علينا إلا الاشتر وهل نحن الا في حكم الاشتر قال له علي «ع» وما حكمه قال حكمه ان يضرب بعضنا بعضا بالسيوف ليكون ما اردت وما اراد الى آخر ما ذكره نصر بن مزاحم (١)

معتقدات مالك الاشتر :

عقيدته في امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» وتشيعه : يتراءى للناظر في صفحات التاريخ والمتبحر خلال سطوره وطروس اسفاره وتنصيص رجاله في قصد الكوفيين غير امير المؤمنين «ع» في فتنة عثمان انهم على العموم والاشتر على الخصوص ما كانوا يعرفون عليا «ع» ولا يدينون بولائه ولو كانوا من اهل العقيدة في اهل البيت والولاء لهم لقصدوا عليا «ع» كما قصده المصريون وهذا رأي قائل وقول ساقط وحجة داحضة ان حديث نصب امير المؤمنين «ع» يوم غدير خم وحديث الثقلين مما شاع واشتهر وتغنت به الركبان ورددته العواتق في الخدور .

وان اقتضت السياسة الوقتية تقصير مدى شوطه بالرهبة والترغيب لكن هناك رجال من الصحابة (صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فلم يزجرهم اي ارهاب ولا يصدهم اي وعيد عن القيام بواجب نصيحة الامة والاعلان بما اكده الرسول الاعظم عليهم امثال عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي وعبدالله بن مسعود وعثمان بن حنيف وقرظة بن كعب في امثالهم ممن سكن الكوفة او اجتازها مارا ايام المغازي فانهم قد نشروا فضائل علي بن ابي طالب «ع» وبثوا مناقبه في الكوفة وفي سائر الاقاليم

(١) كتاب صفين ص ٢٧٠ .

حتى تحدثت بذلك العقائل والعجوزات وتلقنته صبيان المكاتب وقد اصبحت الكوفة بلدا شيعيا ومدينة علوية واذا وجد فيها طوائف وافراد تعتقد صحة الرأي والمشورة وتدين بالخلافة الانتخابية ولكن الكثير بل الاكثر من اهلها قد صفت ضمائرهم وصحت عقائدهم وجزموا بان الخليفة الشرعي المنصوص عليه من الرسول الصادق هو علي بن ابي طالب .

هذا رأي اكثر اهل الكوفة عربهم وعجمهم حتى كانت الثورة الكبرى على عثمان كان الكوفيون والبصريون قد اجابوا نداء الصحابة ولبوا دعوتهم في الثورة الحسية بعد الثورة الفكرية على عثمان لجرائم اجترمها وعظائم ارتكبها وفظائع احدثها هو وعماله ورأس المكاتبين لهم من الصحابة طلحة والزبير ومن الامهات المحترمات عائشة وحفصة ولم يكتب امير المؤمنين «ع» لاحد من الناس وان انكرما انكرته الصحابة من اعماله المناقضة لاحكام الدين الاسلامي .

لكنه خاف على الامة التشتيت وخشي الافتراق وحصول الانقسام لان هناك اناس اثقل عثمان ضمائرهم بما حباهم به من اموال الامة الاسلامية ويخافون ان تستعاد منهم ان خلع عثمان او قتل فحافظوا بجهودهم على اقراره في الخلافة لكن سيل الثورة الجارف اكتسح كل سد اقاموه وكل رصيف احكموه فتداعى وانهار .

فالكوفيون والبصريون اجابوا من كانبهم ونزلوا عليه وشاوروه في الامر الذي انتدبهم اليه لتكون الحجة اوكد والدلالة اقوى ولئلا يقول المرجفون ان طلحة والزبير ما قصدوا اثارة الفتنة وما ارادا الاشاطة بدمه اما المصريون فليس في قصدهم امير المؤمنين «ع» إلا ليكون واسطة اصلاح بين الامة والخليفة وليس غيره قابلا لوساطة التفاهم بين الامة والسلطان واغلب المنكرات من عماله وقعت عندهم ولم يكن قصد المصريين الثائرين وفيهم ابن عمه محمد بن ابي حذيفة الاموي الانتقام منه ولا قصدوا سفك دمه

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واما اصابتهم جوائح مجحفة بالاموال والنفوس من عماله وقالهم حيف شديد من امرائه وقواده العسكريين الذين استبدوا باموال الامة فاستبدلوا العدل بالعدوان فاحتكروا الاخماس واموال الفيء لهم خاصة وقد بلغ المصريين عن عثمان نفسه سيرة غير مرضية يحبيها له الوزغ مروان ولم يجدو مأمونا يوثق به في اصلاح الامة غير امير المؤمنين * ع * لان اهل المدنية في امر عثمان فريقان فريق ضعيف جدا لا يرفع به رأس يظهر المحايده ويسر الميل الى عثمان وفريق وهو جمهور المهاجرين والانصار اصبح خصما ألدا لعثمان فلا يوجد كاف عن عثمان ولا متحزب له غير علي * ع * وان عثمان يثق به ولا يثق باحد سواه فان التيمي والعوامي قد سلا صارميها وشحذا مدية لسانيها في سبيل مصرعه مهما كلف الامر ومهما بلغت الحالة فعثمان بالطبع لا يثق بهما ولا يريد مقابلتهما .

فالكوفيون والبصريون شيعة اعتقاداً ولكنهم زبيريون وطلحيون ثورة فلذلك قصدوا لها والاشتر رأس الكوفيين وحكيم بن جبلة رأس البصريين فهما رأس الثوار وقادة الناقمين على الجور والعدوان فلما انتهت تلك الثورة بتضحية الخدوع ببارقة الاطماع صريعا بين الاماني والاعمال والذي جعل نفسه فدية للطليق معاوية والمهدور الدم بن ابي سرح والوليد الفاسق بنص القرآن ومروان الوزغ طريد رسول الله .

قامت تلك العصابة تهتف ولسانها الاشتر معربة عن ولائها القديم لاهل البيت * ع * البخيخة التي بخبخها الاشياخ يوم الغدير في نصب رسول الله ص عليا * ع * علما للرشاد ومناراً للهدى واماما للامة فدعوا الاعيان والوجوه الى الاسراع لبيعته اغتنا ما للفرصة الثمينة التي كانوا يتحرزون سنوحها مدة من الزمن غير مكتفين بعقد الشورى له بعد عثمان حيث تنازل ثلاثة عن حقوقهم لثلاثة وتنازل المرشح الثالث عن حقه بشرط ان يخول نفوذ رأيه في الاختيار فانحصر حق الخلافة في اثنين عثمان وعلي فالمتقدم منهما عثمان

باختيار المرشح وتأخر علي * ع * فهو الخليفة المعين بنص الشورى خان الثوار اذا احالوا على هذا العقد ان يدعى المدعون الاجتهاد الذي محقت به الشريعة ومحى عامة نصوصها لذلك ندبوا لاعيان لعقد البيعة له ليضاف الى حقه الثابت يوم الغدير ويوم الشورى .

والأشتر استعمل الجد وبذل كل جهوده في عقد البيعة للخلافة العلوية حذرا مما تطورت به اطوار الخلافة الاسلامية لانها تطورت باطوار مختلفة وجاءت على اشكال متباينة لا تخفى على ذي الفكرة والرأي ان التطورات السياسية انما هي تبع الاغراض والمقاصد ولم يكن في تطور الخلافة الاسلامية في عقدها وتنفيذها الا مقصد واحد توصل به رجال السياسة من الصحابة دهاة قريش وهو تبعيد علي * ع * عن نيل ذلك المنصب وقد قال * ع * في قصة الشورى لبني هاشم ان اطيع قومكم فيكم لن تملكوا وقال عمر ابن الخطاب لابن عباس ان قومكم كرهوا ان يجمعوا لكم بين النبوة والخلافة

لما فجعت الامة الاسلامية فاجعة مدهشة التي اذهبت العقول وحيرت الالباب وهي فاجعة فقد الرسول ولم تعلق هذه النكبة بقلوب الساسة الذين يتحينون مصير السلطة اليهم اغتنموا اشتغال اهل الحق الشرعي من بني هاشم بمصابهم بالنبي * ص * فهم في اشد الشغل عن مصالحهم بالرسول المحترم المسجى بين اديهم .

قام اولئك السياسيون يتفكرون في اقرب الطرق الى الظفر بصولجان الخلافة فوجدوا اقرب الطرق الموصلة الى المقصود تأسيس الفكرة الانتخابية فجعلوا حقا للامة في انتخاب الامام زعما انهم اعرف بمصالحهم وحيث ان ذلك الوقت القصير لا يصلح للمفاوضة الطويلة والوقوف على ما تتفق عليه الاراء بادروا الى عقد مؤتمر في سقيفة بني ساعدة قصروا فيه حقوق الرأي العام على افراد يثقون بحرصهم على انتشال ذلك الحق المعزق بانياب المطامع فجعلوهم اهل حل وعقد مجيا ثلاثة افراد تكون عنوان الامة الكبيرة والتي

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ملك الارض الواسعة رجالا ونساء فضايقوا الزعماء وازعجوهم عن فكرة التروي في الانتخاب فاصفق اثنان على يد واحد فتمت بهذه الصفقة الخاسرة التي خسر الشعب فيها حرية الفكر البيعة المقصودة وقام الخليفة الاول بخلافته المقتضبة فاستحق عند الخليفة الثاني ان يسم خلافته بالفلتة .

ولما استقر الامر وشعر الشعب العربي الاسلامي بخطر هذا الانتخاب المقتضب كما شعر به الخليفة الثاني نفسه حيث قال من بايع رجلا بغير مشورة فاقتلوه لكنه لم يطبقه على نفسه رعاية لمصلحة الشخصية .

ومنذ تيقن هؤلاء الساسة يقظة الشعب ومراقبته حركاتهم وانهم سيطلبون حرية الانتخاب مطلقة لا مقيدة عدلوا عن هذه الطريقة لعلمهم ان الانتخاب اذا جرى مجراه واعطي كل فرد حريته التامة فلا شك ان عليا ع، يحوز كثرة الاصوات وخاصة الانصار الذين قالوا لو ان عليا ع، اخبرنا بهذا قبل ابرام عقد الخلافة ما عدلنا به غيره فعدل السياسيون عن طريقة الانتخاب الى النصوصية المكنونة في طي قرطاس فحرموا الامة من حرية الفكر وحرموا عليهم الانتخاب .

ولما انتهى هذا الدور قام الاكثرون ينظرون الى امير المؤمنين ع، نظرا واثقوا معه بمصير الخلافة اليه قهرا اما بالانتخاب فانه سيحوز اكثرية الاصوات او نصوصية فهو المنصوص عليه من صاحب الرسالة فغير الخليفة المنتقل الى دار مقره يحمل معه اوزار الامامة اذ خالف فيها المنهجين المعروفين النص والاختيار واخترع منهجا ثالثا لم يصل اليه تفكير المفكرين وهو تأسيس مؤتمر الشوري الذي حصر اعضائه في ستة وجعل لهم اختيار واحد منهم ثم قضى على حرية التفكير لهم بجعل عدم جواز اختيار واحد من الفريق المقابل لعبد الرحمن بن عوف ولو اتفق اربعة ولم يقتصر على هذا الاقتراح دون ان اصدر الامر لسيافه الروي بقتل من خالف رأي ابن عوف وبهذه القيود الضيقة والاوامر الصارمة حرم علي بن ابي طالب نيل الخلافة

اذ الرابطة الودية بين عثمان وابن عوف مؤكدة متصلة العرى قوية الوثائق

تخاف الاشتر ان تحدث ساسة قريش طورا رابعا يستعوون به اهل الحجاز ارباب الادمغة الجامدة فيحول ذلك بين علي ع، والخلافة فبادر مسرعا الى عقد الخلافة واخذ البيعة لامير المؤمنين عليه السلام على جماعة الامة وصادف ان اكثر الشخصيات القرشية عاقت امالهم بتحصيل الامارة من الخليفة الجديد اذ حرموها من الخليفة البائد لذلك سبق الى البيعة طلحة والزبير واعيان المهاجرين مختارين غير مضطرين بعد ان امتنع امير المؤمنين ع، من الاسرار بالبيعة وابى الا الاعلان فاعلنت خارج داره .

ومن الدسائس الملعونة ما حدث به ابن ابي الحديد جريا على عادته من اختيار الاحاديث التاريخية المكذوبة فيدسها في شرحه وهذا مذهب لابي ابي الحديد يقصد به ترويج كتابه فانه يطرح للشيعي ما يوافق مذهبه ثم يذكر للزبيري والاموي وسائر الفرق ما يرغبهم فيه حتى يجلب رضا الجمهور بظنه فيربح مدحا وان فرق الامة ولو علم ان مدح ابن تيمية له وعده من فضلاء الشيعة لا قيمة له في قبال مقت جمهور الامة له وخذ نص الحديث الساقط بروايته (١) ذكر صاحب كتاب الأوائل ان الاشتر جاء الى علي حين قتل عثمان فقال قم فبايع الناس فقد اجتمعوا لك ورغبوا فيك فوالله لأن نكلت عنها لتعصرن عليها عينك مرة رابعة فجاء حتى دخل بيتا سكن واجتمع الناس وحضر طلحة والزبير لا يشكان ان الامر شورى (٢) فقال الاشتر انتظرون احدا قم يا طلحة فبايع فتقاعس فقال قم يا ابن الصعبة وسل سيفه فقام طلحة يجر رجله حتى بايع فقال قائل اول من بايع اشل لا يتم امره ثم لا يتم ثم قال قم يا زبير والله لا ينازع احد الا ضربت قرطه بهذا السيف فقام الزبير فبايع ثم انثال الناس عليه فبايعوه وقيل ان اول من بايعه الاشتر

(١) شرح النهج ٣٤٠ ج ١ (٢) كيف يطلبان الشورى وقد تنازلا عن حقهما في الشورى .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الى قميصة كانت عليه واخترط سيفه وجذب يد علي فبايعه وقال لطلحة والزبير قوما فبايعا والا كنتما الليلة عند عثمان فقاما يعتذران في تبايعهما لا يرجوان نجاة حتى صفقا بيديهما على يده ثم قام بعدهما المضربون واولهم عبد الرحمن بن عديس البلوي فبايعوا فقال له عبد الرحمن :

خذها اليك واعلمن يا احسن انا نمر الحرب امرار الرسن

انتهى ، قال الله ابن ابي الحديد الحنفي فان عرق النسب ينبض فيه يختار هذه القصة الموضوعة التي وضعها الزبير بن بكار الزبيري عصبية لمذهبه وعنصره وليس الزبير باهل ان يحكى عنه شيء يتعلق بالمذاهب المتيقن من بغضه لآل محمد ص ولا يبالي ابن بكار اذا نصر مذهبه وايد عقيدته بتكذيب رسول الله ص الذي اخبر ان عليا ع يقاتل الناكثين وهم طلحة والزبير واصحابهما والقاسطين معاوية واهل الشام والمارقين الخوارج اهل النهروان واذا تمكن ابن بكار في تهمة هذه المقالة صح ان يدعي انهما ما بايعا حتى يقال نكثا وهذا خبث عظيم وغور في الضلالة بعيد والطبري وان ذكر هذه القصة المزيفة لكنه ذكر الروايات الصحيحة من انهما بايعا طائعين وكذلك ابن الأثير ولو اكره الأشتر احدا من الناس لاكره سعد بن ابي وقاص ومحمد بن مسلمة وكعب بن مالك وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وهؤلاء ما بايعوا اجماعا وصرح الطبري ان هذه الرواية رواية الزبير بن بكار ويذكر الطبري انهم ارادوا مبايعة سعد فاخبرهم انه اخرج نفسه منها وكذلك ابن عمر ويذكر الطبري ان الثوار قالوا لاهل المدينة انتم اهل الشورى فاختاروا لكم اماما فاجمع الجمهور على علي بن ابي طالب ع وليس هذا الكتاب موضع ايراد تلك الاقاويل وتصريح اهل السنة ببيعة طلحة والزبير عن رضا منهما وانهما فيما بعد ادعيا الوليجة وغرضنا هنا يتعلق بحال الأشتر في نصيحته واخلاصه لأمير المؤمنين عليه السلام ، قال الشيخ المفيد في كتاب

الجمل (١) وذكر اعيان المبايعين لأمير المؤمنين (ع) ومالك الأشتر النخعي سيفه الخاص في ولايته .

قال ابن واضح في تاريخه (٢) بايعه طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وكان اول من بايعه وصفق على يده طلحة بن عبيد الله فقال رجل من بني اسد اول يد بايعت يد شلاء اويد فاقصة وقام الاشتر وقال ابايعك يا امير المؤمنين على ان علي بيعة اهل الكوفة ثم قام طلحة والزبير فقالا نبايعك يا امير المؤمنين على ان علينا بيعة المهاجرين ثم قام ابو الهيثم بن التيهان وعقبة بن عمرو وابو ايوب فقالوا نبايعك على ان علينا بيعة الانصار وسائر قريش وبايع الناس الا ثلاثة نفر من قريش مروان ابن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة وكان لسان القوم فقال يا هذا انك قد وترتنا جميعا اما انا فقتلت ابي صبرا يوم بدر واما سعيد فقتلت اباه يوم بدر وكان ابوه ثور قريش واما مروان فشتمت اباه وعبت على عثمان حين ضمه اليه ونحن وبنو عبد مناف فتبايعنا على ان تضع عنا ما اصبنا وتعفو لنا عما في ايدينا وتقتل قتلة صاحبنا فغضب علي عليه السلام فقال اما ما ذكرت من وتري اياكم فالحق وتركم واما وضعي عنكم ما في ايديكم فليس لي ان اضع حق الله واما اعفائي عما في ايديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم واما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غدا ولكن لكم علي ان احملكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق عليه الحق فالباطل عنه اضيق وان شئتم فالحقوا بملاحقكم فقال مروان بل نبايعك ونقيم معك فترى وترى وقام قوم من الانصار فتكلموا وكان اول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري وكان خطيب الأنصار فقال والله يا امير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين ولأن كانوا سبقوك امس لقد لحقتهم اليوم وقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك يحتاجون اليك فيما لا يعلمون وما احتجت الى

الجمل (١) ص ٣٧ (٢) تاريخ اليعقوبي طبع النجف ١٤٥ ج ٢ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

احد مع علمك .

ثم قام خزيمة بن ثابت الانصاري وهو ذوالشهادتين فقال يا امير المؤمنين ما اصبنا لامرنا هذا غيرك ولا كان المنقلب الا اليك ولأن صدقنا انفسنا فيك لانت اقدم الناس ايمانا واعلم الناس بالله وا لى المؤمنين برسول الله ص لك ماقام ولبس لهم مالك وقام صعصعة بن صوحان فقال والله يا امير المؤمنين قد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وهي اليك احوج منك اليها (١) .

ثم قام مالك الاشتر فقال ايها الناس هذا وصي الاوصياء ووارث علم الانبياء العظيم البلاء الحسن الثناء الذي شهد له كتاب الله لا بن ورسوله بجنة الرضوان من كانت فيه الفضائل لم يشك في سابقته وعلمه وفضله الاواخر والاوائل .

ثم قام عقبة بن عمرو فقال من لم يقم كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان والامام الاهدى الذي لا يخاف جوره والعالم الذي لا يخاف جهله انتهى ، وبهذا نكتفي مراعاة لهذا الكتاب الموجز عن التطويل وفي هذا دلالة واضحة على سبق معرفة الاشتر بامير المؤمنين عليه السلام معرفة اعتقاد لا معرفة اسم فقط

النصوص على تشيع الاشتر : قال ابن ابي الحديد بعد حديث دفن ابي ذر الآتي ، الاشتر في الشيعة اشهر من ابي الهذيل العلاف في المعتزلة قال قرء كتاب الاستيعاب على شيخنا عبد الوهاب بن سكينة المحدث وانا حاضر فلما انتهى القارئ الى هذا الخبر قال استاذي عمر بن عبد الله بن الدباس وكان يحضر معنا سماع الحديث لتقل الشيعة بعد هذا ما شئت ما قال المرتضى والمفيد الا بعض ما كان حجر والاشتر يعتقد انه في عثمان ومن تقدمه فاشار اليه الشيخ بالسكوت فسكت .

قال الفاضل المجلسي بعد هذا الكلام لعمري لقد كان الاشتر اهلا لذلك

(١) ولعل الامام احمد بن حنبل اخذ هذا الكلام حين سأله ابنه عبدالله عن الخلفاء فقال في علي (ع) انه ما زانته الخلافة ولكنه زانها .

كان شديد البأس جوادا رئيسا حليما فصيحا شاعرا وكان جمع بين اللين والعنف فيسطو في موضع السطوة ويرفق في موضع الرفق انتهى (١) قال الامدي في المختلف والمؤتلف (٢) وكان الاشتر احد الفرسان من ذوي النصر والحمية لامير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» وقال ابن ابي الحديد في موضع اخر (٣) كان الاشتر فارسا شجاعا رئيسا من اكابر الشيعة وعظمائها شديد التحقق بولاء امير المؤمنين (ع) وقال فيه بعد موته رحم الله مالكا كان لي كما كنت لرسول الله «ص» ولما قنت علي «ع» على خمسة ولعنهم وهم معاوية وعمرو بن العاص وابو الأعور وحبيب بن مسلمة وبسر بن ارطاة قنت معاوية على خمسة وهم علي والحسن والحسين وعبد الله بن العباس والأشتر وقال الدميري في حياة الحيوان (٤) مالك بن الحارث بن عبد يغوث الكوفي المعروف بالأشتر من شيعة امير المؤمنين علي ع وكان تابعيا رئيس قومه وله بلاء حسن في وقعة اليرموك وذهبت عينه يومئذ وكان ممن شهد حصار عثمان وشهد وقعة صفين والجمل وكان عمر بن الخطاب اذا رآه صرف نظره عنه وقال كفى الله امة محمد شره الخ .

للمؤلف :

اعد ذكر الاولى سلفوا فنقمى	الى ذكراهم ذات ارتياح
فاني لا امل لهم حديثا	فحدثني الى ضوء الصباح
فذكر الشيعة الابرار انسي	وروحي بل وريحاني وراحي
ولست لمالك ما عشت ناس	ولا اصفى للاحبة ولاح
وفي صهر النبي بكل هول	ونادى الناس حي على الفلاح
وصي المصطفى الهادي علي	اصافح دونه بيض الصفاح
خليفة احمد من غير فصل	وما فعل السقيفة بالصلاح

(١) البحار ص ٧٢٨ ج ٩ تبريز (٢) مختلف الامدي ص ٢٨
(٣) شرح النهج ص ٣١٦ ج ٤ (٤) ص ٣٣ ج ٢ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولا الشورى التي قداسسوها من المرضي فعلا والمباح
اعد ، اتترك ما تواتر يوم خم وتعمل في تشهي واقتراح

اهتمام الاشتر في توطيد خلافة امير المؤمنين :

اخماده فتنة الاشعري : ذكرها الطبري وابن الاثير وانا اذكرها بلفظ الشيخ المفيد قال في كتاب الجمل في مسيره الى البصرة كتاب امير المؤمنين ع الى ابي موسى الاشعري حتى نزل بذي قار فاقام بها ثم دعا هاشم بن عتبة المرقال وكتب معه كتابا الى ابي موسى الاشعري وكان بالكوفة من قبل عثمان ليوصل الكتاب اليه فيستنفر الناس الى الجهاد معه وكان مضمون الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم :

من علي امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس ، اما بعد : فاني ارسلت اليك هاشم بن عتبة المرقال فاشخص معه من قبلك من المسلمين ليتوجهوا الى قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي واحدثوا في هذه الامة الحدث العظيم فاشخص الناس الي معه حين يقدم بالكتاب عليك فلاحبسه فاني لم اقرك في المصر الذي انت فيه الا ان تكون من اعواني وانصاري على هذا الامر والسلام .

فقدم هاشم بالكتاب على ابي موسى الاشعري فاقرأه الكتاب وقال له ما ترى فقال له ابو السائب اتبع ما كتب به اليك فابى ابو موسى ذلك وكسر الكتاب ومحاه وبعث الى هاشم بن عتبة يخوفه ويتوعده بالسجن قال السائب ابن مالك فاتيت هاشما فاخبرته بامر ابي موسى فكتب هاشم الى امير المؤمنين ع

اما بعد : يا امير المؤمنين فاني قدمت بكتابك على امرء شاق عاق بعيد الرحم ظاهر الغل والشقاق وقد بعثت اليك بهذا الكتاب مع المحل بن خليفة اخي طي وهو من شيعتك وانصارك وعنده علم ما قبلنا فاسأله عما بدا لك واكتب الي برأيك اتبعه والسلام ، فلما قدم الكتاب علي علي ع وقرأه دعا

الحسن ابنه وعمار بن ياسر وقيس بن سعد « ١ » وانضم الى ابي موسى وكتب معهم :

من عبد الله علي امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس اما بعد يابن الحائك والله اني كنت لأرى بعدك من هذا الامر الذي لم يجعلك الله له اهلا ولا اجعل لك فيه نصيبا وقد بعثت لك الحسن وعمارا وقيسا فحل لهم المصر واهله واعتزل عملنا مذموما مدحورا فان فعلت والا امرتهم ان « ينابذوك على سواء ان الله لا يحب الخائنين » فان ظهروا عليك قطعوك اربا اربا والسلام على من يشكر النعم ورضي البيعة وعمل لله رجاء العاقبة .

كتاب امير المؤمنين « ع » الى اهل الكوفة :

فلما قدم الحسن وعمار وقيس الكوفة مستنفرين لاهلها وكان في الكتاب معهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي بن ابي طالب الى اهل الكوفة اما بعد فاني اخبركم من امر عثمان حتى يكون امره كالعيان لكم ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين اظهر عتبه واكره قتله وكان طلحة والزبير اهون سيرهما اليه الوجيف وقد كان من امر عائشة في قتله ماقد عرفتم فلما قتله الناس وبايعوني غير مستكرهين طائعين مختارين وكان طلحة والزبير اول من بايعني على ما بايعا عليه من كان قبلي ثم استأذناني في العمرة ولم يكونا يريدان العمرة فنقضا العهد وآذنا في الحرب واخرجا عائشة من بيتها يخذانها فتنة فسارا الى البصرة واخترت السير اليهم معكم ولعمري ما اياي تجيبون انما تجيبون الله ورسوله والله ما اقاتلهم وفي نفسي شك وقد بعثت اليكم ولدي الحسن وعمارا وقيسا مستنفرين لكم فكونوا عند ظني بكم والسلام ، ولما نزل الحسن وعمار وقيس

(١) ملاحظة ياتي في كتب اخرى غير كتب المفيد قيس بن سعد وهو وهم قيس بن سعيد كان واليه علي مصر وانما هو ابن عباد والله اعلم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الكوفة ومعهم كتاب امير المؤمنين « ع » .

كلام الحسن ع وصاحبيه : قام الحسن فقال ايها الناس قد كان من امير المؤمنين ع ما يكفيكم حمله وقد اتيناكم مستنفرين لكم لانكم جبهة الأنصار وسنام العرب وقد نقض طلحة والزبير بيعتها وخرجا بعائشة وهي من النساء وضعف رأيهن قال الله تعالى « الرجال قوامون على النساء » ١ ١ والله لئن تنصروه لينصره الله يتبعه من المهاجرين والأنصار وسائر الناس فانصروا الله ينصركم .

وقام عمار بن ياسر فقال يا اهل الكوفة ان كان هانت عندكم الدنيا فقد انتهت اليكم امورنا واخبارنا ان قاتلي عثمان لا يعتذرون الى الناس من قتله وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجيهم فيه وقد كان طلحة والزبير اول من طعن عليه واول من امر بقتله وسعى في دمه فلما قتل بايعا عليا طوعا واختيارا ثم نكثا على غير حدث كان منه وهذا ابن رسول الله وقد عرفتم انه اتقذه اليكم يستنفركم وقد اصطفاكم على المهاجرين والانصار .

ثم قام قيس بن سعد وقال ايها الناس ان الامر لو استقبلنا به الشورى لكان علي ع احق الناس به لمكانه من رسول الله « ص » وكان قتال من ابى ذلك جلالا فكيف والحجة على طلحة والزبير وقد بايعا طوعا ثم خلعا عهدا وثيقا وقد جائكم علي في المهاجرين والانصار ثم انشأ يقول :

رضينا بقسم الله اذ كان قسمنا ... علي وابناء الرسول محمد
وقلنا لهم اهلا وسهلا ومرحبا ... بمن يهتدي منا هدى ونوفد
فما للزبير الناقض العهد حرمة ... ولاخيه طلحة فيه من يد
اتاكم سليل المصطفى ووصيه ... وانتم بحمد الله عارضة الندى
فمن قائم يزجي بخيل الى الوغى ... وصم العوالي والصفيح المهند
يسود من ادناه من غير ذلة ... وان كان من اقصيه غير مسود
فان كان ماتهوى فذاك تريده ... وان تخطي ماتهوى فغير تقصد

فلما فرغ القوم من كلامهم قام ابو موسى الاشعري فقال ايها الناس اطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف انا اصحاب محمد اعلم بما سمعناه منه ان الفتنة اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت بينت وان هذه الفتنة نائمة كداء البطن تجري بها الشمال والجنوب وتشتبه احيانا فلا يدري من اين تأتي شيموا سيوفكم وتصلوا رماحكم وقطعوا اوتاركم والزموا البيوت وخلوا قريشا اذا ابوا الا الخروج من دار الهجرة وفراق اهل العلم للآمرة ترتق فتقها وتشعب صدعها فان فعلت فلنفسها صنعت وان ابت فعليها جنت سحنها اريق في اديمها استنصحوني ولا تغشوني يصلح لكم دينكم ودنياكم ويشقى بهذه الفتنة من جناها .

فقام زيد بن صوحان وكانت يده قطعت يوم جلولاء فقال يا ابا موسى تريد ان ترد الفرات عن ادراجه انه لا يرجع من حيث بدا فان قدرت على ذلك قدرت على ما تريد ويلك « الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » ثم قال ايها الناس سيروا الى امير المؤمنين واطيعوا ابن سيد المرسلين وانفروا اليه جميعا تصيبوا الحق وتظفروا بالرشد فوالله نصحتكم فاتبعوا رأيي ترشدوا .

ثم قام عبد الله بن عبد خير « ١ » وقال لابي موسى خبرني يا ابا موسى هل كان هذا ان الرجلان بايعا لعلي فيما بلغك قال نعم قال فهل جاء علي ع بحدث يحل عقد بيعته حتى ترد بيعته كما ردت بيعة عثمان قال ابو موسى لا اعلم فقال له عبد خير لا درية نحن نتركك حتى تدري خبرني يا ابا موسى هل تجد احدا خارجا من هذه الفتنة التي تزعم انها عمياء تحذر الناس منها اما تعلم انها اربع فرق علي ع على ظهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشام وفرقة اخرى بالحجاز لا يجي بها خراج ولا يقام بها حد ولا يقاتل

(١) هذا غلط من الناسخ والصحيح والمفيد يجل عن الغلط انما هو عبد خير الحيواني من همدان هو المتكلم كما ذكره ابن الاثير والطبري لا ابنه عبدالله

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يا عدو فقال ابو موسى الفرقة القاعدة عن القتال خير الناس فقال عبد خير غلب عليك غشك يا ابا موسى فقام رجل من بجيلة فقال شعراً :

وحاجك عبد خير يابن قيس ... فانت اليوم كالشاة الريض
فلا حقا اصبت ولا صـلالا ... فانت اليوم تهوى بالحضيض
ابا موسى نظرت برأي سوء ... تؤل به الى قلب مريض
ونهت فلا تفرق بين خـير ... وشر لا ولا سود وبيض
وتذكر فتنة ثملت وفيها ... سقطت وانت تزحل كالجريض

قال وبلغ امير المؤمنين « ع » ما كان من امر ابي موسى وتخذيله الناس عن نصرته .

فقام اليه مالك الأشتر (ره) فقال يا امير المؤمنين انك قد بعثت الى الكوفة رجالا فلن يستقيم لك أمر الناس على ما تحب ولست ادرى ما يكون فان رأيت جعلت فداك ان تبعثني في الرعم فان اهل الكوفة احسن لي طاعة وان قدمت عليهم رجوت ان لا يخالفني أحد منهم فقال امير المؤمنين « ع » فالحق بهم على اسم الله فاقبل الأشتر « ره » حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس بالمسجد الأعظم فاخذ لا يمر بقبيلة فيها جماعة في مجلس او مسجد الا دعاهم وقال لهم اتبعوني الى القصر فانتهى في جماعة من الناس الى القصر فاقتحم وابو موسى قائم في المسجد الاعظم يخطب الناس ويثبطهم عن نصرة علي « ع » وهو يقول ايها الناس هذه فتنة عمياء تطأ في خطامها القائم فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي والساعي خير من الراكب انها فتنة فاغذة كداء البطن اتتكم من قبل مأمنكم تدع الحليم فيها كالفد البشر فاذا ادبرت اسفرت والحسن وعمار وقيس يقولون له اعتزل عملنا لا ام لك وتنحى عن منبرنا وابو موسى يقول لعمار هذه يدي بما سمعت من رسول الله يقول ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم فقال له عمار انما قال رسول الله « ص » ستكون فتنة انت فيها يا ابا موسى فبينما هم في الكلام

اذ دخل غلمان ابي موسى ينادون يا ابا موسى هذا الاشتر اخرج من المسجد ودخل عليه اصحاب الاشتر فقالوا له اخرج من المسجد يا ويلك اخرج الله روحك انك والله لمن المنافقين فخرج ابو موسى واتقذ الى الاشتر ان اجلني هذه العشية قال قد اجلتك فكف الناس عنه الخ .

عقيدة مالك الاشتر في عائشة زوجة النبي « ص » : تلك الام التي هتكت حرمة الرسول في اختراق المفاوز الشاسعة والفيافي المترامية الاطراف بين الاعراب الغلاظ والبدو الجفاة بارزة بين الصفوف بعد ضرب الحجاب الالهي واسدال الستر الرباني في وحيه المبين إذ يقول « واذا سألتموهن شيئاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك اطهر لقلوبكم وقلوبهن » وقد قال رسول الله « ص » في سعد بن عبادة ان سعد اغيور وانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرته « ص » لا ترضى لزوجته المسير صحبة المنافقين والا وباش من الطلقاء والاحزاب والمؤلفة ولا شقها صفوف الهيجاء على جمل منكود يقاد امام اشرار الامة وفجار العرب .

ان الأشتر من علماء الامة ومن المتبصرين في دينهم الثابتين على عقائد القرآن والسنة النبوية الصحيحة لم يزل الاشتر يتلو في اناء الليل واطراف النهار « اية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » وآية « يضاعف لها العذاب ضعفين » ونظائرها من آيات الذكر الحكيم وايضاً يفقه الاشتر تمام الفقه المراد من ضربه تعالى الامثال بنساء الانبياء كامرأة نوح وامرأة لوط ويروى حديث امرأة موسى كل هذه تصرح للاشتر ان ضلال امرأة النبي واقع فهو غير ممتنع في اللاحق ولا مستحيل في الآخر بعد وقوعه في الاول لان الله تعالى لا يحابي احداً وانه يدخل نساء الانبياء النار ينص هذه الآية اذا خرجن عن طاعته وطاعة رسوله وآية « يضاعف لها العذاب ضعفين » نص في نساء نبينا محمد « ص » وخاصة لمن ثم يلتفت الاشتر الى ما حدث به الثقاة العدول والمعتمد عليهم من اصحاب النبي « ص » من حديث كلاب

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الحوأب الذي تنبح كلابه على احدى نسائه وهي التي ينعتها بالحمراء وهذا لقب اختصت به عائشة وعند الاشتر احاديث غير هذا تنص على ضلالتها ومنها المفسرة للناكثين والقاسطين والمارقين ومنها المفسرة لآية « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ويعترف الزبير انه من رؤساء الفتنة بهذه الآية اورده ابن عساكر في ترجمه .

فالاشتر من آيات القران وآيات الرسول المبينة لضلالها على يقين ولم ينفرد الاشتر بهذه العقيدة بل هي عقيدة المهاجرين والانصار من البدريين والحديبين وأهل العقبة واهل بيعة الرضوان ومن وقف على كلام عمار وابن عباس استغنى بثروة مبينة لحالة هذه الام النشيطة في مخالفة الاحكام ومعصية الله ورسوله وزعم الاجتهاد غير مجد في قبال المعصية الصريحة .

فالاشتر على هذه العقيدة التي اعتقدها اعيان المهاجرين والانصار ولم يكن مخالفا لنصوص القرآن وصحاح الاحاديث كما خالفها زاعم الاجتهاد الملحق لاصول الشريعة فاعتقد الاشتر انها بهذا الخروج الذي تضمن مخالفة القرآن ومخالفة النبي « ص » ومخالفة الامام الذي صحت امامته بالنص والاجماع وقد صارحها الاشتر لما عاتبته في شأن ابن اختها عبدالله بن الزبير فقال لها على احدى هذه الثلاثة قاتلته يعني الكفر بعد الايمان ونص القصة كما ذكر المؤرخون ومنهم ابن ابي الحديد بعد ان ذكر مبارزته لابن الزبير الآتية قال في شرح النهج (١) روى ابو مخنف عن الاصبغ بن نباتة قال دخل عمار بن ياسر ومالك الأشتر على عائشة بعد انقضاء حرب الجمل فقالت عائشة يا عمار من معك قال الاشتر فقالت يا مالك انت الذي صنعت بابن اختي ما صنعت قال نعم ولولا اني كنت طاويا ثلاثة ايام لارحت امة محمد ص منه فقالت اما علمت ان رسول الله « ص » قال لا يحل دم مسلم الا باحدى امور ثلاثة كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير حق فقال

(١) ص ٨٧ ج ١ .

الاشتر على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا ام المؤمنين وايم الله ما خانني سيفي قبلها ولقد اقسمت لا يصحبني بعدها وقال :

اعائش لولا اني كنت طاويا ثلاثالا لفيت بن اختك هالكا
غداة ينادي والرماح تهزه باضعف صوت اقطوني ومالكا
فلم يعرفوه اذ دعاهم وعمه خدب عليه في العجاجة باركا
فنجاه مني اكله وشبابه واني شيخ لم اكن متماسكا
فقالت على اي الخصال صرعته اقتل اتى ام ردة لا ابا لكا
ام المحصن الزاني الذي حل قتله فقلت لها لابد من بعض ذلك

انتهى يريد الكفر بعد الايمان وهلا سألت عائشة نفسها عن مئات المسلمين الذين قتلتهم في الجمل الصغير على اي هذه الخصال قتلتهم وبغضها للاشتر معلوم وانها لم تزل تدعو عليه وعلى عمار بن ياسر ومحمد بن ابي بكر

ذكر المؤرخون في كلام عائشة لعمران بن حصين في شأن عثمان تقول في اخره وهو بنص الجاحظ في البيان والتبيين (١) ثم قالت هل انت مبلغ عني يا عمران قال لا لست مبلغا عنك خيراً ولا شراً فقلت (٢) لكني مبلغ عنك فهاتي ما شئت فقالت اللهم اقتل مذمما تعني محمد بن ابي بكر قصاصا بعثمان وارم الاشتر بسهم من سهامك لا يشوى وارد عماراً بحفرته في عثمان انتهى هذا رأيها وعقيدتها في صلحاء الامة الذين جلبتهم صرختها على عثمان وحدى بهم الى المدينة استنجادها فيهم فلما فاتها ما املته من استخلاف ابن عمها الأشل عضواً قلبت ظهر المجن وصرخت بام القتن لا رعى الله من لا ينصح الامة ولا يتأبى عن اضرارها .

وفي حديث الطبري في تاريخه (٣) عن رجل ونصه ان الأشتر امرني ان اشتري له اثمن بعير في البصرة ففعلت فقال اتت به عائشة واقرئها مني

(١) البيان والتبيين ص ٢٣٥ ج ٢ . (٢) هذا ابو الاسود الدؤلي كان مع عمران . (٣) تاريخ الطبري ص ١٩٤ ج ٥ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

السلام فقعدت فدعت عليه وقالت اردد عليه فابلغته فقال تلومني عائشة ان افات ابن اختها الخ قال الشيخ المفيد في كتاب الجمل (١) بعد عقر الجمل وجاءها مالك الاشتر (ره) وقال لها الحمد لله الذي نصر وليه وكبت عدوه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا كيف رأيت صنع الله بك يا عائشة فقالت من انت ثكلتك امك فقال انا ابنك الاشتر قالت كذبت لست بامك قال بلى وان كرهت الخ .

عقيدة مالك الاشتر في عثمان بن عفان : هي الخروج عن سنة العدل

الاسلامي سلب روح الانصاف هكذا كان يعتقد الاشتر ويصرح به في خطبه واشعاره ولم ينفرد بهذه العقيدة بل اجمع عليها المسلمون من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان عدا الطلقاء والاحزاب والمؤلفة الذين ملئت حقائبهم عطايا عثمان من اموال المسلمين .

عاشت العرب في حياتها الجاهلية تجابه كل شدة من جراء العدوان الهمجي والتكالب الوحشي كسباع بواديها المفترسة يرتعون في لحوم اخوتهم العرب وينهشون ضرع ابناء جنسهم ليتقلبوا الاعراض ويستغلوا الاموال فيقتاتون هكذا بتلك الاموال المغتصبة وان فقدوها اقتاتوا بالجهيد والعلهز

فاطلعت عليهم العناية الربانية اعظم المصلحين واجل المبشرين بسعادة الدارين محمد * ص * وانزل عليه قانونا من عنده جعله دستور السعادة ومنهاج الفوز الابدي ضم في دفتيه كل ما يكفل بسعادة الانسان في حياته الاجتماعية فاعلن لهم ذلك الدستور الكريم وهو القرآن القانون المقدس بالعدل والانصاف وهتف بالمساوات في الحقوق ونهى عن الامور المجحفة بطلاب السعادة وكفل لهم حرية النفس وحرية السلطة المحدودة بعدم تعدي العدل وحرية التمتع بالاموال وسائر الحقوق ما التزموا بقواعد الاسلام

(١) كتاب الجمل ص ١٨٢ .

وساروا تحت لوائه الخافق على الخافقين بالنصر والغلبة .

قام ذلك المبشر الاعظم والمصلح الاكبر يرد العرب الى ارشاد الله وتعاليم الكتاب العالية مرة باللين واخرى بالشدة حتى الفت نفوس العرب الطائشة نزقا وخيلاء تلك التعاليم الراقية واحبو السعادة في التمسك بالمبدء الاسلامي القويم حتى اصبحت لهم عقيدة راسخة مضى دور النبوة على التمسك بسنة العدل .

وجاء عصر الخلافة فسار الخليفتان سيرتهما ذات اللونين لانهما مزجا حيفا وانصافا مساوات وتفاضلا ولكن اعجب ذلك جملة من الاعيان اذ تفضيل اهل السابقة ومن لهم فضيلة الاتصال برسول الله * ص * لم يؤثر في نفوس من تأخر اسلاما او تباعد نسبا فاغتفروا لهما كلما رأوه مناقضا لعدل الاسلام او مباينا لطريقة المساوات لانهم لحظوا روح العدل ومعنوية الانصاف تشف خلال سيرتهما المشبعة بهضم النفس وكسرها عن مرونة التباذخ وارائة الناس سيرة العدالة والسر عند عالم السر فيرد الخليفة الاول ناقتين من نوق الصدقة استخدمهما في مصالحه ويرقع الخليفة الثاني عباءته بتسعة عشر رقعة مختلفة الالوان ولهذه الاعمال المؤثرية الكبرى في النفوس فلذلك غطى على حيفهما فاستحسنت تلك السيرة واغتفرت زلاتها .

جاء الخليفة الثالث خليفة الفوضى والارتباك خليفة الحيف والاعتساف خليفة ضعيف الادارة قليل الخبرة بالسياسة فضرب على السنن النبوية ضربة النكراء وانزل بسيرة الخليفتين صدمته القاضية فلا بالنبي اقتدى ولا بالخليفتين تأسى والشرط في عقد خلافته احياء الكتاب والسنة النبوية وسيرة الشيخين فترك الكل ترك الفروك ورع الجميع رع الجموح وجمع في العسف جمة حطمت معنوية العدل وسحقت الانصاف سحق المهراس للحب فاحتكر سوق المدينة لتجارته واستغل ابل الصدقة لنفعه وحمى لها مراعي المسلمين وقسم الاخماس على اوزاع الامويين وجعل العقود المثمنة من الغنائم حليا

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لبناته ونسائه وبنى القصور وشيد الدور وطرد الصلحاء ونفى الرؤساء وعطل الحدود ورد طريد الرسول فى امثالها عما ذكرناه في كتابنا السياسة العلوية ولا يتسع لنا ذكره هاهنا .

فطالبه المسلمون باحياء حكم القرآن وسنة الرسول او السلوك على سيرة الخليفتين فلا لذاك احيى ولا لهذا سلك وبلج في العناد وجمح في العدوان جمحة اثارت عليه الامة الاسلامية اقصاها وادناها واعتقدوا ان اصراره هذا خروج عن الملة ومروق من الدين فلذلك استحلوا دمه واستباحوا حرمته بتصريح من عائشة التي سمته نعثلا وقالت اقتلوا نعثلا فقد ابلى سنة النبي « ص » وتوبه ونعله لم يبليا بعد . المؤلف :

ملامكم بموضوع الاحاديث كتبكم ... لكي ترفعوا عثمان والله واضعه
اذا سخط الرحمن اعمال عبده ... فما عذر من والاه بالبهت دافعه
فكفوا فرب الخلق يعلم انه ... محى رسم دين ايد الحق شارعه
وما خلع الاتباع والصحب قبلهم ... سوى رجل رب الشريعة خالعه

طرد الاشتر والمصلحين ونفيهم الى سوريا : لا ريب ان عثمان في خلافته

كرة تدحرجها فساق بني امية ولولبا يديره فجار عماله وان المبادرة والاسراع في الاعمال السياسية ما لم تعرض على مسرح العقل او تعرض على افكار الساسة الخبراء تعقب الحسرة والندامة وتجر صاحبها الى الدمار .

نفى عثمان الاشتر وصلحاء اهل العراق وهم اعيان المصرين الكوفة والبصرة الى سوريا العثمانية المحضة اغرض سياسي محض اعده من الاغلاط السياسية وسوء الادارة وقلة التدبير .

ان الخليفة عثمان طبق على الامة الاسلامية القانون الروماني الفاسي والدستور اليوناني البائد في تبعيد من يظن فيهم القدح في الدولة او يتخيل من ناحيتهم بث الثورة على سلطانه فينفيهم الى البلاد النائية واقاصي المملكة تأديبا لهم وآمنا من غوائل الحركة الخطرة التي يحدثونها بمساعيهم لو اقاموا

في اوطانهم لقربهم من اهل الريبة والمشككين الذين يلقحون الفتن ويشبون نار الثورة في المملكة .

وتطبيق مثل هذا في الامة العربية غلط في السياسة واضح لمن نظره تدقيقيا ان الشعوب العربية ذات الشموخ والطماح لا تساس بمثل هذه السياسة الفاسية لان التجارب قد دلت والخبرة قد اوضحت لباغيها نفرة العرب من الهوان وعدم رضوخهم للذلة من اي شخص كان وجاءت الملة الاسلامية فساستهم بالعطف والحنان والحنو والعفو والمساوات والعدل ونهت عن الطرد والتبعيد والنفي عن الاوطان وقد جعل القرآن الكريم النفي عن الوطن مساويا للقتل حيث قال (ولو قيل لهم اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلا) فحمل عثمان هؤلاء المنفيين على اكتافه وأثارهم عليه واوغر بذلك صدور عشائرهم وحلفائهم فثارت من هذه الاعمال زوبعة هائلة وعاصفة شديدة اطاحت بدولة عثمان ونفسه وقد كان يظن انه بناها على اسس محكمة ودعائم متقنة فانهارت واندكت نفسها عن الطبري (١) بعد حديث السواد في حديث الشعبي فكتب سعيد الى عثمان يخبره بذلك ويقول ان رهطا من اهل الكوفة سماهم له عشرة يؤلبون ويجتمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا وقد خشيت ان ثبت امرهم ان يكثروا فكتب اليه عثمان ان سيرهم الى معاوية ومعاوية يومئذ على الشام فسيرهم وهم تسعة نفر فيهم مالك الاشتر وثابت بن قيس بن منقع وكميل بن زياد النخعي وصعصعة بن صوحان الخ وحديثهم في المنفى مطول لكثرة ما فيه من الجدل والخصام اللساني مع معاوية وعبدالرحمن بن خالد فاطلبه من التاريخ وكتابنا هذا لا يتسع وفق من اهل البصرة جماعة منهم عاصم بن عبد قيس احد عظماء زهادها

وثبة الاشتر واصحابه بعثمان : ان الخلافة العثمانية المركزية اصبحت ادارتها بيد الطرداء والطلقاء فما استعلى عثمان سرير الخلافة الاسلامية وتربع

(١) تاريخ الطبري ص ٨٨ ج ٥ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

دست الامارة العربية العامة تناول مروان الطريد واضرابه صولجان الحكم واستلموا الأمر الحاسم بنفوذ ارادتهم في الشئون الادارية والعسكرية معا فغدت تلك المملكة الواسعة تدار بتشهياتهم وتساس بمشاريعهم الممقوتة .

وبقي الخليفة كأداة عندهم وكرة بايديهم يتلقفونها كيف شاؤا ومتى شاؤا فليس له من الخلافة سوى الاسم ومعنويتها لهم ولم ينظر نظرا المجرب ولا فكر تفكير المحنك حتى يستطيع تصوير ما تولده الاعمال المنكرة من نتائج السوء وتخترعه النوايا الشريرة الموجبة لسوء العاقبة يقي في سباته طيلة خلافته وفي سنة غفلته وظل في عمه البساطة يغط غطيط المثقل نعاسا وينظر نظرة المبهوت ومروان الطريد ومعاوية الطليق وابن ابي سرح المهدور الدم وابن عامر الماثق والوليد الفاسق بنص القرآن وسعيد الاحمق يوقعون بالامة الويلات ويصبون عليها حاصبا من الانتقام هذا مع ما خولهم من التحكم في اموال المسلمين وجعل في مالامة وسهام الغنائم طعمة لهؤلاء الفسقة وصرف القسط الاوفر بصفة الهدايا لنسائه فلاهن بكل عقد ثمين وجوهرة غالية وادت به النفقة على قصوره وصروحه الى الاسراف المذموم فقام الاغيار والمصلحون من اعيان الصحابة ووجوه التابعين يرفعون الفصص قصة قصة وحادثة حادثة فيعيرهم اذنا صماء ويرمقهم بطرف اعمش .

ولم يزل يؤكد العقد التي ابرمها الطلقاء واحكمها الطرداء من عمالة وبطانته وينقض الذي فتله المسلمون وكبار الصحابه ارباب الحل والعقد ومن الطريف جداً وقوع اكثر الحوادث المضادة لشريعة الاسلام والناقضة لاحكامها في عاصمة الوحي وقاعدة النبوة بمرأي الصحابة ومسمعهم وهم الذين اخذ الرسول « ص » عليهم العهد بالنصيحة لكل مسلم فلم اولئك الاعيان من الصحابة وفي رأس جامعتهم وحفلة المفاوضة في مثل هذه المهمة طلحة والزبير والامان عائشة وحفصة فنشروا بين الامة تلك الاعمال

وافشوا تلك المخازي واعلنوا بالانكار لها في المجتمعات العامة والمواسم العظيمة

فلم ينهه ذلك المخدوع بزخارف البطانة المعونة عن المواصلة لتلك الاعمال بل ثابر عليها مغترا بزيرج الطريد ومواعيد الطليق الكاذبة وعصى كل ناصح له حتى زوجته الحصيفة الرأي حين خوفته سوء العاقبة قائلة لا ينفك مروان حتى يوردك المهالك ويؤثم منك ولدك .

ومن التهور المذموم ايقاع التنكيل باعيان الصحابة كعمار ابن ياسر وفي البعض كابي ذر وشتم بعض مع قطع جرايتهم كابن مسعود وعم بالحرمان والمقاطعة حتى نصيره مؤسس خلافته عبدالرحمن بن عوف ولو شرحنا هذه الاسباب لخرجنا عن مقصود الكتاب .

نتائج الوثبة على عثمان :

طرد عماله ومصرعه : في الحديث النبوي (الناس مجزيون باعمالهم ان خيرا فخير وان شراً فشر وفي شعر الحكيم العربي :

لله في تدبيره خاتم	تجري المقادير على نقشه
لا تنبشن الشر تبلى به	واحرص على نفسك من نبشه
عواقب الدهر طها وثبة	تنكس السلطان من عرشه
اذا طغى بالكبش شحم الكلى	ادرج شحم الكبش في كرشه

استفحلت الثورة على عثمان وعماله بتسفير الاعيان من اهل الكوفة فتحولت الثورة الفكرية والجدل القولي الى مظاهرات وخصام يدوي فحدثت المظاهرات في الكوفة وهاجت هياجا يهدد المملكة العثمانية بالسقوط علا هتاف المظاهرين في اندية الكوفة ومجتمعاتها العامة ودوى مصرها بالاصوات الهائلة وامتلأت الشوارع وغصت السكك بالثائرين فمن ناع ينعى الاسلام وقوانينه وباك يبكي على العربية المهتضمة وداع يدعو الى مقاومة الاستبداد ومناد ينادي بشعار العدل قائلا فليحي العدل الاسلامي وليعش

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

حكم القرآن وشرع الرسول واخر يصدح لتسقط خلافة العدوان ليت حكم الاستبداد ومناد ينادي ماذا تريدون فيدري مصر الكوفة بالأصوات الهائلة نريد العدل نريد الانصاف نريد المساوات نريد الحرية التامة نريد التمتع بحقوقنا التي خولنا ايانا دين الاسلام .

رفعت الاعلام ونشرت الرايات وسارت امام الثوار المتدفقة كالسيول قاصدة المسجد الاعظم تثير عواطف احرار العرب وتبعث الحماس في نفوس المسلمين فساروا بداعي الشعور واليقظة وهادي التفكير والفطنة انوار ثورة ضد الخلافة المركزية وعمالها الاداريين على اثر الانباء الواردة اليهم باعادة الوالي المعزول عنهم مراغمة لهم وتهاونا فيهم .

فالتف الثوار حول حميد الثورة وركن المظاهرة يزيد بن قيس الهمداني الارحبي وبلغ الزعماء المنفيين وهم في المنفى بسوريا نبأ هذا الحادث الخطير فحينوا غفلة الحراس وانتهزوا فرصة الفرار من المنفى فساروا مقذين خوف الطلب حتى التحقوا بالجمهور الثائر فاستقبلوا الوالي المبغوض فصدوه قهرا عن الوصول الى دار الامارة وارغموه على الرجوع الى من ولاه عليهم جديدا بعد فصله عنهم فعاد مقهورا ورجع باخزى من ذات النحيين .

فكانت هذه اول خطوة خطاها الكوفيون لمقارعة الاستبداد واول ثورة اثارها الحفاظ العربي واليقين الاسلامي على من اهتضم العروبة ومحى مراسم الدين .

حديث يوم الجرعة وطرد والي عثمان : ان يوم الجرعة كان مبدأ الفتن والقلاقل واول الاضطراب في الدولة الاسلامية وبه حل الانحلال الديني وتفرق الاتحاد القومي العربي وسببه الوحيد الجهل بالسياسة وعدم القدرة على ادارة البلاد ان رجلا يعيش ٨٠ سنة ويتسلط ١٢ سنة لا يفهم ان المصلحة بجلية نداء الشعب في نزع الامير المبغوض عندهم واني كلما مررت بهذه الحادثة التاريخية اسائل نفسي قائلا اختلت مصر بسبب امارة ابن ابي سرح

وهاجت البصرة لامارة بن عامر وثارت الكوفة لولاية الوليد وسعيد واضطربت اليمن بامارة ابن منية .

فقول : هل اصبحت هذه الأمصار العظيمة خلوا من الديانة والعقل لا تساعدني العقلية الصحيحة ولا يطاوعني حسن الظن بالمسلمين ولم تتفق معي مصادر التاريخ الوثيقة بل تحيني على العكس وان كان ذلك اعتقادي وبه ادين الله ان هؤلاء الرجال هم قطب خلافة الخليفتين السابقين وعليهم دارت رحى حربها وهم حماة الاسلام وهم اهل الفقه والتبصر في الدين واهل النسك والتقوى واصحاب العفاف والورع .

ثم اعود فاطرد الى عقلية عثمان واقول ماذا اراد بالعناد وما الذي قصد في الاصرار على تأمير الاغمار والسخفاء من رهطه مع حدوث هذه الانقلابات وظهور تلك المظاهرات التي تهدد خلافته أله مشروع ديني يريد تكميله كلا الدين لا يرضى بتولية الفاجر ولا يريد تأمير المنافق ام عنده نزعة سياسية توحي اليه توطيد دعائم المملكة حاشى اصبحت مملكته مهددة بخطر الثورة وحكومته معرضة لانفجار قنبلة ذرية تمحقها وتنلفها .

لا ارى وجها ولا امورا لعمله سوى الجهل بالادارة فكان كالباحث عن حتفه بظلفه وغدا عاملا لغيره بهلاك نفسه وقد قيل :

كدودة القز ما تبنيه يقتلها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

هذا ابن عمه معاوية الذي نحر نفسه لاجله وابقى سلطنته على انقاض المملكة العثمانية المنهارة يوصي ابنه يزيد قائلا لو سألك اهل العراق عزل عامل كل يوم فافعل فان عزل العامل اهون عليك من سل مائة الف سيف ثم لا تدري لمن تكون العاقبة فمعاوية يرهب ثورة العراق وعثمان يحتك بهم ويتحرش فيهم هكذا دبت هذه الفترات على اعصاب الخليفة الثالث فعطلت اعضاء سياسته ورمتها بالشلل بينما الكوفيون يطردون سعيد بن العاص الجبار عن بلادهم اذ هو يعيده اليهم مرة اخرى مراغمة لهم بريهم انه متهاون بجمعهم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

كانه يظن انه ليس فى وجوه الصحابة واعيان التابعين من له الاهلية لان يشغل هذا المنصب فيبقى شاغرا فيعيداليه عدوهم الالدوهم عرب اقحاح اهل انفة واباء ومسلمون اهل بصيرة واعتقاد لا يرضخون للعنف قال ابو جعفر الطبري فى التاريخ (١) ، خرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان فدخل المسجد فجلس فيه وثاب اليه الذي كانوا فيه ابن السوداء يكاتبهم فانقض عليه القعقاع فاخذ يزيد بن قيس فقال انما نستعتب من سعيد فقال هذا مالا يعرض لكم فيه لا تجلس لهذا ولا يجتمعن اليك واطاب حاجتك فلعمري لتعطينها فرجع الى بيته واستأجر رجلا واعطاه دراهم وبغلا على ان يأتي المسيرين فكتب اليهم لا تضعوا كتابي من ايديكم حتى تجيئوا فان اهل المصر قد جامعونا فانطلق الرجل فاتى عليهم وقد رجع الاشتر فدفع اليهم الكتاب فقالوا ما اسمك قال نعثر قالوا ممن قال من كلب قالوا سمع ذليل ينعثر النفوس لا حاجة لنا بك وخالفهم الاشتر ورجع عاصيا فلما خرج قال اصحابه اخرجنا اخرجة الله لا نجد بدا مما صنع ان علم بنا عبد الرحمن لم يصدقنا ولم يستقلها فاتبعوه فلم يلحقوه وبلغ عبد الرحمن انهم قد رحلوا فطلبهم فى السواد فسار الاشتر سبعا والقوم عشرا فلم يفجىء الناس فى يوم جمعة الا والاشتر على باب المسجد يقول ايها الناس انى قد جئتكم من عند امير المؤمنين عثمان وتركت سعيدا يريده على نقصان نسائكم الى مائة درهم ورد اهل البلاء منكم الى الفين ويقول ما بال اشراف النساء وهذه العلاوة بين هذين العدلين ويزعم ان فيئكم بستان لقريش وقد سايرته ضرحلة فما زال يرجز بذلك حتى فارقته وهو يقول

ويل لأشراف النساء مني صمميح كاتني من جن

فاستخف الناس وجعل اهل الحجى ينهونهم فلا يسمع منهم وكانت نفجة فخرج يزيد فامر منادیا ينادي من شاء ان يلحق بيزيد بن قيس لرد سعيد وطلب امير غيره فليفعل وبقى حلماء الناس واشرافهم ووجوههم فى المسجد

(١) تاريخ الطبرى ص ٩٣ ج ٥ .

وذهب من سواهم وعمرو بن حريث يومئذ الخليفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال (اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) بعد « وان كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » فلا تعودوا فى شر قد استنقذكم منه ابعد الاسلام وهديه وسنته لا تعرفون حقا ولا تصيبون بابه فقال القعقاع بن عمرو اترد السيل عن عبابه فاردد الفرات عن ادراجه هيهات لا والله لا تسكن الغوغاء الا للشرفية ويوشك ان تنتضى ثم يعجون تعجيج القفدان ويتمنون ماهم فيه فلا يرده الله عليهم ابدا فاصبر قال اصبر وتحول الى منزله .

وخرج يزيد بن قيس حتى نزل الجرعه ومعه الاشتر وقد كان سعيد لبث فى الطريق فطلع عليهم سعيد وهم مقيمون له معسكرون فقالوا له لا حاجة لنا بك قال فما اختلفتم الآن انما كان يكفيكم ان تبعثوا الى امير المؤمنين « يعني عثمان » رجلا وتضموا اليه رجلا وهل يخرج الا لف لهم عقول الى رجل ثم انصرف عنهم وتخمسوا بمولى له على بعير وقد جسر وقال والله ما كان ينبغي لسعيد ان يرجع فضرب الاشتر عنقه ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فاخبره الخبر ، ثم يقول الطبري بعد كلام « فى المؤامرة القاسية وحفلة الشر عند عثمان » جمع عثمان امراء الاجناد معاوية بن ابي سفيان وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وعمرو بن العاص وقال اشيروا علي فان الناس قد تنمروا لي فقال له معاوية اشير عليك ان تأمر امراء اجنادك فيكفيك كل امرء منهم ما قبله وانا اكفيك اهل الشام فقال له عبد الله بن عامر ارى لك ان تجردهم في هذه البعوث حتى يهم كل رجل منهم دبر دابته فتشغلهم عن الارجاف بك فقال عبد الله بن سعد اشير عليك ان تنظر ما اسخطهم فترضيهم ثم تخرج لهم هذا المال فيقسم بينهم ثم قال عمرو ابن العاص يا عثمان انك قد ركبت الناس بمثل بني امية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل او اعتزل فان ابيت فاعتزم عزما وامض قدما فقال له عثمان

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مالك قل فروك اهذا الجد منك فسكت عمرو حتى اذا تفرقوا قال لا والله يا امير المؤمنين لانت اكرم على من ذلك ولكني قد علمت ان بالباب قوما قد علموا انك جمعتنا لتشير عليك فاحببت ان يبلغهم قولي فاقود لك خيرا او ادفن عنك شرا فرد عثمان عماله وامرهم بالتضييق على من قبلهم وامرهم بتجمير الناس في البعوث وعزم على تحريم اعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا اليه ورد سعيد بن العاص اميرا على الكوفة فخرج اهل الكوفة عليه بالسلاح فتلقوه وردوه وقالوا اما والله لا يلي علينا حكما ما حملنا سيوفنا قال الطبري عن ابي يحيى عمير بن سعد النخعي انه قال كأني انظر الى الاشتر مالك بن الحارث النخعي على وجهه الغبار وهو متقلد السيف وهو يقول والله لا يدخلها علينا ما حملنا السيوف يعني سعيدا وذلك يوم الجرعة والجرعة مكان مشرف قرب القادسية وهناك تلقاه اهل الكوفة انتهى .

فهذه كانت نوايا عثمان لاهل الاسلام وهذه مضمراته التي كاد بها العرب فرجع كيده في نحره ولا لوم على ابن النابغة عمرو بن العاص لو تلاعب به فانه وجده شيخا مسنا قد خرف فيبس دماغه وجفت رطوبة رأسه لذلك لا يجد فرقا بين النصيحة والخديعة ويعرف الفاش من المخلص فاعتذاره اليه كان تلاعبا فيه واستخفافا به لانه رآه لا يفرق بين الرأي المصيب والرأي الخاطئ والاقرأيه الأول هو الاوفق بالادارة والاقرب الى السياسة الحاضرة وهو عين المصلحة لو تيقظ لها وتفطن لفائدته فلو بادر بعزل الأمويين واستبدلهم برجال ترتضيهم الامة من اعيان الصحابة واعلام التابعين لاستقاموا له وسكن الاضطراب والثورات ونال السلامة التي هي راس ما يطلبه الانسان في دنياه .

ومن نتائج الوثبة مصرع عثمان تحت بارقة المطامع :

حديث يوم الدار : قصة رائعة ويوم مهول ظهر فيه الحرص الفاحش

من الخليفة المخدوع مالو وسمت به السباع لولولت وحديث يوم الدار اطول الاحاديث نقتضب منه مالا بد للقارىء من ان يراه ذكر المؤرخان الكبيران في تاريخهما الطبري (١) والجزري (٢) قالا لما كان في شوال سنة ٣٥ خرج اهل مصر في اربع رفاق على اربعة امراء المقل يقول ستمائة والمكثر يقول الف على الرفاق — عبدالرحمن بن عديس البلوي — وكنانة بن بشر التجيبي — وسودان بن حمران السكوني — وقتيرة بن فلان (٣) السكوني — وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكي ولم يجترؤا ان يعلموا الناس بخروجهم وانما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء وخرج اهل الكوفة في اربعة رفاق وعلى الرفاق — زيد بن صوحان العبدي — والاشتر النخعي — وزياد بن النضر الحارثي — وعبدالله الاصم — احد بني عامر بن صعصعة وعددهم كعدد اهل مصر وعليهم جميعا عمرو الاصم (٤) وخرج اهل البصرة في اربعة رفاق وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدي ، وذريح بن عباد العبدي ، وبشر بن شريح ، الحطم بن ضبيعة القيسي ، وابن المحترش بن عبد عمرو الحنفي وعددهم كعدد اهل مصر وعليهم جميعا ، حرقوص بن زهير السعدي سوى من تلاحق بهم من الناس هذا لفظ الطبري وقال ابن الاثير فلما كانوا من المدينة على اميال تقدم ناس من اهل البصرة فنزلوا ذا خشب وكان هواهم في طلحة وتقدم ناس من أهل الكوفة وكان هواهم في الزبير فنزلوا الاعوص وجاء ناس من اهل مصر وكان هواهم في علي « ع » ونزلوا عامتهم بذي المروة ومشى فيما بين اهل مصر والبصرة — زياد بن النضر — وعبدالله الاصم وقالا لهم لا تعجلوا حتى ندخل المدينة ونرتاد لكم فقد بلغنا انهم عسكروا لنا فوالله ان كان هذا حقا واستحلوا قتالنا بعد علم حالنا ان امرنا لباطل وان كان الذي بلغنا باطلا رجعنا اليكم قالوا اذهبا فذهبا ودخلا المدينة

(١) تاريخ الطبري ص ٩٠٣ ج ٥ (٢) تاريخ ابن الاثير ص ٦٠ ج ٢
(٣) قتيرة بن وهب (٤) عمرو الاصم هو عبدالله والاصح عمرو .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فلقيا ازواج النبي « ص » وعليا « ع » وطلحة والزبير فقالا انما نريد هذا البيت ونستعفي من بعض عمالنا ثم ساق القصة الى ان قال ولما جاءت الجمعة التي على اثر دخولهم المدينة خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال يا هؤلاء ان اهل المدينة ليعلمون انكم ملعونون على لسان محمد « ص » فامحوا الخطأ بالصواب فقام محمد بن مسلمة فقال انا اشهد بذلك فاقعده حكيم ابن جبلة فقام زيد بن ثابت فاقعده محمد بن قتيرة (١) وثار القوم باجمعهم فحصبوا الناس حتى اخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فادخل داره ثم يقول بعد كلام وذكر فيها اهوالا صدرت من عثمان بالغش والكذب في الوعد وانه يظهر غير ما يضمر فراجعه قال ابن قتيبة في تاريخه الامامة والسياسة ص ٣٣ ج ١ فارسل طلحة الى الاشتر فاتاه فقال لي اخبره فاخبرته بما قال عثمان فقال طلحة وقد دمعت عيناه قد والله قضى ما عليه امير المؤمنين فقال الأشتر تبعثون الينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وهاهو ذا فاخرج كتابا فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

من المهاجرين الاولين وبقية الشورى الى من بمصر من الصحابة والتابعين اما بعد ان تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول الله « ص » قبل ان يسبيها اهلها فان كتاب الله قد بدل وسنة رسوله « ص » قد غيرت واحكام الخليفتين قد بدلت فلنشد الله من قرء كتابنا من اصحاب رسول الله « ص »

(١) في المثل ابو الحصين شاهده ذنبه شهد محمد بن مسلمة وزيد بن ثابت العثمانية الذين ملىء عثمان غرائرهم بالاموال وهما احد سبئات عثمان ويطلبه المسلمون بما اعطاهم من مالهم ومن جر نفعا الى نفسه لا تقبل شهادته عند المذاهب الاربعة فهلا شهد ابو ايوب او سهل بن حنيف او ابو الهيثم او خزيمة ذو الشهادتين اذا كان رسول الله « ص » قاله فما لزيد وابن مسلمة وهذا التسرع .

والتابعين لهم باحسان الا اقبل الينا واخذ لنا الحق واعطانا فاقبلوا الينا ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر واقيموا الحق على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء غلبنا على حقنا واستولى على فيئنا وحيل بيننا وبين امرنا وكانت الخلافة بعد نبينا « ص » خلافة نبوة ورحمة وهي اليوم ملكا عضوضا من غلب على شيء اكله . أليس هذا كتابكم الينا فبكى طلحة فقال الأشتر لما حصرتاه اقبلتم تعصرون اعينكم والله لا نفارقه حتى نقتله انتهى قال ابن عبد ربه المالكي في العقد الفريد (١) ارسل عثمان الى الأشتر فقال ما يريد الناس مني قال واحدة من ثلاث ليس منها بد قال ما هي قاله يخيرونك بين ان تخلع لهم امرهم فتقول هذا امركم فقلدوه من شئتم واما ان تقتص من نفسك فان ابيت فالقوم قاتلوك قال اما ان اخلع لهم امرهم ما كنت لاخلع سربالا سربلنيه الله فتكون سنة من بعدي كلما كره القوم امامهم خلعوه واما ان اقتص من نفسي فوالله لقد علمت ان صاحبي بين يدي قد كانا يعاقبان وما كان يقوى بدني على الاقتصاص انتهى ولا يهمنا صفة قتله .

(١) العقد الفريد ص ٥٦ ج ٣ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(الخطط الحربية)

قيادة الاشتر لقوات امير المؤمنين « ع » : كانت القيادة العربية في تلك الادوار على انظمة سلبية وايجابية تلائم الوضع الحربي عندهم حيث كانت الاسلحة بسيطة تقتضي بطبعها المقارعة والالتحام وعليه فالقواعد الاساسية لهذا النظام او لا ما يتعلق بنفس الجيش من تقسيمه الى اقسام خمسة في المسير تسمى عندهم بالقلب والمقدمة والساقة والمجنبتين الجناحين الجانبة اليمنى او الميمنة والجنبة اليسرى او الميسرة على تفاصيل ذكرناها في كتابنا بطل العلقمي .

وفي الحرب عند المقابلة تضم المقدمة والساقة الى الجيش فيبقى ثلاثيا القلب والمجنبتان ولهذا تعاليم شرحناها في كتابنا بطل العلقمي « ثانيا » ما يتعلق بنفس الجنود نظراً لاهل الاسلحة فيقسمون الى قسمين الدارع والحاسر وفي انظمتهم تقديم الدارع وتأخير الحاسر ونظراً لما يابديهم من الاسلحة التي هي القوس والرمح والسيف والمقلاع فيقدمون الرماة من اهل القوس والمقاليع على الصف ثم يتلوهم أهل الرماح ثم أهل الاسياف فتكون الحامية الاولى الرامية والحامية الثانية المطاعنة والحامية الثالثة المقاتلة وهي مدار الحرب وضباط كل حامية امامها وللغلبة عند المقارعة تعاليم مشروحة في كتابنا بطل العلقمي تفصيلا « ثالثا » بالنسبة الى المراكب فيقسمون الى قسمين « الاول » الخيالة « الثاني » الرجالة وهم المشاة فيقدمون الخيالة على المشاة ولهم في نظامها طريقان اصطفاف وكردسة وكتائب الخيالة في الكردسة والاصطفاف تكون لها المهجمة الاولى والمشاة الحملة ويناط بها الاكتشاف والاستطلاع وعليها حماية الادبار لئلا يؤتى الجيش من خلفه .

« رابعا » بالنسبة الى الارتزاق اخذ الراتب وعدمه فيقسمون الى قسمين المتطوعة وهم المجانية والمرتزقة وهم اهل الراتب الشهري ثم تقسم

هذه الاقسام بشكل آخر فترتب على الجنسية والصنفية فالصنفية كالقراء نؤلف منهم كتائب والخطباء المحرضون مثلا وهكذا واما الجنسيات فاليمانية والمضرية فاليمانية مثلا هكذا همدان ومذحج ولهذا يقول الأشتر في ايام صفين ايها الناس اخلصولي مذحجا .

وامير القواد وأعرفهم بفن القيادة هم شيعة علي بن ابي طالب « ع » قديما وحديثا ومن نظر الى المهلب بن ابي صفرة ومالك الأشتر والاحنف ابن قيس وجارية بن قدامة وحجر بن عدي وعدي بن حاتم وقيس بن سعد وحذيفة بن اليمان وسعيد بن قيس وهاشم المرقال وعبدالله بن بديل وموسى بن نصير وطارق مولاه وغيرهم رأي عجبا وخذ التفاصيل من كتابنا بطل العلقمي .

قال السندوبي في التعليقة على البيان والتبيين (١) مالك الاشتر النخعي كان من شجعان العرب وابطال الاسلام وفرسان الدنيا وكان شاعراً مجيداً وخطيبا بليغا وقائداً مدبراً وكان من أعظم الرجال واطولهم إلا ان في لحمه خفة قليلة وكان من قواد الجيوش مع علي بن ابي طالب وشهد معه وقائعه الجمل وصفين وكان ولي الجزيرة له وهو الذي كشف جيوش معاوية عن الماء بسيفه وقتل من قواده وصناديد جيشه سبعة في يوم واحد حتى ازاح الجيوش عن الماء بصفين الخ قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين (٢) بعد ان ذكر ان عليا « ع » ارسل زياد بن النضر وشريح بن هاني الحارثيين طليعة له ومقدمة لجيشه فلما عبروا الفرات قدمهما امامه نحو معاوية فلما انتهيا الى معاوية لقيهما ابو الاعور السلمي في جنود اهل الشام فدعوهم الى الدخول في طاعة امير المؤمنين « ع » فابوا .

فبعثا الى علي « ع » انا قد لقينا ابا الاعور السلمي بسور الروم في جند من اهل الشام فدعوناه واصحابه الى الدخول في طاعتك فابى علينا

(١) ص ٦٠ ج ٢ . (٢) كتاب صفين ص ٨١ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فمرنا بامرك فارسل على « ع » الى الاشتر فقال يا مالك ان زياداً وشريحا ارسلا الي يعلماني انهما لقيا ابا الاعور السلمي في جند من اهل الشام بسور الروم ونبأني الرسول انه تركهم متواقفين فالنجأ النجأ الى اصحابك فاذا اتيتهم فانت عليهم واياك ان تبدء القوم بقتال ان لم يبدؤك والقهم واسمع منهم ولا يجرمنك شنأنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شريحا وقف من اصحابك وسطا ولا تدنو منهم دنو من يريد ان يغشب الحرب ولا تتباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى اقدم عليك فاني حثيث السير اليك انشاء الله .

وكتب علي « ع » اليهما وكان الرسول ـ الحارث بن جمهان الجعفي ـ اما بعد فاني قد امرت عليكما مالكا فاسمعا له واطيعا امره وهو ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطوءه عما الاسراع اليه احزم ولا اسراعه الى ما إلا بطأ فيه امثل وقد امرته بمثل الذي امرتكما به ان لا يبدء القوم بقتال حتى يلقاهم ويدعوهم ويعذر اليهم انشاء الله قال فخرج الأشتر حتى قدم على القوم فانتبع ما امر به علي « ع » وكف عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى اذا كان عند المساء حمل عليهم ابو الاعور فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم ان اهل الشام انصرفوا ثم خرج هاشم بن عتبة (هو المرقال) في خيل ورجال حسن عدتها وعددها فخرج اليهم ابو الاعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال فصبر القوم بعضهم لبعض ثم انصرفوا وبكر عليهم الاشتر فقتل منهم عبدالله بن المنذر التنوخي قتله ظبيان بن عمارة التميمي وما هو يومئذ إلا فتى شاب حديث السن وان كان الشامي فارس اهل الشام واخذ الأشتر يقول ويحكم اروني ابا الاعور ثم ان ابا الاعور دعا الناس فرجعوا نحوه فوقف على تل من وراء المكان الذي كان فيه اول مرة وجاء الاشتر فصف اصحابه في المكان الذي كان فيه ابو الاعور اول مرة فقال لسنان بن مالك النخعي انطلق الى ابي الاعور فادعه

الى المبارزة فقال الى مبارزتي او الى مبارزتك فقال الأشتر لو امرتك بمبارزته فعلت قال نعم والذي لا اله إلا هو لو امرتني ان اعترض صفهم بسيفي فعلته حتى اضربه بالسيف فقال يا ابن اخي اطال الله بقائك قد والله ازددت فيك رغبة لا ما امرتك بمبارزته وانما امرتك ان تدعوه الى مبارزتي لانه لا يبارز ان كان ذلك من شأنه الا لذوي الاسنان والكفاءة والشرف ولكنك حديث السن فليس يبارز الاحداث فاذهب فادعه الى مبارزتي فاتاه فقال آمنوني فاني رسول فأمنوه حتى انتهى الى ابي الاعور قال قلت له ان الأشتر يدعوك الى مبارزته فسكت عني طويلا ثم قال ان خفة الأشتر وسوء رأيه هو الذي دعاه الى اجلاء عمال عثمان من العراق وافترائه عليه يقبح محاسنه ويجهل حقه ويظهر عداوته من خفة الاشتر وسوء رأيه ان سار الى عثمان في داره وقراره فقتله فيمن قتله فاصبح متبعا بدمه لا حاجة لي في مبارزته قال قلت له انك قد تكلمت فاستمع الجواب مني حتى اخبرك قال فقال لي لا حاجة لي في جوابك ولا الاستماع منك اذهب عني وصاح بي اصحابه فانصرفت عنه ولو استمع مني لاخبرته بعذر صاحبي وحجته فرجعت الى الأشتر فاخبرته انه قد ابى المبارزة قال لنفسه نظر الخ .

تعاليم الأشتر الحربية : في الذكرى المحمدية لجمعية مجلة الهداية بعد كلام وانظر الى وصية علي « ع » فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام وقال الأشتر يومئذ يحرض الازد عضوا على النواجذ من الاضراس واستقبلوا القوم بهامكم وشدوا شدة موتورين يثأرون بآبائهم واخوانهم حنقا على عدوهم قد وطنوا على الموت انفسهم لئلا يسبقوا بوتر ولئلا يلحقهم في الدنيا عار الخ .

تقدمت هذه الكلمات في خطبه وستأتي تامة الالفاظ في هزيمة ميمنة اهل العراق وسيمر عليك في معاركه الآتية كثيراً من تعاليمه الحربية فانتظرها

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هناك وتجد فيه ما يدل على قيادته لان فيه انه كان يسير بين الميمنة والميسرة يأمر كل كتيبة وكل قبيلة بقتال التي تليها .

مغامرة مالك الاشتر في الحرب : يرى كثير من المؤرخين ان الاشتر كان

مغامرا يلقي نفسه في الاخطار ويقذف بها في المتالف ويعرض جنده للهلكة وهذه هي المغامرة الممقوتة عند العقلاء والتهور المذموم عند القواد المحنكين وارباب التجارب والمارسة للحروب .

هكذا يخيل هؤلاء وليس الامر كذلك اذ المغامرة في القاء النفس في الهلكة مع عدم ظن السلامة وعدم رجاء التخلص كالذي يضع اصبعه في فم الأفعى او يمكن من جسمه براثن الاسد او يدخل النار المضرمة اما من يثق من نفسه بالغلبة ويقطع لها بالفوز والظفر ولو كان ذلك القطع سببه التجارب والاختبار فليس ذلك من المغامرة ولا يعد في قسم التهور وان تخيله المتخيل وظنه من لا علم له ومن تتبع احوال الاشتر ودرس تاريخه الحربي وعرف تيقظه واحتراسه وامره جنده بالاحتراس وماقى امره لابن بديل واصحابه في القصة الآتية بملازمة الجمع وترك الانفراد ما يدل على مهارته القتية وقدرته على القيادة وبه يعلم انه غير مغامر ولامتهور بل يعرف انه رجل الحزم واليقظة الوحيد وهذه تعاليمه ودروسه الحربية التي يحاضر بها قواد كتائبه ويمليها على اجناده وافراد فيالقه تنفي كلما يظن به من المغامرة والتهور او التورط في المتالف وهذا استاذه ومعلمه امير المؤمنين عليه السلام اعرف الناس باساليبها وفنونها وقال فيه قريش بغيا وعدوانا ان ابن ابي طالب رجل شجاع لا بصر له بالحرب حتى اضطروه ان يقول لله ابوهم وهل احد اعرف بها مني لقد مارستها وما بلغت العشرين وها انا قد ذرفت على الستين ولم تزل الاغبياء تجهل اسرار الحقائق فتخفى عليها دقائقها فتفوه بما تفوه به من غير تفكير ولا تبصر في حقيقة الحوادث ومن لم يعرف البطولة ولا مارس الاقدام يظن ذلك مغامرة فالجبان يعد الاقحام في غمرات الحروب

تهورا ، ان التجارب وطول الممارسة للحرب تعطي الانسان خبرة ودراية بفنون الحرب وكيفية الاقدام والاقحام فالاشتر اذا اضربنا عن حوادث الجاهلية وايام غارات العرب على السلب والنهب واقتصرنا على حوادث الحروب الاسلامية نجده قد خاض اول معركة للمسلمين مع الرومان حتى افضت بهم الى ام الوقائع اليرموك ثم ارسل مع نخبة الابطال من العرب الى اهم واقعة مع الحكومة الكسروية ثم واصل المغازي حتى ثارت فتنة عثمان وشهد الدار وحروب امير المؤمنين «ع» كلها عدى النهروان امثل هذا يعد مغامرا كلا .

شجاعة مالك الاشتر : ان كل صفة توجب سلبا وايجابا وايجادا وعدما

بحسب ما يحدث من النفوس من الاراء التي تبعثها الغايات والأغراض وتعبث بها الأحقاد فالأعداء يحرصون على تغطية محاسن الرجال والأصدقاء ليجدون في توكيد تلك المحاسن ولهذه البواعث ولهذه الارادات تجد في تاريخ الأبطال تضاربا وفي نعت الفرسان تفاوتا محسوسا بين النفي والاثبات وسره ماذكرنا ولكن شجاعة الاشتر لم تاتي الا بصفة ايجابية فقط فتجد الصديق الحريص على نشر فضائله لا يتجاوز نعت المجد على اسقاطه فهما متوافقان في نعته بالبطولة ومصطلحان على الشهادة له بالفراسة وخير المجد ما اثبته الخصمان وتوارد على صحته الضدان وخذ بعض الأقوال في شهادتهم على شجاعته قال الأزدي في كتاب فتوح الشام «١» عن ابي عبد الله بن الحسين ان الأشتر كان من جلداء الرجال ومن اشدائهم واهل القوة منهم والنجدة وانه قتل في يوم اليرموك قبل ان ينهزموا احد عشر رجلا من بطارقتهم وقتل منهم ثلاثة مبارزة وقال العسقلاني في الاصابة «٢» لما وصل القلزم شرب شربة عسل فمات فقيل انها كانت مسمومة وكان ذلك سنة ٣٧ بعد ان شهد الجمل وصفين ـ ابدى يومئذ عن شجاعة مفرطة انتهى وتقدم كلامه في تهذيب التهذيب وقال ابن

(١) فتوح الشام ص ٢١٠ (٢) الاصابه ص ٤٨٢ ج ٣ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ابي الحديد « ١ » لله ام قامت عن الأشتر لو ان انسانا يقسم ان الله ما خلق في العرب ولا في العجم احدا اشجع منه الا استانه علي بن ابي طالب لما خشيت عليه الاثم الخ .

وقال الابشيهي في المستطرف « ٢ » في طبقات الشجعان من العرب ولا برهان على شجاعة الأشتر اوضح من بذل عائشة يوم البصرة لمن بشرها بنجاة ابن اختها من سيفه عشرة الاف ، وقال يحيى بن حمزة امام الزيدية في كتاب الطراز « ٣ » وهذا الرجل كان من امراء امير المؤمنين علي كرم الله وجهه ولقد كان عظيم الشوكة على من خالف امر الله وامر امير المؤمنين وهو مالك بن الحارث ولقد قال فيه امير المؤمنين انه كان اشد على الفجار من حريق النار ولما دخل ـ الطرماح ـ على معاوية قال له معاوية اني قد اعددت لحرب ابن ابي طالب رجالا بعدد جاورس الكوفة والجاورس هو حب الدخن فقال له الطرماح والله اني لأعلم له ديكا يلتقط هذا الحب كله فسكت معاوية واراد بما ذكره مالك بن الحارث الاشتر انتهى .

قال ابن عبد ربه في العقد(٤) الفريد قال عبد الله بن الزبير التقيت مع الاشتر يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربني خمسا اوستا ثم اخذ برجلي فالقاني في الخندق وقال والله لولا قرابتك من رسول الله « ص » ما اجتمع منك عضو الى اثن قال ابو بكر بن ابي شيبة اعطت عائشة الذي بشرها بحياة ابن الزبير اذا التقى مع الاشتر عشرة الاف ، ويذكر الدميري في حياة الحيوان (٥) في سياقة قصة ابن الزبير قال ابن الزبير امسيت يوم الجمل وفي سبعة وثلاثون ما بين طعنة رمح ورمية سهم وقال ولا ينهزم من الفريقين احد وما اخذ احد بخطام الجمل الا قتل واخذت بخطام الجمل فقالت عائشة من انت قلت ابن الزبير قالت واثكل اسماء ومربي الاشتر فعرفته فقتلنا فوالله ما ضربته

(١) ص ١٨٥ ج ١ (٢) للمستطرف ص ٢٢٣ ج ٢ .
(٣) ص ١٥٤ ج ٣ (٤) ص ٦٣ ج ١ (٥) ص ١٨٠ ج ١ .

ضربة الا ضربني ستا او سبعا وجعلت النادي :

اقتـــلوني ومالكـــا واقتـــلوا مالكـــا معي

وضاع خطام الجمل ثم اخذ مالك برجلي فرماني في الخندق الى ان قال ونقل انه كان في راس ابن الزبير ضربة عظيمة من الاشتر لو صبت فيهـــا قارورة دهن لاستقرت وروى ان عائشة اعطت الذي بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الاشتر عشرة الآف درهم انتهى ، وحسبك هذا فقد شهد له امير المؤمنين عليه السلام وهو اعرف الناس بالابطال بما سمعت وبأني وشهدله معاوية وهو خصمه الألد مرارا عديدة .

المؤلف :

يقـــول علي لم تلد قط حـــرة كمالك في اخـــلاقه وشمـــائله
كما كنت للمختار مالك كان لي فقد صار هذا القول اسنى فضائله
وقال على الفجار كالنار مالك تذر رمادا في التهاب مشاعله
وقد هزمت اهل الشام حياته واهل عراق اذهوى في حيائله
فاكرم به قولا واكرم بمن له يقال واكرم ثم اكرم بقائله
فقد عرفت من كان يجهل قدره ودلت على سامي الفرامن منازله

موت مالك الاشتر يهزم العراق :

وحياته تهزم الشام : هذا منتهى البطولة وغاية الرجولية وان هذه الشجاعة معجزة هـــذا النوع لا يمكن ان يكون لها نظير في عالم البطولة والفـــروسية ان اقصى ما يتصور في الشجاع والبطل ان يكون له الاثر في ساحات القتال في المنازلة والمصاولة والتأثير عند المجالدة والقراع فتحيد عنه الابطال وتتحاماه الرجال خوفا وذعرا لما زرع في نفوسهم من الهيبة وذر في قلوبهم من الرعب .

اما كونها تنهزم عنه ولم يكن حاضر الخطة ولا شاهد المعركة فهذا مما لا نظير له ولو تصفحنا التاريخ العالمي منذ اسفر فجره فضلا عن اوقات

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تدوينه وضبطه في الاسفار لم نجد بطلا لا في الأمة العربية بعد النبي (ص) واخيه المرتضى ولا في سائر الامم والشعوب ولا جميع القواد المشهورين امثال الاسكندر المقدوني وشارلمان الفاليسي وفردريك الالماني وبورنابرت نابليون الفرنسي وامثالهم ممن دوخوا الدنيا بحملاتهم من له هذه السمة او نعت بمثل ما نعت به الاشتر ذلك البطل الاوحد في عالم البطولة والفريد في قيادة القوات العسكرية .

وهل تدري كيف هزمت حياته اهل الشام انه قد شاهد الشاميون معارك الاشتر ايام الحروب الاسلامية والمغازي والفتوحات في بلادهم الواسعة المستعمرة الرومانية التي اكتسحتها جنود المسلمين وحررتهم من رق الاستعباد الاجنبي والاستعمار الروماني الغليظ وفي ابطال محرريهم مالك الاشتر فشهدوا من بسالته واقدامه ما زرع له في نفوسهم المهيبه وانبت له في افئدتهم الروعة .

مرت ايام القراع الاسلامي في عصر الخليفتين والاشتر هو ذلك البطل الفتاك بكماة الرومان والفرس وقادة سرايا الارهاب التي تتبع حشد الغلوبين لمقارعة العرب ودفعهم فما تشعر الجيوش المتحشدة والقوة المستعدة للهجوم على العرب الا بالاشتر يجالدها في مراكزها ويقتحم عليها خنادقها ويخترق خطوطها ناسفا اسوارها وحصونها وقد لاحظ الشاميون كل ذلك وعاينوه ولم تغب عنهم معركة اليرموك الطاحنة وملحمة القادسية المروعة كل ذلك بمرأى الشاميين ومسمعهم .

ثم قارعهم في بلادهم تحت راية الحق وقدام امام الهدى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) حتى اصبح وادي صفين بحرا من دم تسبح فيه الابطال وتخوضه جياد الخيل وقد التحم الاشتر معهم اشد الالتحام في المعارك التي عدت مادة معركة اطلقوا عليها اسم الايام وكل معركة من هذه المعارك يشهدها الاشتر فيلتقط النخبة من ابطالهم ويخير المبرزين في البطولة من فرسانهم فيطعمهم قناته وصارمه اللج حتى فرت الابطال مدبرة تعثر خيولها بالاعنة

وولت حماتها الادبار تطلب النجاة من صفيحته الملتهبة نارا فانتهت تلك المعركة بخديعة ومكر وانمحت تلك الحرب الطاحنة وبقيت روعتها وذعرها في نفوس اهل الشام فهذه الهيبة والرهبة لا تمحى مادام شخص الاشتر ماثلا وشبح هيكله مرئيا .

وهزيمة اهل العراق لموته انما نشأت من الواهمة وخيلها اليهم قصور الهمة وضعف العزيمة فأن العراقي كان يرى في حياة الاشتر ووقوفه بعد الانفصال من الحرب الشامية العراقية جبلا من حديد وقلاعا من الفولاذ تجسدت في هيكل الأشتر وتجسمت في قالبه وهو يظن ان مثل سد الاسكندر يقلع وخط ماجين ينسف وعزم الاشتر راسخ وثباته راسي على طول خطوط العراق وحدوده السورية هكذا يعتقد العراقي في حياة الاشتر حتى اذا مات تخيلوا ان تلك القلاع قد انهارت وتلك الجبال قد اندكت وتبعثرت فلم تبق لهم بعده حصون ومعاقل وتخيلوا انهم قد اصحروا لعدوهم وكشفت لراميهم الثغرة فرماها وبدا لطاعنهم المقتل فطعنه فشلت اعضاء العزيمة وتهرمت قوائم النجدة فانهزموا فاشتت الغارات على داخليتهم كالانبار وماوالاها

للمؤلف :

شخص كالف قد سمعت بذكره ... ولكن كقطر ما سمعت الى الآن
سوى مالك فليحي ذو المجد مالك ... وفخرا به فخرا قبائل قحطان
ومن هزمت اهل الشام حياته ... وميتته اهل العراق بلاثان

قال الجاحظ في البيان والتبيين (١) يعقوب بن داود قال ذم رجل الاشتر فقال له رجل من النخع اسكت فان حياته هزمت اهل الشام وموته هزم اهل العراق انتهى ، وهذا الكلام ماخوذ من قول امير المؤمنين (ع) فيه فانه قال كما سمعت اعز موته اهل المغرب واذل اهل المشرق يعني باهل المغرب اهل الشام وباهل المشرق اهل العراق وقال فيه وذكره ابن ابي الحديد

(١) البيان والتبيين ص ١٦١ ج ٣ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ونصه (١) قال ابراهيم وحدثنا محمد بن عبدالله بن ابي سيف المدائني عن جماعة من اشياخ النخع قالوا دخلنا على امير المؤمنين «ع» حين بلغه موت الاشتر فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه ثم قال لله در مالك وما مالك لو كان من جبل لكان فندا (٢) ولو كان من حجر لكان صلداً اما والله ليهدن موته عالما وليفرحن عالما على مثل مالك فلتبك البواكي وهل موجود كمالك قال علقمة ابن قيس النخعي فما زال يتلهف ويتأسف حتى ظننا انه المصاب به دوننا وعرفنا ذلك في وجهه ايانا انتهى قوله «ع» ليهدن موته عالما يعني بهم اهل العراق وليفرحن عالما يعني به اهل الشام فكان كما قال «ع».

«الدخول الى الحرب»

معارك الاشتر وحروبه: ونبتدئها على الترتيب لا يختلف المؤرخون ان الأشتر شهد المغازي والفتوحات الاسلامية جميعها في سوريا والعراق وتركستان وايران وقامت على رأسه اعظم الوقائع واشهرها ذكرا في التاريخ اليرموك في الشام والقادسية في العراق وانكار الطبري لحضوره القادسية مردود بما اتفق عليه المؤرخون انه شهدها وانه اول من عبر النهر على الاعجام واليرموك موضع في شرق الاردن يعرف بالمزيريب قال في نزهة المجالس اليرموك هو مكان معروف ينزله الحجاج في ذهابهم ويسمونه المزيريب (٣) انتهى واما

(١) ص ٣٠ ج ٢ (٢) الفند الجبل المنفرد من الجبال قاله ابن الاثير في النهاية (٣) يصف اليرموك ابن سعيد في كتاب حروب الاسلام صفحة ١١٠ ويقول وادي اليرموك احد اودية حوران ينبع ماؤه في اراضي الزيدان اراضي قرية نخل ويسمى بنهر الحرير ويمر بين شمسكين ونوى ثم باراضي داعل فطفس ثم بجانب قرية قديمة تدعى تل الاشعري وهناك ينحدر نهر –

القادسية فهي في البادية على ميلين من الرحبة وتعرف قديما (بكاديسيا) في طريق حجاج النجف الاشرف.

معركة اليرموك: هذه الوقعة من اطول الوقائع قصصا واعظمها اهوالا وندع تفاصيلها للتواريخ المبسوطة ونذكر ما يخص الاشتر ولا نعيد ما ذكرناه اولا من قطعه الدرب مع ميسرة وظهوره على الروم فيها.

قال الحموي في معجم البلدان (١) والبلاذري في فتوح البلدان (٢) واللفظ اختلفوا في اول من قطع الدرب درب بقراس قال بعضهم قطعه ميسرة بن مسروق العبسي وجهه ابو عبيدة بن الجراح فلقي جمعا من الروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم لحق به مالك الاشتر النخعي من قبل ابي عبيدة الخ وذكر الازدي في فتوح الشام (٣) والدمشقي في تاريخ الشام (٤) في اخبار اليرموك بعد هزيمة الروم ثم مضى خالد يطلب عظيم الناس حتى ادرك طليعة بثنية العقاب التي يهبط الهابط منها الى الغوطة فتبعهم حتى ادركهم لغوطة دمشق فلما انتهى الى تلك الجماعة من الروم اقبلوا يرمون المسلمين بالحجارة من فوقهم فتقدم اليهم الأشتر وهو في رجال من المسلمين فاذا امامهم رجل من الروم جسيم عظيم فمضى اليه حتى وثب عليه فاستوى هو والرومي على صخرة مستوية فتضاربا بسيفيهما فاطن الاشتر كف الرومي وضرب الرومي الاشتر بسيفه فلم يضره واستمسك كل واحد منهما بصاحبه فوقعا على

– الهرير في واد يقرب عمقه من خمسين متر ويزداد انخفاظه بالتدريج ومن عند هذا الشلال يطلق عليه اسم اليرموك ويعرف الشلال بشلال اليرموك ويصير في هذا الوادي الى جسر سكة حديد الحجاز وله كلام مطول يذكر انه يتصل بخط قطار الحجاز وشرق الاردن. (١) معجم البلدان ص ١٧ ج ٣ (٢) فتوح البلدان ص ١٦٨. (٣) فتوح الشام ص ٢١٠ (٤) تاريخ ابن عساكر ص ١٦١ ج ١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الصخرة ثم انحدرا واخذ الاشتر يقول وهو فى ذلك ملازم العلج لا يتركه قل ان صلاتى ونسكي ومحياي ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من المسلمين فلم يزل يقول ذلك حتى انتهيا الى مستوى الجبل وقراره فلما استقرا وثب على الرومي فقتله وصاح فى الناس ان جوزوا فلما رأى الروم صاحبهم قد قتل خلوا الثنية وانهزموا وكان الاشتر ذا بلاء حسن في اليرموك قالوا لقد قتل ثلاثة عشر رجلا فركب خالد والمسلمون الثنية ثم انحطوا ممرعين وطافوا البلاد يطلبون اعدائهم فى القرى والجبال حتى وصلوا الى حمص الخ .

وقال الطبري فى التاريخ (١) عن ارطاة بن جحيش قال كان الاشتر قد شهد اليرموك ولم يشهد القادسية فخرج يومئذ رجل من الروم فقال من يبارز فخرج اليه الأشتر فاختلفا ضربتين فقال للرومي خذها وانا الغلام الاياري فقال الرومي اكثر الله فى قومي مثلك ام والله لولا انك من قومي لزرت الروم فاما الآن فلا اعينهم انتهى .

وهذا وهم من الطبري شهد الاشتر القادسية عند عامة المؤرخين والاشتر اول من عبر النهر على الفرس من ابطال العرب .

معركة القادسية : هي اعظم معركة طاحنة دارت رحاها بين العرب والفرس وطحنت اعيان الرجال من الفريقين وقائد الوحدات الفارسية رستم وجيشه العرمرم يبلغ مائة الف على ما ذكره المؤرخون وقائد القطعات العسكرية العربية سعد بن ابى وقاص الزهري ويبلغ عدد جيشه خمسة وثلاثين الفا ولكنه جبن واحتجب فى قصر العذيب مع زوجته الجديدة وتنازل عن القيادة لخالد بن عرفطة ووقعت تلك المعركة فى اربعة ايام سمي كل يوم باسم هي ارماث واغواث وعماس والهرير ظهرت فيها بطولة العرب وثباتهم تحت راياتهم واقتحامهم الاهوال وانتهت بقتل رستم وتشتت الجيش الكسروي

(١) تاريخ الطبري ص ٣٦ ج ٤ .

وقصتها اطول القصص التاريخية وخذها من مصادر التاريخ المسهبة واعطيك ما للاشتر فيها من ذكر .

قال ابو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى (١) قال ابو عبيدة فى رواية ابى زيد عمر بن شبه شهد عمرو بن معد يكرب القادسية وهو ابن مائة سنة وست سنين وقال بعضهم بل ابن مائة سنة وعشر قال ولما قتل العلج عبر نهر القادسية هو وقيس بن المكشوح المرادي ومالك بن الحارث الاشتر قال فحدثني يونس ان عمرو بن معد يكرب اخرهم وكانت فرسه ضعيفة الخ .

وقال ابو حنيفة الدينورى فى الاخبار الطوال (٢) فى حديث القادسية ثم ان عمر كتب الى ابى موسى ان يمد سعداً بالجيل فوجه اليه المغيرة بن شعبة فى الف فارس وكتب الى ابى عبيدة بن الجراح وهو بالشام يحارب الروم ان يمد سعداً بخيل فامده بقيس بن هبيرة المرادى فى الف فارس وكان فى القوم هاشم بن عتبة بن ابى وقاص وكانت عينه فقئت يوم اليرموك وفيهم الاشعث بن قيس والاشتر النخعي فساروا حتى قدموا على سعد بالقادسية الخ

وقال العباسى فى معاهد التنصيص (٣) لما قتل عمرو بن معد يكرب العلج عبر نهر القادسية هو وقيس بن المكشوح المرادى ومالك بن الحارث الاشتر وكان عمرو آخرهم وكانت فرسه ضعيفة الخ .

والطبرى كما انكرها مرة اعترف بها اخرى فقال فى التاريخ (٤) وقدم على ابى عبيدة كتاب عمر ان اصرف جند العراق الى العراق وامرهم بالحث الى سعد بن مالك فامر على جند العراق هاشم بن عتبة وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى مجنبتيه عمرو بن مالك الزهرى وربعي بن عامر وضربوا بعدد دمشق نحو سعد فخرج هاشم نحو العراق فى جند العراق وخرج القواد نحو خيل واصحاب هاشم عشرة آلاف الا من اصيب منهم فأتوهم باناس ممن لم يكن منهم ومنهم

(١) الاغاني ص ٢٨ ج ١٤ و ٢٥ (٢) الاخبار الطوال ص ١٣٠ .
(٣) معاهد التنصيص ص ٢٢٣ ج ١ (٤) ص ٥٨ ج ٤ الطبري

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

قيس والاشتر الخ يعني بقيس المكشوح .

معركة الجمل وحرب البصرة : وهذه وقعة الجمل الكبير لان الأشتر ما شهد وقعة الجمل الصغير وكلاهما كانا بالبصرة .

اثارت ام المؤمنين عائشة بين بنيها حربين وادارت بكفها طاحونتين . جعلت في لهواتها صلحاء ابنائها ووجوههم واشرافهم وكلفاها تستدير على قطب الفناء وتدور على مدار البوار وهو عسكر جمل الام المشؤم على ابنائها فالحرب الاولى او الجمل الصغير قبل وصول امير المؤمنين « ع » المذي فار اخرج أهل البصرة عسكرا المتعوس عليه الام راكبة في هودجها فشنت حملة منكرة على شيعة امير المؤمنين « ع » المتمسكين ببيعته من ربيعة وقد تولى قيادتهم الصحابي الجليل « حكيم بن جبلة » العبدي فطحنت هذه الام في هذه المعركة حكيما وثلثمائة من ابطال ربيعة كما انها ضحت بسبعين من السيابجة والزط الصالحين حرس بيت مال المسلمين وقالوا لا نسلمه إلا لامير المؤمنين « ع » وهي تريد ان تذشب فيه اظفار مطامع الزبير وطلحة وشرههما المعقوت .

فذبحت هؤلاء الاخيار حرس بيت المال ذبح الاغنام اهدت دمائهم الزكية الى روح امها ام رومان انتهت حرب الجمل الصغير بذهاب هذه النفوس المسلمة كما ابتدأت بالغدر ونقض العهود التي ابرموها لعثمان بن حنيف الانصاري البدري من اهل السابقة في الاسلام واعيان البدريين فاصدرت امرها الهمجي بالتمثيل به تمثيلا تحظره الشريعة الاسلامية ويمجه العقل الفطري لقبحه من نتف لحيته واشفار عينيه واهداب حاجبيه وهو من السابقين العظماء من اهل العقبة وبدر وبيعة الرضوان ولولم تك لتلك الام إلا هذه الفعلة لاستحقت المقت بها من كل مسلم ان تلك الام الجريئة على العدوان متجاسرة على هتك استار الاسلام والعقل لا تصدها الحرمة الشرعية ولا يصرفها القبح العقلي فالام مجتهدة في اراقة الدماء المحرمة بنص القرآن

والسنة والاجماع وما عاش الاجتهاد عند الجمهور فلتلعب الصحابة بالشريعة الاسلامية ما شاءت .

انتهت معركة الجمل الصغير بامثال هذه الفظائع والمنكرات وسيطرة الام على البصرة ومدت نفوذها عليها حتى ظنت وظن ناصروها ظنهم الخاطئ وتخيلوا خيالهم الضئيل انها اسست دولة النكث وحكومة النقض وثبتت قواعدها واركانها على دعائم راسية واسس محكمة .

وهيهات فان الحمة العلوية والنهضة الحيدرية الميمونة لتوحي اليها لو علمت بان تلك الصروح ستنهار وتلك العروش ستتداك بسطوة مبيد الكفرة ومبير الطغاة المردة من جبابرة قريش والعرب .

للمؤلف :

اذا سل صنوه المصطفى ذا فقاره ... كما سله في يوم بدر وخيبر

فليس لاهل النكث في الارض دولة ... تشاد وتبنى في قوائم عسكر

ولما رأى الشيطان عسكر في الوغى ... تقدم جبريل على صف حيدر

رغى صارخا فالتف حول رغائه ... جموع من الاوباش ملء المعسكر

ولكن رماها المرتضى بشهابه ... شهاب المنايا والمسمى باشتر

لم تبلع الام ريقها ولم تسغ لقمتها حتى شرقت وغصت منذ انقض دليها صقر الامة الاسلامية واصحرلها اسد العروبة الفراس فداف لها في مطعومها ذعاف المنية واذاب لها في شرابها الصاب ومنذ تيقنت تشمير الليث عن ساعده وتكشيره عن انيابه اعتلت هودجها المحاط بالجن والدروع حتى اصبح كقلعة من فولاذ وحصن من حديد والقى على غارب عسكر ذاك البعير المشؤم وبهذا قامت وقعة الجمل الاكبر التي خسر فيها كماة ابطالها عنوان مجدهم ولم يربح جندها سوى الخيبة والخسران « الا ذلك هو الخسران المبين »

قطعت على خطام الجمل المتعوس سبعمائة يد من اشرار القبائل ضبة وباهلة وناجية وعكل وعدي والازد ومذ غاض اليد ابطال جند علي « ع » بحر

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الموت الطاي وشقو اليه عباب الصفوف المتكدسة حوله وخلص اليه مثل عمار والاشتر وذي الشهادتين وذي السيفين واعين بن ضبيعة والمرقال واطاحوا بقوائمه الثلاثة وخرير غو تبدل زجل جند المرة .

الموت عند الجمل المجل

ذعرا ورعبا وطاروا فى فيافى الارض الوسيعة مسلمين امهم وبعيرها الى رحمة الجيش الظافر والامام الفاتح فاسدل عليها وعليهم من حنانه وعطفه بالرحمة وشملهم بالعفو ولم يعاملهم معاملة الفاتحين الظافرين ولا تحكم فيهم تحكم المستولين القاهرين بل نادى مناديه الا لا يتبعن احد مدبرا ولا يجهزن أحد على جريح وجه محمد بن ابي بكر معه عمار قائلا ادرك اختك قبل ان يصل اليها السلاح فحملها محمد ومن معه بهودجها مبجلة محترمة بعناية صاحب العفو والمنة امير المؤمنين « ع » وادخلها البصرة وتعاهدها امير المؤمنين « ع » بالبر والصلة حتى جهزها قافلة الى الدار التى ضرب عليها فيها الحجاب فعادت تحمل عليه حزازة وغيظا مقابلة لاحسانه بالكفران .

وظيفة مالك الاشتر فى حرب البصرة : كان امير المؤمنين « ع » وظف الأشتر لقيادة فيالق المجنبة اليمنى كما جعل المرقال قائد قوات المجنبة اليسرى ورأي آخر ان الاشتر قائد قوات المجنبة اليسرى وعمار بن ياسر قائد القوات اليمنى ونور ذلك المقال واليك الترجيح قال الشيخ المفيد في كتاب الجمل (١) عن ابي جعفر محمد بن علي « الامام الباقر ع » قال سار علي « ع » من ذي قار قاصداً البصرة حتى نزل الخريبة فى اثني عشر الف على الميمنة عمار بن ياسر في الف رجل وعلى الميسرة مالك الاشتر في الف رجل ومعه في نفسه عشرة آلاف رجل وخرج اليه من البصرة الفا رجل خرجت اليه ربيعة كلها إلا مالك بن مسمع منها وجائته عبد القيس باجمعها سوى رجل واحد تخلف

(١) الجمل ص ١٤٢ .

عنها وجائته بنو بكر برأسهم شقيق بن نور السدوسي ورأس عبدالقيس عمرو بن مرحوم العبدي واتاه المهلب بن ابي صفرة فيمن تبعه من الازد انتهى

وقال ابن عبد ربه المالكي فى العقد الفريد (١) قال علي يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن الحارث وكان على الميمنة احمل فحمل فكشف من بازائه وقال لهاشم بن عتبة احد بني زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل وكشف من بازائه فقال علي لاصحابه كيف رأيتم ميسرتي وميمنتي انتهى وفى لفظ يمني ومضريي وانتهت هذه المعركة بمثل قول السيد الحميري على ما ذكره الجاحظ فى الحيوان (٢)

جائت مع الاشقين في هودج ... تزجى الى البصرة اجنادها
كأنها فى فعلها هرة ... تريد ان تأكل اولادها

الملحمة النكراء يوم الجمل الاكبر : هذه الوقعة من الوقائع العظيمة فى التاريخ الاسلامي ذكرها عامة المؤرخين من السنة والشيعة بين مطول ومختصر منهم الطبري وابن الاثير وابن خلدون وابي الفدا والديار بكري وابن كثير وابن قتيبة وابي حنيفة والجلبي والمفيد وابن شهراشوب والمسعودي وابن واضح وغيرهم ونحن نورد كلام ابن ابي الحديد في خصوص الأشتر فاذا استوفيناه ذكرنا كلام المفيد ايضا فيما يخص الاشتر لا تراعي بذلك الترتيب قال ابن ابي الحديد (٣) قال ابو مخنف وبعث علي « ع » الى الاشتر ان احمل على ميسرة اهل الجمل وكان عليها هلال بن وكيع الدارمي فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل وكيع قتله الاشتر فمالت الميسرة الى عائشة فلاذوا بها وعظمهم بنو ضبة وبنو عدي ثم عطفت الازد وناجية وباهلة الى الجمل فاحاطوا به فاقتتل الناس حوله قتالا شديداً وقتل كعب بن سور قاضي

(١) العقد الفريد ص ٨٧ ج ١ (٢) حيوان الجاحظ ص ٩١ ج ١
(٣) شرح النهج ص ٨٦ ج ١ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

البصرة جائه سهم غرب فقتله وخطام الجمل في يده وقتل عمرو بن يثربي الضبي وكان فارس اهل الجمل فخرج علباء بن الهيثم السدوسي رحمه الله فقتله عمرو ثم دعى الى المبارزة فخرج اليه عمرو بن هند (١) الجملي رحمه الله فقتله عمرو ثم دعى الى المبارزة فقال زيد بن صوحان العبدى رحمه الله لعلي عليه السلام يا امير المؤمنين اني رأيت بدأ اشرفت علي من السماء وهي تقول هلم الينا وانا خارج الى ابن يثربى فاذا اقتلني فادفني بدمي ولا تغسلني فاني مخاصم عند ربي ثم خرج اليه فقتله ابن يثربي ثم رجع واخذ خطام الجمل مرتجزاً يقول :

اردت علباء وهندا في طلق	ثم ابن صوحان خضيبا في العلق
قد سبق اليوم لنا ما قد سبق	والوتر منافي عدى ذي الفرق
والاشتر الغاوي وعمرو بن الحمق	والفارس المعلم في الحرب الحنق
ذاك الذي في الخادعات لم يطق	اعني عليا ليته فينا مرق

ثم ترك بن يثربي خطام الجمل وخرج يطلب المبارزة فاختلف في قاتله فقال قوم ان عمار بن ياسر خرج اليه والناس يسترجعون له لانه كان اضعف من برز اليه يومئذ اقصرهم سيفا واقصفهم رمحا واحشهم ساقا حمالة سيف من نسعة الرحل وذباب سيفه قريب من ابطه فاختلفا ضربتين فنشب سيف ابن يثربي في جحفة عمار وضربه عمار على رأسه فصرعه ثم اخذ برجله يسحبه حتى انتهى الى علي « ع » فقال يا امير المؤمنين استبقني اجاهد بين يديك فقال له علي « ع » ابعد زيد وهند وعلباء ها الله اذا قال فادبى منك اسارك قال انت متمرد وقد اخبرني رسول الله « ص » بالمتمردين وذكرك فيهم فيهم فقال اما والله لو وصلت اليك لعضضت انفك عضة ابنته منك فامر به علي « ع » فضربت عنقه .

وقال قوم ان عمرا لما قتل من قتل واراد ان يخرج لطلب البراز قال

(١) الصحيح هند بن عمرو .

للازد يامعشر الازد انكم قوم لكم حياء وبأس واني قد وترت القوم وهم قاتلي وهذه امكم نصرهادين وخذلانها عقوق ولست اخشى ان اقتل حتى اصرع فان صرعت فاستنقذوني فقالت له الازد ما في هذا الجمع احد نخاف عليك منه الا الاشتر فقال اياه اخاف قال ابو مخنف فقيضه الله له وقد اعلما جميعا فارتجز الاشتر :

انا اذا ما الحرب ابدت نابها	واغلقت يوم الوغى ابوابها
ومزقت من حنق اثوابها	كنا قداماها ولا اذنابها
ليس العدو دوننا اصحابها	من هابها اليوم فلن اهابها
لا طعنها اخشى ولا اضرابها	

فطعنه فصرعه وحامت عنه الازد فاستنقذوه فقام وهو وقيذ فلم يستطع ان يدفع عن نفسه واستعرضه عبد الرحمن بن طود البكرى فطعنه فصرعه ثانية ووثب عليه رجل من سدوس فاخذه مسحوبا برجله حتى اتى به عليا عليه السلام فناشده الله وقال يا امير المؤمنين اعفعني فان العرب لن تزل قائلة عنك انك لم تجهز على جريح قط فاطلقه وقال اذهب حيث شئت فجاء الى اصحابه وهو لما به حضره الموت فقالوا له دمك عند اي الناس فقال اما الاشتر فلقيني وانا كالمهر الارن فعلا حده حدي ولقيت رجلا يبتغي له عشرة امثالي واما البكرى فلقيني وانا لما بي وكان ينبغي لي عشرة امثاله وتولى امري اضعف القوم وصاحبي الاشتر قال ابو مخنف فلما انكشفت الحرب شكوت ابنة عمرو بن يثربي الأزد وعابت قومها فقالت :

ياضب انك قد فجعت بفارس	حامي الحقيقة قاتل الاقران
عمرو بن يثربى الذي فجعت به	كل القبائل من بني عدنان
لم يحمه وسط العجاجة قومه	وحنت عليه الازد ازد عمان
فلهم علي بذاك حادث نعمة	ولحيهم احببت كل يمان
لو كان يدفع عن منية هالك	طول الاكف وذابل المران

اومعشر وصلوا السيوف بخطوهم وسط العجاجة والحتوف دواني
لو غير اشتر نالها لنديته وبكيته مادام عضب ابان
لكنه من لا يعاب بمثله اسد الاسود وفارس الفرسان (١)

قال ابو مخنف وبلغنا ان عبد الرحمن بن طود البكرى قال لقومه انا والله قتلنا عمراً وان الاشتر كان بعدي وانا امامه فى الصماليك فطعنت عمرا طعنة لم احسب انها تجعل للاشتر دوني وان الاشتر لذو حظ فى الحرب وانه ليعلم انه كان خلفي ولكن ابى الناس الا انه صاحبه ولا ارى ان اكون خصيما للعامة وان الاشتر لاهل ان لا ينازع فلما بلغ الاشتر قوله قال اما والله لولا اني اطفئت بحرته عنه ما دنى منه وما صاحبه غيري وان الصيد لمن وقذه فقال عبد الرحمن لا انازعه فيه ما القول الا ماقاله واني لي ان اخالف الناس انتهى ولكن يذكر روايتين يثبت فيها ان قاتل ابن بنت عمار بن ياسر ثم يقول قال علقمة قلت للاشتر قد كنت كارها لقتل عثمان فما اخرجك بالبصرة قال ان هؤلاء بايعوه ثم نكثوا وكان ابن الزبير هو الذي اكره عائشة على الخروج فكنت ادعوالله عز وجل ان يلقنيه فلقيني كفة لكفة فما رضيت بشدة ساعدي دون ان قمت فى الركاب فضربته على رأسه فصرعته فلما فهو القاتل اقتلوني ومالكا ، قال لا ما تركته ؛ وفى نفسى منه شيء ذاك عبد الرحمن ابن عتاب بن اسيد لقيني فاختلفنا ضربتين فصرعني وصرعته فجعل يقول : اقتلوني ومالكا ، وعن عبد الله بن الزبير قال وقف علينا شاب وقال احذروا هذين الرجلين فذكره وعلامة الاشتر ان احدى قدميه بادية من شيء

(١) اخذه من قول بنت عمرو بن عبدود العامري الذى قتله امير المؤمنين ع يوم الخندق :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت ابكى عليه دائم الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به من كان يدعى ابوه بيضة البلد

يجذبها الى ان قال الطبري (١) ، فى حديث سيف عن محمد وطلحة قالا كانت ام المؤمنين في حلقة من اهل النجدات والبصائر من افناء مضر فكان لا ياخذ احد الزمام الا كان ممن يحمل الراية واللواء لا يحسن تركها وكان لا ياخذه الا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب لها انا فلان بن فلان فوالله ان كانوا ليقاتلون عليه وانه الموت لا يوصل اليه الابطلبة اوعنت وما رامه احد من اصحاب على ع الا قتل او فلت ولم يعد ولما اختلط الناس بالقلب جاء عدى ابن حاتم فحمل عليه فقتت عينه ونكل .

فجاء الاشتر فحامله عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وانه لا قطع منزوف فاعتنقه ثم جلد به الارض عن دابته فاضطرب تحته فافلت وهو جريض وفى حديث السرى عن عروة بن الزبير قال كان لا يجيء رجل فيأخذ بالزمام حتى يقول انا فلان بن فلان يا ام المؤمنين فجاء عبد الله بن الزبير فقالا حين لم يتكلم من انت قال انا عبد الله بن اختك فقالت واثكل اسماء تعني اختها وانتهى الى الجمل الاشتر وعدى بن حاتم فخرج عبد الله بن حكيم بن حزام الى الاشتر فاختلفا ضربتين فقتله الاشتر وذكر قصة ابن الزبير .

قال الشيخ المفيد (ره) فى كتاب الجمل (٢) كان اخر من اخذ بزمام الجمل رجل من ضبة فجعل يقول :

نحن بنو ضبة اصحاب الجمل (٣) ننعى ابن عفان بأطراف الاسل
ردوا الينا شيخنا ثم بجل

فبرز اليه الاشتر وهو يقول :

كيف ترد نعثلا وقد قتل

(١) تاريخ الطبرى ص ٢١٤ ج ٦ ، ٢٥ الجمل ص ١٧٠
(٢) يزاد فيه هذا المصراع بعد المصراع الاول :
الموت احلى عندنا من العسل لا نرهب الموت اذا الموت نزل

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وضربته على هامته فقلقتها ثم ذكر قصة ابن الزبير ثم قال «١» عن صفوان قال لما تصاف الناس يوم الجمل صاح صائح من اصحاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب ع يامعشر شباب قريش اراكم قد الحمتم وغلبتم على امركم هذا واني انشدكم الله ان تحقنوا دماءكم ولا تقتلوا انفسكم اتقوا الاشتر النخعي وجندب بن زهير العامري «٢» فان الاشتر يشمر درعه حتى تعفوا اثره وان جندبا يخرم درعه حتى يشمر عنه وفي رايته علامة حمراء فلما التقى الناس اقبل الاشتر وجندب الى الجمل يرقلان في السلاح حتى قتلا عبد الرحمن بن عتاب ابن اسيد وسعيد بن زهير بن خلف بن امية وعمد جندب لابن الزبير فلما عرفه قال اتركك لعائشة .

وقال ابن الاثير «٣» قال الاشتر لقيت عبد الرحمن بن عتاب فلقيت اشد الناس واخرقه فما لبثته ان قتلته ولقيت الاسود بن عوف فلقيت اشد الناس واشجعه فما كدت انجو منه فتمنيت ان لم اكن لقيته ولحقني جندب بن زهير الغامدي فضربه فقتله ورأيت عبد الله بن حكيم بن حزام وعنده راية قريش وهو يقاتل عدي بن حاتم وهما يتصاولان تصاول الفحلين فتعاوروناه فقتلناه قال واخذ الخطام الاسود بن ابي البختري فقتل واخذه عمرو بن الاشرف فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلا من اهل بيته الخ .

حرب الاشتر مالك بن الحارث في الجزيرة الفراتية :

ولاه امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليها بعد انقضاء حرب الجمل قال نصر بن مزاحم (٤) وبعث علي «ع» الاشتر على الموصل ونصيبين ودارا وآمدوهيت وعانات وما غلب عليه من تلك الاوضين من ارض الجزيرة وبعث معاوية بن ابي سفيان الضحاك بن قيس على ما في سلطانه من ارض الجزيرة وكان في يده حران والرقة والرها وقرقيسيا وكان من كان

«١» كتاب الجمل ص ١٧٨ «٢» الغامدي لا العامري من غامد الأزد
«٣» تاريخ ابن الاثير ص ١٢٦ ج ٣ «٤» كتاب صفين ص ٨

بالكوفة والبصرة من العثمانية قد هربوا فنزلوا الجزيرة في سلطان معاوية فخرج الاشتر وهو يريد الضحاك بن قيس فلما بلغ ذلك الضحاك بعث الى اهل الرقة فامدوه وكان جل اهلها يومئذ عثمانية فجاؤا وعليهم سماك بن مخرمة واقبل الضحاك ليستقبل الاشتر فالتقى الضحاك وسماك بن مخرمة بمرج مرينا بين حران والرقة فرحل الاشتر حتى نزل عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كان عند المساء فرجع الضحاك ليلته كلها حتى اصبح بحران واصبح الاشتر فرأى ما صنعوا فتبعهم حتى نزل عليهم بحران فحصرهم واتى الخبر معاوية فبعث اليهم عبد الرحمن بن خالد في خيل يغيثهم فلما بلغ ذلك الاشتر كتب كتائبه وعبى جنوده وخيله ثم ناداهم الاشتر الا ان الحي عزيز الا ان الذمار منيع ايها الثعالب الرواغة احتجرتم احتجار الضباب فنادوا ياعباد الله اقيموا قليلا والله ان قد آتيتم فمضى الاشتر حتى مر على اهل الرقة فتحرزوا منه ثم مضى حتى مر على قرقيسيا فتحرزوا وبلغ عبد الرحمن بن خالد انصراف الاشتر فانصرف فلما كان بعد ذلك عاتب ايمن «١» بن خريم الاسدي معاوية وذكر بلاء قومه بني اسد في مرينا وفي ذلك يقول :

ابلغ امير المؤمنين رسالة ... من عاتبين مساعر الجلاد
منيتهم ان آثروك مثوبة ... فرشدت اذ لم توفي بالميعاد
أنسيت اذ في كل يوم غارة ... في كل ناحية كرجل جراد
غارات اشتر في الخيول يريدكم ... بمعرة ومضرة وفساد
وضع المسالح مرصدا لهلاكم ... ما بين عانات الى سنداد

(١) ايمن بن خريم صاحبي اسدي شامي شاعر عثماني العقيدة يرى الجهاد فرضا ويود ظفر اهل العراق ولا يجيز محاربة علي ع وقد دعاه معاوية الى الاشتراك معه في حرب امير المؤمنين ع فامتنع وقال :

ولست مقاتلا رجلا يصلي ... على سلطان اخر من قريش
له سلطانه وعلي اثمي ... معاذ الله من سفه وطيش

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وحوى رساتيق الجزيرة كلها غصبا بكل طمرة وجواد
لما رأى نيران قومي اوقدت وابو انيس فاتر الايقاد
امضى اليها خيله ورجاله واغذ لا يجرى لامر رشاد
ثرنا اليهم عند ذلك بالقنا وبكل ابيض كالعقيقة صاد
في مرج مرينا لم تسمع بنا نعمى الامام به وفيه تعادي
لولا مقام عشيرتي وطعانهم وجلادهم بالمرج اى جلاد
لاتاك اشتر مدحج لا ينتني بالجيش ذا حنق عليك وآد

انتهى امير المؤمنين عنده معاوية والامام عثمان وابو انيس الضحاك بن قيس وافتخر بالعثمانية من بني اسد وقاتلهم سماك بن مخرمة .

حرب مالك الاشتر في معركة صفين : معركة صفين الهائلة التي جرد العدوان فيها صارمه واعتقل البغي قناته ونشر الاعتداء فيها رايته السوداء المصبوغة بالجرائم واللوبة اشد فالتف حولها لفيف الاحزاب والطلقاء وسار تحتها بقايا المؤلفة والعتقاء فتداعت من كل فج وصوب سائقها العمى وحاديها الطمع والجشع وداعيها الحرص على انتشال اموال الامة الاسلامية .

ولما رفت تلك الراية السوداء على رؤس اولئك المنافقين وجدوا امامهم شعباً كبيراً من عرب القحطانية وبقايا منتصرة العرب واخلاط الرومان والجميع بلداء لتحكم البيئة فيهم وتسلط التربة الخبيثة المنبت غلب على ادمغتهم الجمود واستولت البلادة على افهامهم فهم كما يذكر المسعودي المؤرخ انهم لا يفرقون بين الناقة والبعير وكأنهم في عقيدة ابن منير الطرابلسي الشاعر اذ ينعتهم بقوله :

وسكنت جلق واقتـ ـديت بهم وان كانوا بقر
بقر ترى برئيسهـ ـم طيش الظليم اذا نفر

وخذ القصيدة من ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي على هامش المستطرف هؤلاء الهمج الرعاع والبلداء الاغبياء اتباع كل ناعق وقعوا تحت ادارة

شياطين الاحزاب والبالسة الطلقاء كابن النابغة ونظرائه ممن خلع الحياء والايمان معا فاصبحوا في ايديهم كرة تتلقفها صوالج خدعهم ولعبة تدير لولبها ايدي مكرهم .

ان هؤلاء الحمقة وعصابة التكر والمكر استوقدوا نار الحقد القديم واذكوا جمرة الغل المستكن وتذكروا مصارع الاسلاف الكفرة بايدي الهاشميين وتذاكروا بينهم تلك الدماء الشريرة دماء المشركين التي اراقها حق الدين والاسلام بسيوف حماته ال عبد المطلب وبالاخص سيف ناصر الدين والاسلام امير المؤمنين ع .

ولكن الدهاة والخداعون يستلبون شعور ارباب الشعور الحساسة ويذهبون من حيلهم بفكرة المفكرين فما يكون موقف البليد عند دهاء الدهاة وما ماهكانة الابله الغبي من خديعة الخداع اقنع اولئك المتحيلون هؤلاء البلداء فاقدي الشعور والاحساس بحيلة نادرة ودهاء غريب قائلين ان الخلافة قد وقعت لعثمان صحيحة بعقد الشورى فقتله ظلم واعتداء فرسخت هذه الخديعة في نفوس طغام اهل الشام امثال شرحبيل بن السمط الكندي وذي ظليم الاصغر وذي الكلاع الحميري وحمزة بن مالك الهمداني ويزيد الفسري وعمرو ابن مرة الجهني الكذاب الذي زعم ان قردا زنى فرجمته القرود فهؤلاء القرود هم الذين اجتمعوا في امثالهم من المشائخ الجهلة طوال اللحى ونشروا قميص عثمان على منبر دمشق ينوحون حوله ولما بلغ امير المؤمنين علياع ذلك قال ماقميصه بقميص يوسف ولا بكاؤهم بكاء يعقوب ولو عقل هؤلاء المخدوعون من اليمانية لعرفوا ان صحة بيعة عثمان بعقد الشورى متوقف على شرطه من العمل بالكتاب والسنة وسيرة الشيخين والشرط اذا اتفق انتفى معه المشروط وقد اجمعت الامة على مخالفة عثمان للشرط حتى العاقد له ابن عوف فانه قاطعه وقال ما على هذا بايعناه فكيف تصح خلافة من لم يف بشرط البيعة حتى يكون دمه محترما .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المجالدة على الماء واول وقائع صفين : هذه حرب الحفاظ هذا صراع الحمية هـذا جلاد الاحساب فكما تلتحم الامم على نصرة اديانها تلتحم على حفظ كرامتها ومجدها وتضاف الى هذا بواعث اخرى تحث الجيش العراقي ان يحارب حرب المستميت .

افاخ معاوية بذلك الجيش الجرار على شريعة الفرات يحسب ان ابطال العراق سيرجعون القهقرى اذا لم يصلوا الى الماء لم يحسب ان تلك الابطال الشامسة عن الهوان والاحرار الطاعمة بأنهاعن مساس الذل والاهتضام كيف يصدرون ظماء ولا يردون حياض المنايا قبل ورود الشرائع أن انفسهم الابية واحسابهم الكريمة وصفاحهم البواتر ورماحهم الخواطر تفطر بالمنايا وترعف بالحتوف تمطر صواعق الدمار على هامات الاعداء وتصب حاصب الفناء على رؤس الاضداد ومع هذا كله فهي ترجع الى قائد مظفر وليث شرس غضنفر عجيت من حملاته ملائكة السماء حتى نادت لاسيف الا ذوالفقار ولا فتى الا علي

قال نصر بن مزاحم (١) خرج علي ع لما اغتم بما فيه اهل العراق من العطش قبل رايات مذحج واذا رجل ينادي :

اعنعنا القـوم ماء الفـرات ... وفينا الرماح وفينا الجحف
وفينا الشوارب مثل الوشيج ... وفينا السيوف وفينا الزغف (٢)
وفينـا علي له سـورة ... اذا خـوفوه الردى لم يخف
ونحن الذين غداة الزبـير ... وطلحة خضنا غمار الحتف
فما بالنا امس اسد العرين ... وما بالنـا اليـوم شاء نحف
فما للعراق ولا للحجـاز ... سوى اليوم يوم فصكوا الهدف
فديوا اليهم كبزل الجمـال ... دوين الذميل وفوق القطف
فلما تحملوا بشط الفـرات ... وحالوا عليه الجيف

(١) كتاب صفين ابتداء ص ٨٦ طبع ايران .
(٢) الزغفة الدرع الواسعة قاله في اساس البلاغة .

واما تموتوا على طـاعـة ... تحل الجنان وتحبوا الشرف
والا فانتم عبيـد العصا ... وعبد العصا مستذل نطف

قال فحرك ذلك علياع ثم مضى الى راية كندة فاذا مناد ينادي الى جنب منزل الاشعث وهو يقول :

اذا لم يجلي الاشعث اليوم كربة ... من الموت فيهـا للنفوس تفت
فتشرب من ماء الفـرات بسيفه ... فهيتـا انا سابقيل ذلك موتـوا
فان انت لم تجمع لنا اليوم امرنا ... سنلقى التي فيهـا عليك التشت
فمن ذالذي تثني الحناصر باسمه ... سواك ومن هـذا اليه التلفت
فهل من بقـاء بعد يوم وليلة ... نقل عطاشى والعـدو يصوت
هلموا الى مـاء الفرات ودونه ... صدور العوالي والصفيح المصمت

فلما سمع الاشعث قول الرجل اتى عليا عليه السلام فقال يا امير المومنين اعنعنا القوم ماء الفرات وانت فينا ومعنا السيوف خلي عنا وعن القوم فوالله لا نرجع حتى نرده او نموت ومر الاشتر فليعلوا بخيله وليقف حيث آمره فقال ذاك اليك فرجع الاشعث فنادى في الناس من كان يريد الماء فيعـاده الصبح فاني ناهض الى الماء فاتاه من ليلته اثنى عشر الف رجل وشد عليه سلاحه وهو يقول :

ميعادنا اليوم بياض الصبح ... هل يصلح الزاد بغير ملح
الا ولا امر بغـير نصح ... دبوا الى القـوم بطعن سمح
مثل العـزالي وبضرب نفح ... لاصلح للقوم واين صلحي
حسبي من الاقحام قاب رمح

فلما اصبح دب في الناس وسيوفهم على عواتقهم حتى خالط القوم ونادى انا الأشعث بن قيس خلوا عن الماء فنادى ابو الاعور اما والله لا حتى تأخذنا واياكم السيوف فقال الأشعث قد والله اظنها دنت منا وكان الأشتر قد تعالى بخيله حيث امره علي وع، فبعث اليه الأشعث ان اقحم الخيل فاقحمها حتى

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وضعت سنابكها في الفرات واخذت القوم السيوف فولوا مدبرين قال نصر (١) عن جابر سمعت تميم الداجي قال سمعت الاشعث بن قيس يقوم يوم حال عمرو بن العاص بيننا وبين الفرات ويحك يا عمرو والله ان كنت لاظن لك رأيا فاذا انت لا عقل لك اترانا نخليك والماء تربت يداك وفاك اما علمت انا معشر عرب ثكلتك امك وهبلتك لقد زمت امراً عظيما فقال له عمرو اما والله لنعلمن اليوم انا سنفي بالعهد ونقيم على العقد ونلفاك بصبر وجد فناداه الأشتر والله لقد نزلنا هذه الفرضة يابن العاص والناس تريد القتال على البصائر وما قتالنا سائر اليوم إلا حمية ثم كبر الأشعث وكبر الاشتر ثم حملا فثار الغبار حتى انهزم اهل الشام الى ان قال نصر (٢) عن اسماعيل السدي حدثني من سمع الأشتر يوم الفرات وكان له غناء عظيم عن اهل العراق وهو يقول

اليوم يوم الحفاظ بين الكماة الغلاظ
تحفزها والظاظ

وقد قتل يومئذ من آل ذي لعوة ٣. وكان يومئذ فارس اهل الاردن وقتل رجال من آل ذي يزن قال نصر ثم ان الأشتر دعى الحارث بن هام النخعي ثم الصهباني فاعطاه لوائه وقال يا حارث لولا اني اعلم انك تصبر عند الموت لاخذت لوائي منك ولم احبك بكرامتي قال والله يا مالك لاسرنك اليوم او لاموتن فاتبعني فتقدم وهو يقول :

يا اشتر الخير ويا خير النخع وصاحب النصر اذا عم الفزع
ما انت في الحرب العوان بالجذع قد جزع القوم وعموا بالجزع
وجرعوا الغيظ وغصوا بالجرع ان تسقنا اليوم فما ذي بالبدع
او نعطش اليوم فجسد يقتطع ما شئت خذ منها وما شئت فدع

فقال الاشتر اذن مني يا حارث فدني منه فقبل رأسه وقال لا تقبح هذا اليوم الا خيرا ثم قام الاشتر يحرض اصحابه يومئذ وهو يقول « فدتكم

(١) ص ٨٩ (٢) ص ٩٠ (٣) لغوه اظنه تصحيف لعوة .

نفسي شدوا شدة الحرج الراجي الفرج فاذا نالتكم الرماح فالتووا فيها واذا عضتكم السيوف فليمض الرجل على تواجذه فانه أشد لشؤن الرأس استقبلوا القوم بهامكم » قال .

وكان الاشتر يومئذ على فرس له محذوف ادهم كان له حلك الغراب وعن ضمضمة بن صوحان قال قتل الاشتر في تلك المعركة سبعة وقتل الاشعث خمسة ولكن اهل الشام لم يثبتوا فكان الذين قتلهم الأشتر صالح بن فيروز العكي ومالك السلماني ورياح بن عتيك الغساني والاجلح بن منصور الكندي وكان فارس اهل الشام وابراهيم بن الوضاح الحجي وزامل بن عبيدة الجذامي ومحمد بن روضة الحجي قال قاول قتيل قتل الأشتر ذلك اليوم يده رجل يقال له صالح بن فيروز فقال وارتجز على الأشتر :

يا صاحب الطرف الحصان الادهم اقدم اذا شئت علينا اقدم
انا ابن ذي العز وذي المكرم سيد عك كل عك فاعلم

فبرز اليه الأشتر وهو يقول :

آليت لا ارجع حتى اضربا بسيفي المصقول ضربا معجبا
انا ابن خير مذحج مركبا من خيرها نفسا واما وابا

ثم شد عليه بالرمح وفاق ظهره فقتله ثم خرج اليه فارس آخر يقال له مالك بن ادهم السلماني وكان من فرسان اهل الشام وهو يقول :

اني منحت صالحا سنانيا اجيبه بالرمح اذ دعانيا
لفارس امنحه طعانيا

ثم شد على الاشتر فلما رهقه التوى الاشتر على الفرس ومار السنان فاخطأه ثم استوى على فرسه وشد عليه بالرمح وهو يقول :

خانك رمح لم يكن خوانا وكان قدما يقتل الاقرانا
لو نشه بخسير ذي قحطانا اشهل لا وغلا ولا جبانا

فقتله ثم خرج فارس آخر يقال له رياح بن عبيدة وهو يقول :

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اني زعيم مالك يضرب بذي غرارين جميع القلب
عبل الذراعين شديد الصلب

فخرج اليه الاشتر وهو يقول :

رويد لا تجزع من جلادي جلاد شخص جامع الفؤاد
يجيب في الروع دعا المنادي يشد بالسيف على الاعادي

فشد عليه فقتله فخرج اليه فارس آخر يقال له ابراهيم بن الوضاح وهو يقول :

هـل لك يا اشتر في براز ذي غشم وذي اعتزاز
مقـاوم لقرنه لزاز

فخرج اليه الاشتر وهو يقول :

نعم نعم اطليـه شهيـدا معي حسام يقصم الحديدا
يترك هامات العدي حصيدا

فقتله ثم خرج اليه فارس آخر يقال له زامل بن عتيك وكان من اصحاب الالوية فشد عليه وهو يقول :

يا صاحب السيف الخضيب المرزبي وصاحب الجوشن ذاك المذهب
هل لك في طعن غلام محرب يحمل رمحا مستقيم الثعلب
ليس بحياد ولا مغلب

فطعن الاشتر في موضع الجوشن فصرعه عن فرسه ولم يصب مقتلا فشد عليه الاشتر فكف قوائم فرسه بالسيف وهو يقول :

لابد من قتلي او من قتلكا لقـد قتلت خمسة من قبلكا
وكلهم كانوا حماة مثلكا

ثم ضربه بالسيف وهما راجلان فقتله ثم برز اليه فارس يقال له الاجلح ابن منصور وكان من اعلام العرب وفرسانها وكان على فرس يقال له لاحق فلما استقبله الاشتر كره لقائه واستحى ان يرجع فخرج اليه وهو يقول:

اقدم باللاحق لا تمهل على ظمر ظاهر التسالل
كأنما يقصم من الحنظل ان ضمته خسفا الى ان يقبل
وان دعاه القرن لم يحول يمشي اليه بحسام مفصل
مشيدا رويدا غير مامستعجل يخترم الآخر بعد الاول

فشد عليه الاشتر وهو يقول :

بليت بالاشتر ذاك المذحجي بفـارس في حلق مـذحج
كالليث ليث الغـابة المهيج اذا دعاه القرن لم يعرج

فضربه ثم خرج اليه محمد بن روضة وهو يضرب في اهل العراق ضربا منكرا وهو يقول :

يا ساكني الكوفة يا اهل الفتن يا قاتلي عثمان ذلك المؤتمن
اضربكم ولا ارى ابا الحسن

فشد عليه الاشتر وهو يقول :

لا يبعـد الله سوى عثمانا ولا يسلي عنكم الاحزانا
وانزل الله بكم هوانا نصرتموه عابدا شيطانا

ثم ضربه فقتله قال نصر (١) في حديث صعصعة ثم اقبل الاشتر يضرب بسيفه جمهور الناس حتى كشف اهل الشام عن الماء وهو يقول :

لا تذكروا ما قد مضى وفاتا فالله ربي باعث اموانا
لاوردن خيلي الفراتا شعث النواصي او يقال ماتا

الخ ولم نذكر من اخبار يوم الماء الا ما يخص الاشتر دون غيره .

ايام صفين وظهور الاشتر فيها : انتهت معركة الشريعة والجلاد فيها على الحمية والحفاظ وجاءت ايام الجلاد على البصيرة والدين تعد ايام صفين مائة يوم يعنون مائة وقعة التحم العرب الاسلاميون في هذه الملحمة التي لم يقع لها

(١) صفين ص ٩٣ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

تظير في سائر الحروب العربية في الجاهلية والاسلام ولا يوم القادسية واليرموك واشترك فيها اهل العراق والحجاز واليمن وسوريا ولبنان وشرق الاردن وفلسطين وهؤلاء جميعا عرب اقحاح لم تذهب عن نفوسهم حمية الجاهلية ولاحفاظ العرب القدماء وعند الكثير منهم بصيرة الدين فكاد الفناء يقضي على الجمعين العلوي والعثماني ولكن قائد اهل الدين الحازم صاحب العطف والحنان امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» خاف على اهل الاسلام الفناء فجعل الحروف نوائب بين القواد والرؤساء فقابله قائد الاحزاب بالمثل حتى كانت الملحمة العظمى باشتباك الجيشين جميعا في يوم الهرير وكانت تلك الفاصلة.

قال نصر بن مزاحم (١) كان علي «ع» يأمر الرجل الشريف فيخرج معه جماعة فيقاتل ويخرج اليه من اصحاب معاوية رجل معه جمع آخر فيقتتلان في خيلهما ورجلهما ثم ينصرفان واخذوا يكرهون ان يتزاحفوا بجميع الفيلق من اهل العراق واهل الشام مخافة الاستئصال والهلاك فكان علي «ع» يخرج الاشتر مرة في خيـــله ومرة ومرة حجر بن عدي وشبث بن ربعي التميمي مرة ومرة خالد بن المعمر السدوسي ومرة زياد بن النضر الحارثي ومرة زياد بن جعفر الكندي ومرة سعيد بن قيس الهمداني ومرة معقل بن قيس الرياحي ومرة قيس بن سعد بن عبادة وكان اكثر القوم حروبا الأشتر ثم ذكر اصحاب معاوية قال المسعودي في تاريخه (٢) لما كان اليوم الاخر من المحرم قبل غروب الشمس بعث علي «ع» الى اهل الشام اني قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم اليه واني قد نبذت اليكم على سواء «ان الله لا يحب الخائنين» فلم يردوا عليه جوابا الا السيف بيننا وبينك او يهلك الاعجز منا واصبح علي «ع» يوم الاربعاء وكان اول يوم من صفر فعبأ الجيش واخرج الأشتر امام الناس واخرج اليه معاوية

(١) كتاب صفين ص ١٠٣ . (٢) مروج الذهب ص ١١٠ ج ٣ .

وقد تضاف اهل العراق واهل الشام حبيب بن مسلمة الفهري وكان بينهم قتال شديد واسفرت عن قتلى من الفريقين جميعا وانصرفوا الى ان قال وذكر جماعة من امراء علي «ع» قاتلوا في ايامهم واخرج علي «ع» في اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء الاشتر في النخع وغيرهم واخرج اليه معاوية حبيب ابن مسلمة الفهري فكانت بينهما سجالا وصبر كلا الفريقين وتكاثروا وتواقفوا للحرب واسفرت عن قتلى منهما والجراح في اهل الشام اعم الخ وذكرها الطبري بزيادات فراجعه.

وذكر اخطب خوارزم في المناقب (١) انه في اليوم الثلاثين من صفر لما اصبح امير المؤمنين «ع» اتاه سعيد بن قيس الهمداني فوقف خيله مع رايته واتاه الاشتر في عسكر وحجر بن عدي الكندي وقيس بن سعد بن عبادة ثم اتاه عبدالله بن عباس وسليمان بن صرد الخزاعي والمغيرة بن خالد ورفاعة بن شداد وجندب بن زهير واخرج امير المؤمنين «ع» درع رسول الله «ص» وعليه جفتان (٢) اخضر محشو بالقز وهو متقلد سيف رسول الله «ص» وعليه جعفته وبيده قضيب رسول الله «ص» المشوق واقبل علي «ع» على الاشتر وقال يا مالك معي راية لم اخرجها الا يومي هذا وهي اول راية اخرجها النبي «ص» وقد قال لي عند وفاته يا ابا الحسن انك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين واي نصب وتصب يصيبك من اهل الشام فاصبر على ما اصابك فان الله مع الصابرين.

فاخرج الراية وقد عفت وبليت وبكى الناس لما رؤها وبكى علي «ع» وقبلها من وجد اليها سبيلا فقال علي «ع» لقنبر اخرج درع رسول الله ص الملوس بيده وسيصير لابني الحسن ولا يستعمله وسينكر بيد ابني الحسين ولقد اخبرني رسول الله «ص» باخبار كثيرة واعلم ان الدنيا دنية خلقت للفناء والخير يكون خير الاخرة لانها خلقت للبقاء ثم سار ومعه الناس الى

(١) مناقب الخوارزمي ص ١٦٣ . طبع ايران . (٢) الجفتان الوعاء .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

المعركة وصف الصفوف وتأهبوا للقتال فاول من برز من اهل الشام رجل عليه درع مذهبة وبيضة عادية وبيده سيف حميري وقال يا اهل العراق ان اليوم تجري الدماء على الارض كما يجري الماء في النهر وقد صدقتم اليوم نسفك دمائكم فليبرز الي بعضكم فبرز اليه عمرو بن عدي بن وهب النخعي وقال يا شامي انت اول قتيل ثم تكاقحا فسبقه عمرو بضربة فصرعه ثم وقف مكانه ثم نادى يا اهل الشام ليبرز الي آخر فبرز اليه رجل مشهور بالشجاعة كان معاوية يعده للشدائد يقال له ابو جندب عبيد بن ذؤيب السكوني فقتل ابو جندب عمراً فبرز اليه عبيد الله بن بشير بن عوف النخعي فقتله ابو جندب فبرز اليه السخير بن يحيى النخعي وكان فقيها صالحا سخيا جواداً فقتله ابو جندب فاغتاظ الاشتر وقال لابن عمه طرفل بن عبيدة انزع درعك وتاولنيه وانا ابرز اليه ولعله يعرفني اذا برزت اليه بزي فلا يحاربني فاعطاه ذلك فبرز الاشتر وابو جندب ينظر الى قتلاه فصاح عليه الأشتر وقال قاتلك الله قد قتلت سادات النخع قال لأن القتل وجب عليهم بخروجهم على الامام عثمان فقال الاشتر ما اعظم حماقتكم يا اهل الشام وقد خدعكم معاوية بذلك فانتم اطوع الناس للمخلوق واعصاهم للخالق ولم يعلم ابو جندب انه الاشتر فحمل ابو جندب عليه وضربه بسيفه فاتقاها الاشتر بجحفته ثم ضربه الاشتر على رأسه فرمى به ووقف مكانه ودعى باخر فبرز اليه فقتله الاشتر وكان يقتل كل من برز اليه حتى قتل اثنى عشر رجلا ثم انصرف وكأنه مصاب فقال له اخوه كم مرة تخاطر بروحك وقد قيل :

يا جرة يستقى بها زمنا ... لابد من ان تراك منكسره

فجعل الاشتر يقول :

ابعد عمار وبعد هاشم ... وابن بديل بطل الملاحم

نرجو البقاء ظل حلم الحالم ... لقد عضضنا السن بالابام

فاليوم لا نقرع سن نادم

وكان قبل ذلك قتل عمار بن ياسر وهاشم بن عتبة بن ابي وقاص ابن اخي سعد بن ابي وقاص وعبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وكانوا فرسان العراق ومرارة الحرب ورجال المعارك وحتوف الاقران وامراء الاجناد وانياب امير المؤمنين « ع » وقد فعلوا باهل الشام ما بقي ذكره على ممر الاحقاب حتى احتالوا لقتلهم فقتلوا فذكرهم الاشتر في شعره متأسفا عليهم

ثم برز رجل من اهل الشام ونادى يا اهل العراق من الذي قتل منا اثنى عشر رجلا فيهم اخي وعمي وخالي فقال له الاشتر وانت تلحق بهم الساعة انشاء الله ثم انشأ يقول :

انا الغلام الاريحي الكندى ... اختال في الديباج والافرند

فضربه الاشتر فرمى رأسه انتهى هكذا ذكر الخوارزمي واما نصر فنصه (١) عن الشعبي ان اول فارسين التقيا في هذا اليوم وهو اليوم السابع من صفر وكان من الايام العظيمة في صفين ذا اهوال شديدة .

حجر الخير وحجر الشر اما « حجر الخير » فهو حجر بن عدي صاحب امير المؤمنين علي بن ابي طالب « ع » و (حجر الشر) ابن عمه (٢) وذلك ان حجر الشر دعى حجر بن عدي الى المبارزة وكلاهما من كنده فاجابه فاطعنا برمحيهما وحجز بينهما امرء من بني اسد كان مع معاوية فضرب حجر ابن عدي ضربة ضمخه بها وحمل اصحاب علي « ع » فقتلوا الاسدى وافلتهم حجر بن يزيد الشر هاربا وكان اسم الاسدى خزيمة بن ثابت وعن مروان بن الحكم ان حجر الشر لما قتل الحكم بن ازهر جعل يرتجز .

انا الغلام اليمني الكندى ... قد لبس الديباج والافرندى

انا الشريف الاريحي النجد ... يا حكم ابن ازهر بن فهد

لقد اصبت غارتي وحدى ... وكرتي وشدتي وجدى

اثبت افاتك الغداة وحدى

(١) كتاب صفين ص ١٢٥ . (٢) حجر الشر حجر بن يزيد الكندى

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فحمل عليه رفاعة بن ظالم الحميري وهو يقول :

انا ابن عم الحكم بن ازهر ... الماجد القمقام حين يذكر (١)
في الذروتين من ملوك حمير ... يا حجر الشر تعال فانظر
انا الغلام الملك المحبر ... الواضح المجد كريم العنصر
اقدم اذا شئت ولا تأخر ... والله لا ترجع حتى تعثر

في قاع صفين بواد مقفر

ثم ان رفاعة حمل على حجر الشر فقتله فقال علي « ع » الحمد لله الذي قتل حجر الشر الحكم بن ازهر وقال ابو حنيفة في الاخبار الطوال بمثل مقالة نصر بن مزاحم وذكرناها وهي غريبة عن ترجمة الاشتر لان الخوارزمي ذكر موقف الاشتر فيها ولنعرف ما يقوله الطبري وغيره ان حجر الشر عاش الى ايام زياد وشهد مقتل حجر الخير .

قال الخوارزمي في المناقب (٢) ان امير المؤمنين « ع » قال للاشتر ان احداً لا يبرز الي ولا اليك فاحمل على الميمنة وتحمل انت على الميسرة وكانت ميمنة معاوية نحواً من عشرة آلاف فارس فحمل علي « ع » عليهم فانهزموا فانشأ يقول :

ألم ترى اني في الحروب مظفر ... هزبر وغى في حومة الحرب حيدر
اقيم على الابطال في الحرب مأتما ... واقتل الفا تم الفا واخطر
اذير رحى منصوبة في ثفالها ... رؤس غطاء الشعر فيها معصفر

وحمل الاشتر على الميسرة فنكص الناس عنه وشد عليه رجل من اهل الشام فضربه فتلقاها الاشتر بجحفته وشد عليه فصرعه وانشأ يقول .

لعمرك اني في المعارك اشتر ... افلق هامات الرجال وخطر
ضربتكم ضربا كضرب امامنا ... علي امير المؤمنين واعذر

(١) الاقواء وهو اختلاف الروي في الاعراب مشهور عند العرب .
(٢) مناقب الخوارزمي ص ١٤٨ .

وقال ايضا روى ان الاشتر خرج في اليوم السادس من حرب صفين وهو يقول :

في كل يوم هامتي موقرة ... يا رب جنبني سبيل الفجره
واجعل وفاتي باكف الفجره ... لا تعدل الدنيا جميعا وبره

ولا يعوض في ثواب البره

فبرز اليه عبيدالله بن عمر بن الخطاب وهو يقول :

انعى ابن عفان وارجو ربي ... ذاك الذي يخرجني من ذنبي

قتل بن عفان عظيم الخطب

ولم يعلم الاشتر من هو فقال من انت قال انا عبيد الله بن عمر فقال الاشتر بئسما اخترت لنفسك يابن عمر هلا اعتزلت كما اعتزل اخوك وسعد بن مالك وان كنت خفت القصاص بدم الهرمزان فهلا هربت الى مكة فقال خل عنك الخطاب والعتاب وحمل كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا وتكاثفا صدرا من النهار ثم هرب بن عمر فعدله عمرو بن تميم بن وهب التميمي وخرج هو الى الاشتر وهو يظن انه يقتله فطعنه الاشتر برمحه فاخرج السنان من ظهره وخر عمرو على وجهه واقتتل الناس قتالا شديدا حتى كاد يذبح بعضهم بعضا وتكادموا بالافواه (١) فكان فيه بوار القوم ثم قال (١) بعد ان ذكر الابيات السينية .

نادى فليبرز الي معاوية فقال معاوية لست بكفؤي قال فابرز الى صاحبي فانه سيد قريش والعرب كلهم ودع التعلل فدعى معاوية جندب بن ربيعة وكان خطب من قبل ابنة معاوية فقال عمرو بن العاص يا جندب ان قتلت الاشتر زوجك معاوية ابنته رملة فبرز اليه جندب فقال له الاشتر من انت ويحك وكم ضمن لك معاوية على مبارزتي قال يزوجني ابنته رملة فانا الآن اتيه برأسك فضحك الاشتر وحمل عليه جندب برمحه فاخذه الاشتر تحت

(١) مناقب الخوارزمي ص ١٥١ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ابطه فجعل جناب يجتهد في جذبه فلم يمكنه حتى ضرب الاشتر رجله فقده نصفين وهرب جندب فطعنه الاشتر برمحه فصرعه ثم حمل على معاوية فخرج رجل من بني جمح فضارب عن معاوية حتى انقذه وكاد الاشتر ان يصل اليه ولم يزل يضاربهم حتى حجز بينهم الليل وهرب معاوية وتشتت تلك الليلة انتهى محنة قائد القوات العلوية بانكسار ميمنة الجيش : ما كان في حساب قائد

القوات ان تنهزم المجنبة التي تحوي نخبة الابطال واعيان القواد امثال سعيد ابن قيس الهمداني وقيس بن سعد بن عبادة وعدي بن حاتم وسليمان بن صرد وزياد بن النضر وشريح بن هانئ وهاني بن عروة وحجر الخير في امثالهم ولكن تجري للقادير لاختبار البشر وامتحانهم في الصبر والثبات على المحن .

ذكر نصر بن مزاحم (١) وابو جعفر محمد بن جرير (٢) الطبري ولفظه قال ابو مخنف حدثني ابو روق الهمداني ان يزيد بن قيس الارحبي حرض الناس فقال ان المسلم من سلم دينه ورأيه وان هؤلاء القوم والله ان يقاتلونا على اقامة دين رأونا ضيعناه واحياء حق راؤنا امتناه ولم يقاتلونا الا على هذه الدنيا ليكونوا جبابرة فيها ملوكا فلو ظهروا عليكم لا اراهم الله ظهورا ولا سرورا الزموكم بمثل سعيد والوليد وعبد الله بن عامر السفيه الضال يجيز احدهم في مجلسه بمثل دينه ودنيا ابيه وجده يقول هذا لي ولا اثم علي كانما اعطى تراثه من ابيه وامه وانما هو مال الله افلا علينا باسيافنا وارماحنا فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين الحاكمين بغير ما انزل الله ولا يأخذكم في جهادهم لوم لائم فانهم ان يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وخبرتم وايم الله ما ازدادوا الى يومهم هذا الا شرا وقاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة قتالا شديدا حتى انتهى الى قبة معاوية ثم ان

(١) كتاب صفين ص ١٢٨ و ٢٢٤ تاريخ الامم والملوك ص ١٠ ج ٦

الذين تبايعوا على الموت اقبلوا الى معاوية فامرهم ان يصمدوا لابن بديل في الميمنة وبعث الى حبيب بن مسلمة في الميسرة فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم وانكشف اهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبق منهم الا ابن بديل في مائتين او ثلثمائة من القراء قد اسند بعضهم ظهره الى بعض وانجفل الناس فامر علي ع سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من اهل المدينة فاستقبلتهم جموع لاهل الشام عظيمة فاحتملتهم حتى الحقتهم بالميمنة وكان في الميمنة الى موقف علي ع في القلب اهل اليمن فلما انكشفوا انتهت الهزيمة الى علي ع فانصرف يتمشى نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من القلب وثبتت ربيعة قال ابو مخنف - حدثني مالك بن اعين الجهني ع زيد بن وهب الجهني قال مر علي ع ومعه ابنوه نحو الميسرة واني لأرى النبل يمر بين عاتقه ومنكبه وما من ابنيه احد الا ويقيه بنفسه فيتقدم فيحول بين اهل الشام وبينه فيأخذه بيده اذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه او من ورائه فبصر به احمر مولى ابي سفيان او عثمان فقال علي ورب الكعبة قتلني الله ان لم اقتلك او تقتلني فاقبل نحوه فخرج اليه كيسان مولى علي ع فاختلفا ضربتين فقتله مولى بني امية وينتهزه علي فيقع بيده جيب درعه فيجذبه ثم حمله على عاتقه كاني انظر الى رجليه تختلفان على عنق علي ع فضرب به الارض فكسر منكبه وعضديه وشد ابنا علي ع حسين ومحمد فضرباه باسيافهما فكاني انظر الى علي ع قائما والى شبليه يضربان الرجل حتى اذا قتلاه واقبلا الى ابيهما والحسن ع قائما قال له يا بني ما منعك ان تفعل كما فعل اخواك قال كفياني يا امير المؤمنين ثم ان اهل الشام دنو منه والله ما يزيده قربهم منه سرعة في مشيه فقال له الحسن ع ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي الى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوك من اصحابك فقال يا بني ازلا بيك يوما لن يعدوه ولا يبطىء به عند السعي ولا يعجل به اليه المشي ان ابالك والله ما يبالي اوقع

على الموت او وقع الموت عليه (١) قال ابو مخنف حدثني فضيل بن خديج عن مولى الاشتر قال لما انهزمت ميمنة العراق واقبل علي ع نحو الميسرة مر به الاشتر يركض نحو القزع قبل الميمنة فقال له علي ع يامالك قال لبيك يا امير المؤمنين قال أما ترى هؤلاء القوم فقل لهم اين فراركم عن الموت الذي لن تعجزوه الى الحياة التي لن تبقى لكم فمضى فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم هذه الكلمات التي قالها له علي ع وقال الي ايها الناس انا مالك بن الحارث ثم ظن انه بالاشتر اعرف فقال انا الاشتر الي ايها الناس فاقبلوا اليه طائفة وذهبت عنه طائفة فقال : ايها الناس عضضتم بهن ابائكم ما اقبح ما فعلتم منذ اليوم ايها الناس اخلصوا لي مذحجا فاقبلت اليه مذحج فقال عضضتم بصم الجندل ما ارضيتم ربكم ولا نصحتم له في عدوكم وكيف بذلك وانتم ابناء الحروب واصحاب الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الاقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون بثارهم ولا تطل دماؤهم ولا يعرفون في موطن بخسف وانتم احد اهل مصركم واعدحي في قومكم وما تفعلوا في مثل هذا اليوم فانه مأثور بعد اليوم فاتقوا مأثور الاحاديث في غد واصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصابرين والذي نفس مالك بيده

(١) يقد بعض الكتاب المصريين المتجددين عليا عليه السلام بهذه السياسة ويقدح به في قلة الحزم وانا اعذر هذا الكاتب لانه قبطي رومي مركب منهما لا يعرف اليقين والبصيرة عند اهل الدين ولا الشمم العربي الخالص ومن كان خالص العربية صحيح اليقين والعقيدة بالله لا يفر ولا يبالي بالموت ثم ان هذا الكاتب ما عاب عليا تصريحا الا وقد عاب رسول الله صلى الله عليه وآله تلويحا لعدم مبالاته بالأخطار وموقفه يوم احد وحنين يرد عن علي عليه السلام كل نقد ثم ما القبطي ومعرفة النظام الحربي ان موقف الرئيس وثباته ثبات الجيش الا يرى انه لما مشى الى الميسرة قر القلب وفيه القوة المعتمدة .

مامن هؤلاء واشار الى اهل الشام على مثل جناح بعوضة من دين محمد (ص) انتم ما احسنتم القراع فاجلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي عليكم بهذا السواد الاعظم فان الله عزوجل لو قد فضه لتبعه من بحانبيه كما يقع مؤخر السيل مقدمه .

فقالوا خذ بنا حيث احببت وصمد نحو معظمهم مما يلي الميمنة واخذ يزحف اليهم ويردهم ويستقبله شباب من همدان (١) وكانوا ثمانمائة مقاتل وقد انهزموا اخر الناس وكانوا قد صبروا في الميمنة حتى اصيب منهم ثمانين ومائة رجل وقتل منهم احد عشر رئيسا كلما قتل منهم رجل اخذ الراية اخر فكان الاول كريب بن شريح ثم شرحبيل بن شريح ثم مرثد بن شريح ثم هبيرة بن شريح ثم يزيد بن شريح ثم سمير بن شريح فقتل هؤلاء الاخوة الستة جميعا ثم اخذ الراية سفيان بن زيد ثم عبد بن زيد ثم كريب بن زيد فقتل هؤلاء الاخوة الثلاثة ثم اخذ الراية عمير بن بشير ثم الحارث بن بشير فقتلا ثم اخذ الراية وهب بن كريب ابو القلوص فاراد ان يستقبل فقال له رجل من قومه انصرف بها يرحمك الله فقد قتل اشراف قومك حولها فلا تقتل نفسك ولا من بقي من قومك فانصرفوا وهم يقولون ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل او نظفر فمروا بالاشتر وهم يقولون هذه المقالة فقال لهم الاشتر انا احالفكم واعاقدكم على ان لا نرجع ابدا حتى نظفر او نهلك فاتوه فوقفوا معه في هذا القول قال كعب بن جعيل :

وهمدان زرقا تبتغي من تحالف

وزحف الاشتر نحو الميمنة وثاب اليه ناس تراجعوا من اهل الصبر والحياء والوفاء فاخذ لا يصمد لكتيبة الا كشفها ولا يجمع الا حازه ورده

(١) هؤلاء شباب من همدان وابو القلوص الشامي شهد اخذ ثار الحسين عليه السلام مع المختار بن ابي عبيد .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فانه لكذلك اذا مر بزياد بن النضر « ١ » يحمل الى العسكر فقال من هذا قالوا زياد بن النضر استلحم عبد الله بن بديل واصحابه من الميمنة فتقدم زياد فرفع لاهل الميمنة رايته فصبروا وقاتل حتى صرع ثم لم يمكثوا الا كلاشيء مر بيزيد بن قيس الارحبي « ٢ » محمولا الى العسكر فقال الاشتر من هذا قالوا يزيد بن قيس فانه لما صرع زياد بن النضر رفع لاهل الميمنة رايته فقاتل حتى صرع .

فقال الاشتر هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم الا يستحي الرجل ان ينصرف لا يقتل او يشفى به على القتل قال ابو مخنف حدثني ابو جناب الكلبي عن الحر بن الصباح النخعي ان الاشتر كان يومئذ يقاتل على فرس له وبيده صفيحة يمانية اذا طأطأها خلت فيها ماء منصبا واذا رفعها كاد يغشي البصر شعاعها وجعل يضرب بسيفه ويقول (الغمرات ثم ينجلينا) قال فبصر به الحارث بن جهان الجعفي « ٣ » والاشتر مقنع في الحديد فلم يعرفه فدنى منه فقال له جزاك الله خيرا منذ اليوم عن امير المؤمنين ع وجماعة المسلمين فعرفه الاشتر فقال يابن جهان مثلك يتخلف عن مثل موطني هذا الذي انا فيه فنظر اليه ابن جهان فعرفه وكان من اعظم الرجال وكان في جسمه خفة قليلة فقال جعلت فداك لا والله ماعلمت مكانك الا الساعة ولا افارقك حتى اموت قال ورآه منقذ وحمير ابنا قيس الناعطيان « ٤ » فقال منقذ لحمير ما في العرب مثل هذا ان كان ما ارى من قتاله عن نية فقال له حمير وهل النية الا ما تراه يصنع قال اني اخاف ان يكون يحاول ملكا قال ابو مخنف حدثني فضيل بن خديج عن مولى الاشتر انه لما اجتمع اليه عظم من كان انهزم عن الميمنة حرضهم ثم قال : عضوا على النواجذ من الاضراس واستقبلوا

« ١ » زياد بن النضر الحارثي من مذحج « ٢ » يزيد بن قيس الارحبي من همدان صاحب يوم الجرعة « ٣ » الحارث بن جهان الجعفي من سعد العشيرة من مذحج « ٤ » ناعط من همدان .

القوم بهامكم وشدوا شدة قوم موتورين بثأر آبائهم واخوانهم حناقا على عدوهم قد وطنوا على الموت انفسهم كيما لا يسبقوا بوتر ولا يلحقوا في الدنيا عاراً وايم الله ما وتر قوم بشيء اشد عليهم من ان يوتروا بدينهم وان هؤلاء القوم لا يقاتلونكم الا عن دينكم ليميتوا السنة ويحيوا البدعة وبعيدوكم في ضلالة قد اخرجكم الله عز وجل منها بحسن البصيرة فطيبوا عباد الله انفساً بدمائكم دون دينكم فان ثوابكم على الله والله عنده جنات النعيم وان الفرار من الزحف فيه سلب العزم والغلبة على الفيء وذل المحيا والممات وعار الدنيا والاخرة) وحمل عليهم حتى كشفهم فلحقهم بصفوف معاوية بين صلاة العصر والمغرب وانتهى الى عبدالله بن بديل وهو في عصبة من القراء بين المائتين والثلاثمائة وقد لصقوا بالارض كانهم جنا فكشف عنهم اهل الشام فابصروا اخوانهم فدنوا منهم فقالوا ما فعل امير المؤمنين « ع » قالوا حي صالح في الميسرة يقاتل الناس امامه فقالوا الحمد لله قد كنا ظننا ان قد هلك وهلكتم وقال عبدالله بن بديل لاصحابه استقدموا بنا فارسل اليه الاشتر ان لا تفعل اثبت مع الناس فقاتل فانه خير لهم وابقى لك ولاصحابك فابى فمضى كما هو نحو معاوية وحوله كامثال الجبال وفي يده سيفا وقد جرح فهو امام اصحابه فاخذ كلما دنى منه رجل ضربه فقتله حتى قتل سبعة ودنى من معاوية فنهض اليه الناس من كل جانب واحيط به وبطائفة من اصحابه فقاتل حتى قتل وقتل ناس من اصحابه ورجعت طائفة قد خرجوا منهزمين فبعث الاشتر الحارث بن جهان الجعفي فحمل على اهل الشام الذين يقبعون من نجى من اصحاب بن بديل حتى نفسوا عنهم وانتهوا الى الاشتر فقال لهم الم يكن رأيي خيراً من رأيكم لانفسكم ألم آمركم ان تثبتوا مع الناس وكان معاوية قال لابن بديل وهو يضرب قدما اترونه كبش القوم فلما قتل ارسل اليه فقال انظروا من هو فنظر اليه اناس من اهل الشام فقالوا لا نعرفه فاقبل اليه حتى وقف عليه فقال

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

هذا عبدالله بن بديل والله لو استطاعت نساء خزاعة ان تقاتلنا فضلا عن رجالها فعلت ادنوه فادنوه فقال هذا والله كما قال الشاعر .

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

والبيت لحاتم طي ثم زحف الاشتر اليهم فاستقبلة معاوية بعك والاشعريين فقال الاشتر لمذحج اكفونا عكا ووقف في همدان وقال لكنده اكفونا الاشعريين فاقتتلوا قتالا شديداً واخذ يخرج الى قومه فيقول انما هم عك فيجثون على الركب ويرتجزون .

يا ويل ام مذحج من عك هاتيك ام مذحج تبكي

فقاتلوهم حتى المساء ثم انه قاتلهم في همدان وناس من طوائف الناس فازالهم عن مواقفهم حتى الحقهم بالصفوف الخمسة المقلة (١) بالعمائم حول معاوية ثم شد عليهم شدة اخرى فصرع الصفوف الاربعة وكانوا معقلين بالعمائم حتى انتهوا الى الخامس الذي حول معاوية فدعى معاوية بفرسه فركب وكان يقول اردت ان انهزم الخ .

قال نصر (٢) غلس علي * ع * بالناس صلاة الغداة عاشر ربيع الاول سنة ٣٧ وقيل عاشر صفر ثم زحف الى اهل الشام بعسكر العراق والناس على راياتهم وزحف اليهم اهل الشام وقد كانت الحرب اكلت الفريقين ولكنها في اهل الشام اشد لكاية خرج رجل من اهل العراق على فرس كميت ذنوب عليه سلاح لا يرى منه الا عيناه وبيده الرمح فجعل يضرب رؤس اصحاب علي * ع * بالقناة ويقول سووا صفوفكم حتى اذا عدل الصفوف والرايات استقبلهم بوجهه وولى اهل الشام ظهره .

ثم حمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي جعل فيكم ابن عم نبيكم

(١) قلد اصحاب معاوية بهذا نصارى الروم يوم اليرموك وقد صنعوا مثل هذا فاهلك النصارى والعثمانية في اليرموك وصفين . (٢) كتاب صفين ص ٢٥٣ .

اقدمهم هجرة واولهم اسلاما سيف من سيوف الله صبه على اعدائه فانظروا اذا حمي الوطيس وثار القتام وتكسرت الرماح وجالت الخيل بالابطال فلا اسمع الا غمغمة وهمهمة قال ثم حمل على اهل الشام وكسر فيهم رمحه ورجع فاذا هو الاشتر قال نصر (١) غدى علي * ع * منقطعا من خيله ومعه الاشتر وهو يريد التل وهو يقول :

انا علي فسلوا لتخبروا ثم ابرزوا الى الوغى او ادبروا
سيفي حسام وسناني ازهر منا النبي الطاهر المطهر
وحمزة الخير ومنا جعفر له جناح في الجنان اخضر
ذا اسد الله وفيه مفخر هذا بهذا وابن هند محجر
مذبذب مطرد مؤخر

فاستقبله بسر بن ارطاة قريبا من التل وهو مقنع في الحديد لا يعرف فناداه ابرز الي ابا حسن فانحدر اليه علي * ع * على تؤدة غير مكترث به حتى اذا قارب طعنه وهو دارع فالقاه الى الارض ومنع الدرع السنان ان يطل اليه فانقاه بسر وقصد ان يكشفها يعتدفع بأسه فانصرف عنه علي ع مستدبراً له فعه فه الاشتر حين سقط فقال يا امير المؤمنين هذا بسر بن ارطاة عدو الله وعدوك فقال دعه عليه لعنة الله ابعد ان فعلها فجعل بن ثم لبسر شاب على علي * ع * وهو يقول :

اردت بسرا والغلام ثائره اردت شيخا غاب عنه ناصره
وكلما حلم لبسر واتره

فحمل عليه الاشتر وهو يقول :

اكل يوم رجل شيخ شاغره وعورة وسط العجاج ظاهره
تبرزها طعنة كف ثائره عمرو وبسر رميا بالفاقره

فطعنه الاشتر فرق صلبه وقام بسر من طعنة علي * ع * الخ

(١) كتاب صفين ص ٢٤٦ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فتاء العرب الاسلاميين والوقعة الحاسمة يوم الهرير : قال نصر (١) عقيب ما تقدم في ١٠ ربيع قال وزحف الناس بعضهم الى بعض بالسيوف وعمد الحديد فلم يسمع السامع الا وقع الحديد بعضه على بعض لهو اشد هولا في صدور الرجال من الصواعق ومن جبال تهامة يدك بعضها بعضاً قال وانكسفت الشمس وثار القتام وضلت الالوية والرايات قال والاشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كل قبيلة او كتيبة من القراء بالاقدام على التي تليها فاجتلد الناس بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة الى نصف الليل لم يصلوا لله صلاة فلم يزل يفعل ذلك الأشتر بالناس حتى اصبح والمعركة خلف ظهره وافترقوا على سبعين الف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة وهي ليلة الهرير

والأشتر في ميمنة الناس وابن عباس في الميسرة وعلي « ع » في القلب والناس يقتتلون ثم استمر القتال من نصف الليل الثاني الى ارتفاع الضحى والاشتر يقول ازحفوا قلب قوسي هذا فاذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى مل اكثر الناس الاقدام فلما رأى ذلك قال اعيذكم بالله ان ترضعوا الغنم (٢) سائر اليوم ثم دعى بفرسه وركز رايته وكانت مع حيان بن هوذة النخعي وخرج يسير في الكتائب وهو يقول ألا من يشري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر او يلحق بالله فلا يزال الرجل من الناس يخرج اليه ويقاتل معه وعن عمارة بن ربيعة قال مر بي والله الأشتر واقبلت معه حتى رجع الى المكان الذي كان به فقال لاصحابه شدوا فدا لكم عمي وخالي شدة ترضون بها الله وتعزون بها الدين فاذا شددت فشدوا قال ثم نزل وضرب وجه دابته ثم قال لصاحب رايته اقدم فاقدم بها ثم شد على القوم وشد معه اصحابه يضرب اهل الشام حتى انتهى بهم الى معسكرهم ثم انهم قاتلوا عند

(١) كتاب صفين ٢٥٥ . (٢) في الاساس رضع الشاة شرب لبنها في الضرع لئلا يحس به كناية عن اللؤم واراد الأشتر انهم اذا لم يحس بقدمهم كان لئما .

المعسكر قتالا شديداً فقتل صاحب رايته واخذ علي « ع » لما رأى الظفر قد جاء من قبله يمده بالرجال قال نصر (١) لما كان اليوم الاعظم قال اصحاب معاوية ما نحن نبرح المعركة حتى يفتح الله لنا او نموت وقال اصحاب علي « ع » ما نحن بتاركي المعركة اليوم انشاء حتى يفتح الله لنا او نموت فباكروا القتال في يوم الشعري (٢) طويل شديد الحرارة فتراموا حتى فنيت النبل ثم تطاعنوا حتى تقصفت الرماح ثم نزل القوم عن خيولهم فمشى بعضهم الى بعض بالسيوف حتى كسرت جفونها وقامت الفرسان على الركب ثم اضطربوا بالسيوف وعمد الحديد في الهام وتكادموا بالافواه وكسفت الشمس وثار القتام وظلت الالوية والرايات ومرت مواقيت اربع صلوات لم يسجد لله فيهن الا تكبيراً (٣) ونادت الشيوخ في تلك المعمرات الله الله في الحرمات من النساء والبنات قال جابر فبكى ابو جعفر « ع » (٤) وهو يحدث بهذا الحديث قال واقبل الاشتر على فرس كميت محذوف قد وضع مغفره على قربوس السرج وهو يقول اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمي الوطيس ورجعت الشمس واشتد القتال واخذت السباع بعضها من بعض فاتم كما قال الشاعر .

مضت واستأخر القرعاء عنها وخلى بينها إلا الزويع

قال يقول واحد لصاحبه في تلك الحال اي رجل هذا لو كانت له نية فيقول له صاحبه واي نية اعظم من هذا ثكلتك امك وهبلتك ان رجلا فيما ترى قد سبح بالدماء وما اضجرته الحرب وقد غلت هام الكماة من الحر وبلغت القلوب الحناجر وهو كما ترى جذلان يقول هذه المقالة اللهم لا تبقنا بعد هذا الخ وحسبك ما ذكرنا فقد اسهبنا وان تركنا من اخباره

(١) كتاب صفين ص ٢٥٧ (٢) تسميه العوام الشعلة وسائح الميزان وهو الباحورا (٣) هذه صفة صلاة المطاردة وهي صلاة شدة الخوف (٤) الامام محمد الباقر .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

في صفين كثيراً كتقسيم معاوية نخبة ابطاله لمقابلة بطال اصحاب امير المؤمنين ع فاطلبها وغيرها من مصادر التاريخ .

(مدائح الاشتر والثناء عليه)

لاتحسب انا نورد في مدحه سجعا مفككا او قريضا ركيكا بل نورد في مدحه ما هو اجل من القريض وافضل من السجع مدح النبوة والامامة له وثناء عظماء العلماء ارباب علم الدراية .

مدح امير المؤمنين علي بن ابي طالب « ع » للاشتر : تقدم في هذا الكتاب بعضه ومنه ماروواه ابن ابي الحديد « ١ » قال لما بلغ عليا ع موت الاشتر قال انا لله وانا اليه راجعون والحمد لله رب العالمين اللهم اني احتسبه عندك فان موته من مصائب الدهر ثم قال رحم الله مالكا فقد كان وفى بعهده وقضى نحبه ولقى ربه انا قد وطنا انفسنا ان نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله (ص) فانها من اعظم المصائب الخ .

وروى الكشي « ٢ » انه لما نعي الاشتر مالك بن الحارث الى امير المؤمنين عليه السلام تأوه حزنا عليه وقال رحم الله مالكا وما مالك عز علي هالكا لو كان صخرا لكان صلدا ولو كان جبلا لكان فندا وكأنه قد مني قدا وقال الشيخ فخر الدين الطريحي (ره) في مجمع البحرين « ٣ » لما جاء هلاك مالك الاشتر الى علي ع صعد المنبر فخطب الناس ثم قال الا ان مالك بن الحارث قضى نحبه ووفى بعهده ولقى ربه فرحم الله مالكا لو كان جبلا لكان فندا ولو كان حجرا لكان صلدا وما مالك وهل تامت النساء عن مثل مالك وهل موجود كمالك قال فلما نزل دخل القصر اقبل عليه رجال من قريش وقالوا الا اشد ما جزعت عليه وقد هلك قال اما والله هلاكه قد اعز اهل المغرب

(١) شرح النهج ص ٣٠ ج ٢ (٢) رجال الكشي ص ٤٤ .
(٣) مجمع البحرين ص ٢٨٣ تبريز .

واذل اهل المشرق قال وبكى عليه اياما وحزن عليه حزنا شديدا وقال لا ارى مثله بعده ابدا انتهى ، ورواه في البحار « ١ » عن الاختصاص وحسبك بما ذكرناه سابقا وفيه كتابه الذي كتبه لاهل مصر في حقه ورواه من اهل السنة الطبري وابن الاثير وابن ابي الحديد ومن الشيعة النجاشي في ترجمة صعصعة والشريف الرضي في نهج البلاغة والمجلسي وغيرهم وفي اليسير الذي اوردناه مالا يخفى على الماهرين عظمة الاشتر وجلالة قدره عند امير المؤمنين ع ولم يبك على احد من اصحابه الا عليه وعلى عمار بن ياسر ولم يتلهف ويتاسف الا لامير رجل واعظم بطل يؤدي حق النصرة له ويعرف حق طاعته ثم ينعته بنعت خاص يمثل بطولته الوحيدة بقوله كأنه قد مني قدا والمدح الذي لا يساويه مدح قوله فيما سبق كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله وحري بمن كانت له تلك النفس العصماء والروح القدسية والشيمة الشماء ان ينشر له في اندية المفاخر لواء الثناء الخالد فسلام على روح الاشتر حيا وسلام على روحه ميتا وسلام على روحه يوم يقوم ماشيا في ركاب المهدي عجل الله فرجه سائرا تحت لوائه المنصور .

للمؤلف :

ارني في رجال العرب شخصا ... يشابه مالكا نفرا وجدا
اذا ابطالهم ذكروا وعدوا ... فمالك في البطولة كان فردا

قال ابن ابي الحديد « ٢ » كان علي ع شديد الاعتضاد به كما هو شديد التحقق بولايته وطاعته ثم دعى له بالرضوان ولست اشك ان الاشتر بهذه الدعوة يغفر الله له ويكفر ذنوبه ويدخله الجنة ولا فرق عندي بينها وبين دعوة رسول الله (ص) ويا طوبى لمن حصل له من علي ع بعض هذا .

الاقتداء والاتباع الخالص :

رد الشمس لأمير المؤمنين علي عليه السلام : روى المفيد ابن الشيخ

(١) بحار ٨ ص ٦٦٨ كمپني (٢) شرح النهج ص ٥٤ ج ٤ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الطوسي ره (٤١٥) باسناده الى احمد بن محمد بن يحيى بن العلاء الرازي قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول لما خرج امير المؤمنين ع الى النهروان وطعنوا في ارض بابل حين دخل وقت العصر فلم يقطعوها حتى غابت الشمس فنزل الناس يمينا وشمالا يصلون الا الاشتر رضي الله عنه وحده فانه قال لا اصلي حتى ارى امير المؤمنين ع قد نزل يصلي قال فلما نزل قال له يامالك هذه ارض سبخة ولا تحل الصلاة فيها فمن كان صلى فليعد الصلاة قال ثم استقبل القبلة فتكلم بثلاث كلمات ما هن بالعربية ولا بالفارسية فاذا هو بالشمس بيضاء نقية حتى اذا صلى بنا سمعنا لها حزيزا كحزيز المنشار انتهى ، ربما يستغرب ان هذه الرواية تخالف التاريخ من ناحية والفتوى من ناحية اما التاريخ ففيه ان الأشتر لم يشهد النهروان وانه مات قبل ذلك والتحقيق ان وفات الاشتر مختلف فيها فقيل سنة ٣٧ وهو قول ساقط لأن صفين كانت بهذا التاريخ وقيل سنة ٣٨ وقيل ٣٩ وهو ارجح وعليه ترتفع الغرابة .

واما الفتوى فالذي استقر عليه الرأي عند فقهاء الامامية كراهة الصلاة في ارض السبخة ولا يوجبون الاعادة والجواب بشيئين (الأول) انها ليست بسبخة وانما هي ارض ملح واهل ذلك العصر يلصقون جباههم بالأرض عند السجود ومن سجد على المعادن كالملح وغيره بطلت صلاته اجماعا وعبر عن الملح بالسبخة في الرواية توسعا في الاطلاق .

(الثاني) ان تلك الصلاة التي صلوها عن شك وارتياب فمن القائل ان عليا لا يعتني بالصلاة واخر يقول انما قاتل الناس على الصلاة واخر يقول لا اصلي قضاء وامثال هذه العقائد التي تثيرها الاوهام القاصرة فوقعت من عندهم تلك الصلاة على شك وارتياب وشرط القبول هو الاخلاص فوجبت الاعادة

واما الارتياب بصحتها من ناحية الالحاد الذي يكافح عقائد الملل ويصارع الشرائع بما يثيره من التشكيك في انفس البسطاء بان مثل هذا يوجب تغيير النظام

(١) مجالس ولد الشيخ ص ٦٤ .

الكوني وتقدير الاوقات الفلكية وهذا مع ما فيه من المصادمة المعجز من اصله فيه من المباهتة ما لا يخفى ان رؤية جرم الشمس في الساعة الواحدة بعد خفاء قرص الشمس لم يغير شيئا لأن مدة رؤيتها في الساعة ومغيبها في الواحدة ونصف لم يذهب بذلك النصف من حساب الليل بل هي ساعة ونصف من الليل رؤيه الشمس في بعضها غاية الامر انها خلاف مجاري العادة لأن العادة هي عدم رؤية الشمس في مثل هذا الوقت فرؤيتها فيه خرق للعادة وهو المعجز لا انه خرق للنظام الكوني وتقدير الحساب ذلك بحاله لم يتغير منه شيء نظير طلوعها واختفائها باسباب اخر كالغيم والدخان وامثال ذلك وانما قيل هذا لالف العادة له وانكر ذلك المخالفة العادة والامر فيهما سواء برفع الحجاب وازالة الستر .

مدح الاشتر بموارات ابي ذر : شهادة النبي ص له بالايمان حديث اتفق على نقله الشيعة والسنة وانبهك قبل التحدث به على استغواء المغالين في عثمان من العامة حيث زعموا ان قتلة عثمان كانوا على ضلال وهم ظالمون وهو مظلوم والنبي ص يشهد لمن شهد دفن ابي ذر بالايمان ودفنه جماعة اكثرهم شهد قتل عثمان بل كلهم اعداء له بين قاتل له ومحرض عليه كابن مسعود ولا يجوز في شريعة العقل ان يسمي النبي ص مؤمنا من ليس بمؤمن بل هذه الشهادة من رسول الله ص بالايمان لهؤلاء دليل ان قتل عثمان لا يحضره الشرع والا لما جاز وصفهم بالايمان وهذا قاتل امير المؤمنين ع سماه اشقى الآخرين فاثبت له صفة الشقاء كما اثبت لقاتل عثمان صفة الايمان فلا تغتر بزخارف الغلات في عثمان ولا بتوريج المتشددين النصاب وخذ الحديث برواية اهل السنة والجماعة قال ابن عبد البر المالكي القرطبي وهو من اعيان حفاظ اهل السنة في كتاب الاستيعاب (١) في اخبار ابي ذر الغفاري ونصه وخرج بعد وفاة ابي بكر الى الشام فلم يزل بها حتى ولي عثمان

(١) كتاب الاستيعاب ص ٣١٢ ج ٣ هامش الاصابه .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية فنفاه واسكنه الربذة فمات بها وصلى عليه عبد الله بن مسعود صادفه وهو مقبل من الكوفة مع نفر فضلاء من اصحابه منهم حجر بن الادبر ومالك بن الحارث الاشتر ثم قال بعد كلام باسناده عن ابراهيم بن الاشتر عن ابيه عن ام ذر زوجة ابي ذر قالت لما حضرت اباذر الوفاة بكيت فقال لي ما يبكيك فقلت ومالي لا ابكي وانا تموت بفلاة من الارض وليس عندي ثوب يسعك كفنا لي ولا لك ولابد من القيام بجهازك قال فابشري ولا تبكي فاني سمعت رسول الله ص يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان او ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار ابدا وقد مات لنا من الولد ثلاثة واني سمعت رسول الله ص يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات في قرية او جماعة فانا ذلك الرجل والله ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق قلت اني وقد ذهب الحاج قال اذهبي فتبصري قالت فكنت اذهب اشتد الى الكثيب فانظر ثم ارجع اليه فامرضه فبينا هو وانا كذلك اذا انا برجال على رحالهم كانهم الرخم تخب بهم رواحلهم فاسرعوا الي حتى وقفوا علي فقالوا يا امة الله مالك قلت امرء من المسلمين يموت فتكفنونه قالوا ومن هو قلت ابوذر قالوا صاحب رسول الله ص قلت نعم قالت ففدوه بابائهم وامهاتهم واسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فقال لهم ابشروا اني سمعت رسول الله ص يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من اولئك النفر احد الا وقد هلك في قرية وجماعة والله ما كذبت ولا كذبت ولو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي ولامرأتي لم اكن اكفن الا في ثوب هو لي او لها انشدكم الله ان يكفنني رجل منكم كان عريفا او اميرا او بريدا او نقيبا وليس من اولئك النفر احد الا وقد قارف بعض ما قال الا فتى من الأنصار فقال انا اكفنك يا عم في ثوب في عيبتي من غزل امي قال انت تكفني قال فكفنه الانصاري وغسله

في النفر الذين حضروا معه وقاموا عليه ودفنوه في نمر كلهم يماني (١) انتهى لم ينفرد به ابن عبد البر بل رواه كثير من حفاظهم وليس هذا موضع تعدادهم .

وفي رواية الشيعة فروى ابو عمر الكشي (٢) باسناده الى جلام الغفاري وكانت له صحبة قال مكث ابوذر رحمه الله في الربذه حتى مات فلما حضرته الوفاة قال لامرأته اذبحي شاة من غنمك واصنعيها فاذا نضجت فاقعدي على قارعة الطريق فاول ركب ترينهم فقولي يا عباد الله المسلمين هذا ابوذر صاحب رسول الله ص قد قضى نحبه والى ربه فاعينوني عليه واجيبوه فان رسول الله صلى الله عليه وآله اخبرني اني اموت في ارض غربة وانه يلي غسلي والصلاة علي رجال من امته مسلمون (وفي نسخة البحار صالحون) وهي الصحيحة قال الكشي قال مجد بن علقمة بن الاسود (٣) النخعي قال خرجت في رهط اريد الحج منهم مالك بن الحارث الاشتر وعبد الله بن الفضل التيمي ورفاعة ابن شداد البجلي حتى قدمنا الربذة واذا امرأة على قارعة الطريق تقول يا عباد الله المسلمين هذا ابوذر صاحب رسول الله ص قد هلك غريبا وليس احد يعينني عليه قال فنظر بعضنا الى بعض فحمدنا الله على ما ساق الينا واسترجعنا على عظم المصيبة ثم اقبلنا معها فجهزناه وتنافسنا في كفنه حتى خرج من بيننا بالسواء ثم تعاونا على غسله حتى فرغنا منه ثم قدمنا مالكا الاشتر فصلى بنا عليه ثم دفناه .

فقام الاشتر على قبره ثم قال اللهم هذا ابوذر صاحب رسول الله ص عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين لم يغير ولم يبدل لكنه رأى منكرا فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي وحرم واحتقر ثم مات وحيدا غريبا اللهم اقصم من حرمه ونفاه من مهاجره وحرم رسولك قال فرفعنا ايدينا

(١) يستدرك على بن عبد البر بن مسعود فانه هذلي من مضر .
(٢) رجال الكشي ص ٤٣ ، ٣٥ الظاهر علقمة بن قيس .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جميعا وقلنا آمين ثم قدمت لنا الشاة التي صنعت لنا وقالت انه قد اقسم عليكم الا تبرحوا حتى تتغدوا فتغدينا وارتحلنا انتهى وذكرنا في كتابنا الميزان الراجح في ترجمة ابي ذر حديث الثقة الجليل علي بن ابراهيم بن هاشم القمي في تفسيره وفي الحديث وكان فيهم الاشتر فروي انه قال كفنته في حلة كانت معي قيمتها اربعة الاف درهم .

كرة مالك الاشتر في الرجعة مع انصار المهدي عجل الله فرجه :

يستريب المتجددون من اهل المذاهب المناوية للشيعة والمترصدة بزعمها اسقاطها فيشنعون على الشيعة بالزائف البهرج من ذلك عقيدة الرجعة الى الدنيا يزعمون انها عقيدة يهودية وانها وجدت في اخبار الطوائف الاسرائيلية لرجوع جماعات من احبارهم اعيدوا بعد الموت كونت لهم هذه الحوادث عقيدة في الرجوع الى الدنيا بعد الموت هذا ما زخرفه المتجددون الذين زعموا انكشاف الحقائق لديهم بما عندهم من المعلومات وانهم ادركوا الاسرار الخبئة بعقولهم الثاقبة وهذه من ذاك ولو دققوا الفكر وامعنوا النظر وكبحوا جماح التمرد وطماح الخيلاء ونزق الاغترار وانقوا نزوة الشذوذ الفاضحة لانهموا عقولهم بركة الادراك ومعلوماتهم بقلة التدقيق .

ان القرآن الكريم ليخبرنا باخبار هؤلاء كصاحب الحمار وصاحب البقرة في امثالهم وليست اخبار القرآن كاخبار جرائدهم ومجلاتهم المشبعة بالالفاظ المنمقة الفارغة من الحقائق والفقيرة الى المعاني ان القرآن كتاب حكمي لا يلغى له حديث ولا يقع خبره فارغا عن معنى فاذا سجل علينا اخبارا مثل هذه عرفنا انها جاءت لرفع الغرابة وازالة الاستيحاش عن الحوادث الاتية المماثلة لها وما اقتصه علينا من اخبار الامم البائدة والانبياء السالفين لم تكن سلسلة حوادث صادرة في ازمنة قديمة يشعرنا بها كما تشعرنا كتب التاريخ العالمي كلا انما قصد سبحانه وتعالى بها رفع الغرابة عن صدور الحوادث الواقعة في هذا العالم الذي ارسل اليه ذلك الرسول الذي ختمت به

النبوة وانه يجري عليه ما جرى من تلك الامم الجبارة هذا رمز هذه الآيات وهذه الحكمة في الاتيان بها واعطف عليها اخبار الرجعة وانها جاءت لرفع الغرابة والاستيحاش عند من يدعي مصادقة العقل له في كل ما اراد وفي كل ما شاء .

وتشابه العقائد وتشاكل الآراء لا يستلزم تقليداً ولا يوجب اتباعا فان في الشريعتين الموسوية والعيسوية ثبوت الربوبية والنبوة وهي عقيدة المسلمين ولم يقل احد ان هذه عقيدة يهودية او نصرانية والذي يحصل التشنيع فيه ويصح التنديد به ما خالف اصل الشريعة الاسلامية فقول اهل المذاهب ان الله في جهة وحيزوانه على صورة شاب امرد هذه عقيدة يهودية بانه تعالى في جهة وحيز ولكنه شيخ اشمط فاتفق هؤلاء مع اليهود في جهة الفوق واختلفوا في ريهم أهو شيخ ام شاب وليست عقيدة الرجعة من هذا الشكل الباطل عقلا وشرعا اذ العقل لا يحيل الرجوع الى الدنيا ولا يمنع احياء الاموات لان قدرة الله تعالى على الاحياء بعد الموت سواء عند الله في الاعادة عند النشور الاعظم وقبلها ومن انكر ذلك فقد انكر القدرة الالهية من اصلها وان ادعى الفرق فعليه البيان ان الله لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء فقد جعل العصا اليابسة حية تسعى وقد احيا الله تعالى لنبيه محمد « ص » كما زعم جاحدوا الرجعة ابويه عبدالله وامنه فامنا به ثم ماتا وهل الرجعة التي تقول بها الشيعة إلا هذا وصدوره ينفي مانعية العقل ويطرد العقيدة اليهودية عن الشيعة الى القائلين برجعة الابوين الكريمين وبهذا صرح السيوطي في الخصائص (١) وذكر جماعة ماتوا ورجعوا بعد الموت كابن العجوز والرجل الذي خبره النبي هو ان يدعو الله فينشر ولده ويصح ان يقال الرجعة الشيعية هي هذه الرجعة .

والقرآن الكريم ينشر في آياته الكثيرة حديث الرجعة ومنها قوله تعالى « ان

(١) الخصائص الكبرى ص ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ ج ٢ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » وحمل هذه الآية الشريفة على المعاد الى مكة لا يصح صناعة عند من عرف الاساليب العربية ومحاورات اهل اللسان الفصيح لان فيه ان هذا الحمل غير صحيح للاتيان به منكراً ولو اريد المعاد الى مكة لعرف باللام اوالاضافة فوجوده منكراً دليل كونه اراد معاداً غير معلوم مثال ذلك في المحاورة الخطابية ان من ضاع له درهم وعرف انسان انه سيعاد اليه يقول تستعيد الدرهم او تستعيد درهمك يريد المفقود منه واذا عرف انه لا يعاد اليه وانما يخلف عليه يقول له تستعيد درهما فقوله الى معاد هو غير المعاد الى مكة كما عرفت ولو اراده لعرفه كما عرفه في قوله (لتدخلن المسجد الحرام) فثبت ان المعاد غير معلوم وكيف كان فقد روي الشيخ المفيد « ره » في كتاب الارشاد (١) عن المفضل ابن عمر عن ابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق « ع » قال يخرج مع المهدي عجل الله فرجه من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلا خمسة عشر من قوم موسى ع يهدون بالحق وبه يعدلون وسبعة من اهل الكهف ويوشع بن نون وسلمان الفارسي وابو دجانة الانصاري ومالك الاشتر فيكونون بين يديه انصاراً وحكاما انتهى (٢) ومعناه ان هؤلاء المذكورون اذا رجعوا الى الدنيا اجتمعوا في النجف ثم خرجوا منه ولحقوا بالمهدي عجل الله فرجه نعم على الرواية القائلة ان ارواح المؤمنين تجتمع في النجف فلا اشكال في الحديث .

ثناء علماء رجال الامامية على مالك : نقل المجلسي في البحار (٣) عن

---

(١) ارشاد المفيد ص٣٩٣ . (٢) يظهر ان في النسخة سقط والظاهر انه سقط اسم كالب بن يوقنا صاحب يوشع .

(٣) البحار ص ٧٢٦ ج ٨ .

الوسائل (١) مالك بن الحارث الاشتر قدس الله روحه ورضي عنه جليل القدر عظيم المنزلة كان اختصاصه بعلي « ع » اظهر من ان يخفى وتأسف امير المؤمنين بموته وقال لقد كان لي كما كنت لرسول الله « ص » قاله العلامة وروى الكشي مدحه انتهى وهذا هو لفظ العلامة الحلي « ره » في الخلاصة (٢) فلا نطيل باعادته وقال الفاضل المجلسي في الوجيزة (٣) وابن الحارث الاشتر حاله اشهر من ان يحتاج الى البيان وقال الشيخ محمد طه نجف في اتقانه (٤) مالك بن الحرث الاشتر اشهر من ان يذكر وكفاه قول مولاه كان لي كما كنت لرسول الله « ص » وقال الاسترابادي في منهج المقال (٥) مالك بن الحارث الاشتر النخعي وفي فهرست الشيخ مالك الاشتر قدس الله روحه ورضي عنه جليل القدر عظيم البركة والمنزلة كان اختصاصه بعلي « ع » اظهر من ان يخفى وتأسف امير المؤمنين « ع » بموته انتهى (٦) وقال الوحيد البهبهاني في التعليقة (٧) مالك بن الحارث تقدم عن النجاشي في صعصعة ذكر عهده ويظهر منه غاية جلالته ونهاية علو مرتبته وقال السيد مصطفى التفرشي في النقد (٨) مالك بن الحارث وذكر مثلما تقدم عن الوسائل والاسترابادي ونقل ابو علي في منتهى المقال عن جماعة من العلماء منهم البرقي « ره » عده من الاصفياء ومنهم الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس صاحب كتاب الرجال والشهيد الثاني وغيرهم وصرح هو كالمجلسي وغيره بقصة ابي ذر وهي اكبر شهادة من رسول الله « ص » بايمانه وحسبك به وقال في نخبة المقال (٩) .

---

(١) وسائل الشيعة ص ٥٥٤ ج٣ عين الدولة (٢) خلاصة الرجال للعلامة ص ٨٢ (٣) الوجيزة ص ١٦٣ (٤) اتقان المقال ص ١١٠ نجف (٥) رجال مرزا محمد ص٣٧١ (٦) لم اجد هذه العبارة في نسختي المخطوطة من الفهرست ولعلها من الخلاصة فوهم الناسخ (٧) تعليقة البهبهاني ص٢٧١ (٨) نقد الرجال ص ٢٧٩ (٩) نخبة الرجال ص ٢٠ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واشتر بن حارث صه للولي مثـــل علي للنبي المرسل

عن امير المؤمنين «ع» قال لقد كـان لي كما كنت لرسول الله «ص»

وقال الخوئي في ملخص المقال (١) مالك بن الحارث الاشتر النخعي من اصحاب علي «ع» ثم ذكر كلام العلامة فى الخلاصة وقال روي الكشي وغيره له مدائح جليلة انتهى وفى جامع الرواة الخطوط كما فى الاسترابادى فلا نطيل به ولم نقصد بايراد ما اوردناه هذا التعريف بالاشتر بل هو اعرف ممن عرفه ولكن الاشتر من حملة الحديث ولاهل الرجال اصطلاح خاص باعتبار كلمة التوثيق من متقدمي علماء الرجال وعدهم من لم ينص الرجاليون على توثيقه ممدوحا وانا لا ارتضي هذه الطريقة وان سلكها العلماء ان مثل هذه المدائح العظيمة عندى ارقى بالف درجة من قول عالم رجالي هو ثقة .

خاتمة

« فى غرائب جهل الجهلاء القدح فى الأشتر »

غرائب الجهل لا تحصى :

ومن الجهل القدح فى مالك الاشتر : عادة كل عظيم من العظماء وشأن كل زعيم من الزعماء ان يكون كثير الاضداد كثير الحساد فيختلقون عليه الاكاذيب وينسبون اليه ما هو منه برىء قصداً للحط من قدره والغض من كرامته وتشويها لسمعته وتحطيما لشخصيته حسداً وبغياً عليه وقد قيل :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً انه لدميم

فاذا كان صاحب الشخصية بطلا شجاعا كثير الحروب والغارات فلا

(١) ملخص المقال ص ٤٨ .

شك ان تراق بسيفه دماء كثيرة وكم لهؤلاء من حفدة واولاد واسر او رهاط فلا ريب ان الجميع يصبحون من اعداءه الالداء واضداده الاشداء واذا عجزوا عن الانتقام منه باليد فلا يعجزهم الانتقام منه بالقذف والافتراء فانهم ولا ريب يرمونه بالمستفظعات ويفترون عليه عظائم الامور واعظم الكل حزازة واشدها غيظاً الحزازة المذهبية والغيظ الطائفي هكذا ولدت الاسباب الكثيرة لمالك الاشتر خصماء اقوياء على الدسائس لهم الاقتدار على القاء السم في العسل كما فعلوه به حسا وفى الاشتر تكاملت الاسباب الموجبة للتحزب المذهبي فالقوا الى المغفلين من العوام والشذاذ من المتعالمين ما اثار النفرة في نفوسهم منه وخذ اليك بيان الاسباب بما يوافق هذا المختصر .

الاول العداوة المذهبية بين السني والشيعي والاشتر من اعلام الشيعة فاهل السنة يعادونه عداء مذهبياً .

الثاني العقيدة واختلاف الناس فى هذه العقيدة اختلافا جوهريا فمن اعتقد صحة الاختيار اعتقد فيمن يعتمد النصوص الضلالة ومن اعتقد بالنصوص وبطلان الاختيار اعتمد فيمن ينفي النصوص ويعتمد الاختيار الضلالة والاشتر من اعيان من يعتقد بطلان الاختيار فعاداه كل من اعتقد الاختيار .

الثالث الحسد والمنافسة فان كثير من الرؤساء الذين غطت عليهم موجة الأشتر وطمت عليهم غمرة مجده ونافسوه فى الزعامة وحسدوه على تلك الرئاسة الضخمة فتحولت المنافسة حقداً والحسد غلا وحنقاً فاختلقوا عليه اموراً نسبوها اليه كذبا امثال انه ترك ابن الزبير لم يقتله لقرابته من رسول الله «ص» واي قرابة لابن الزبير تراعى وهو قد ترك الصلاة على رسول الله «ص» عمداً وقد شاع ان آل العوام ادعياء فى قريش اصلهم القبط الرابع البطولة فانها ولدت له اعداء لا تحصى قتل اقربائهم في الجمل وصفين فكانوا له اعداء من اسوء الاعداء يدسون ما يشوه سمعته عند

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

محبيه امثال قولهم ان علياً « ع » لما امتنع من البيعة بعد قتل عثمان سل الأشتر سيفه وقال لتبايعن وإلا قتلتك كما قتلنا عثمان . الخامس ظن الجاهلين من ارباب المطامع والغايات والاغراض به الظن السيء لانه كان لامير المؤمنين علي « ع » بمنزلة المستشار والمرافق الخاص يعول على رأيه في المهمات ويثق بنصحه وكفائته فكل شخص اقصاه امير المؤمنين « ع » وابعده لنفاقه وغشه وحرمه ما ليس له بحق من مال المسلمين نسب ذلك الى الاشتر وظنها من ايعازاته يريد بذلك اذلال الرؤساء بغضا لشرفهم وغضا منهم ليذلوا ويحقروا

السادس اعداء العدل والمساوات الذين يحبون الاثرة ويرومون الاستبداد باموال الامة الاسلامية فيردهم امير المؤمنين الى القسمة بالسوية وهم يريدون شرف العطاء وسيف الشريف ومن دونه في الحرب سواء وربما كان امضى واقطع كما ظهر اثر ذلك في القادسية حين احتجب سعد بن ابي وقاص في قصر العذيب جبنا ورعباً وجالد ابطال الامة وجاءت اشعارهم ناطقة بعتاب عمر بن الخطاب وهو مؤسس المفاضلة كقول بعضهم .

انخت بباب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقاص علي امير
تذكر هداك الله وقع سيوفنا ... بباب قديس والمكر صرير

وقول الآخر :

نقاتل حتى انزل الله نصره ... وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ... ونسوة سعد ليس فيهن ايم

وقول جرير البجلي :

انا جرير كنيتي ابو عمرو ... قد نصر الله وسعد في القصر

فعلي « ع » لا يرى المفاضلة مع الاشتراك في المخاطرة وهم يظنون انها من رأي الأشتر ومشورته .

السابع اهل الانفة والخيلاء من العرب اذا نظروا لارفاق امير المؤمنين ع بمسلمي الامم وعطفه عليهم عملا بما شرعه القرآن من المساوات بين اهل

الايمان وسنته السنة النبوية من العدل تنمروا وقال قائلهم انا وعبدي سواء وهذه ايضاً يحيونها على رأي الاشتر .

الثامن الجهل اذ توجد فئة من الناس تتحفز مع كل متحفز وتقمز مع كل واثب يستعرضون الحكايات التاريخية استعراضا سطحيا فيحكمون على شواذها وغرائب دسائسها حكما جديا يجعلونه محور الجدل ومدار الخصام مع القاصرين مثلهم عن التحقيق والمقصرين عن البحث والتنقيب وخذ مثالا من ذلك كلمة الطبري الذي اورده في التاريخ (١) وفيه ان الاشتر اتاه الخبر باستعمال علي بن عباس فغضب وقال على ما قتلنا الشيخ (يعني عثمان) اليمن لعبيد الله والحجاز لقثم والبصرة لعبدالله والكوفة لعلي ثم دعى بدابته فركب راجعاً فبلغ علياً فنادى الرحيل ثم اجد السير فلحق به فلم يرد انه قد بلغه عنه شيء فقال ما هذا السير سبقتنا وخشي ان ترك والخروج ان يوقع في انفس الناس شراً انتهى هذه الطامة من بعض الطامات التي تودع في تاريخ الطبري واحدى دواهي اختلاق المذاهب وقد تلقفها ابن ابي الحديد حجة القادح الاحمق وحسبها ضالته المنشودة وابن ابي الحديد يعادي الأشتر دينا ومذهباً اما المذهب فهو يعني حنفي واما الدين فمعتزلي يرى نجاة رؤساء الجمل تصريحا ومستتر بعطب من حاربهم فهو يحرى اسقاطه بكل ما يبلغه جهوده واوصلته مساعيه اليه فأورد هذه البلية التي غرت بعض المشيعين بالغباوة الساغبين من الفطانة والعلم فقدحوا بهذه في الاشتر .

ومن لم يعرف القواعد العلمية ولم يمارسها مماسة المتطلعين لا يجوز له القدح في عظماء الشيعة ولا يحل له الطعن في النوابغ الكبراء المعروفين بالاخلاص لاهل البيت المطهر والكلمة التي استغلها ابن ابي الحديد من الطبري واستخف عقلية هذا القادح هي قوله روي ان علياً « ع » لما ولي بني العباس على الحجاز والبصرة واليمن قال الاشتر على م قتلنا الشيخ بالامس وان علياً ع

(١) تاريخ الطبري ص ١٩٤ ج ٥ .

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

لما بلغه احضره ولاطفه واعتذر اليه انتهى .

فاندرجت هذه المقالة التاريخية المدسوسة هذا القادح المغرور الى الطعن بالاشتر وجسرت هذا المتهور على التهزأ به .

ومن نظر فيما قدمناه نظر الناقد البصير يعلم انه لا يقذف بنفسه في لهوات الحروب التي زلت عندها اقدام الاثبات ارباب البصائر والحميات فلو لم يكن على يقين من دينه و بصيرة من امره لما قذف نفسه في الغمرات وتعرض للمنايا في سائر الاوقات وهذه الكلمة التي ادرجها ذاك الكاتب القدير في شرح النهج وهو يدري ويعلم انها ادعى كلمة واسخف مقالة لا تصح عند اهل السنة احاديث المؤرخين ومن العلوم الساقطة عند حفاظهم لكثرة الكذب فيها ثلاثة علوم التواريخ والتفاسير واحاديث القصاص .

واما الشيعة فلا يقبلون رواية من خالف مذهبهم فكيف يقبلون الحكايات التاريخية ولو جاملنا القادح المخدوع ونزلناها منزلة الرواية فعللها المانعة من قبولها كثيرة الارسال وجهالة الراوي ومصادمة المقطوع به من اخلاص الاشتر وخرق اجماع السنة والشيعة على وثاقته وقتل امام يندم على قتله وتولية امام يندم على توليته من اعظم الفسق التي لا تؤهله للوثاقة عند الفريقين وليست هذه الدسيسة وحيدة من ابناء الجمهور بل لها اخوات وهل بعد الرسالة التي وضعها ابوحيان التوحيدي شك بما نقول وهل بعد وضعهم رضا فاطمة الزهراء باخذ فدك وقول علي « ع » لابي بكر لا نقيلك ريب لمن عقل في كذب هؤلاء .

بماذا يقدح القادح في الأشتر وبماذا يغتر المخدوع والمتحرف ايقول قتل عثمان الخليفة الفعلي وحارب الام والحواري لم تجده هذه المقالة في الأشتر نفعاً لاشتراك الصحابة والتابعين معه جميعا او يقول خالف عليا « ع » واعان اعدائه ذاك لا يقبل لانه صدمة في وجه التواتر فحاص شيطان المكر بايعاز ما رد العصبية فاستخرج هذه بدهائه وجاء بها ترسلا في سلسلة الحوادث

التاريخية كانها ليست من غرائبها فاحتلت عقلية ذلك القادح المغفل احتلالا قويا وكل مغفل يخدع بامثال هذه المخادعة ثم اسلك بنا طريقا آخر ودع الطريق الذي ابتدأناه ولنفرض صدور هذه المقالة ولننظر في مغزاها ونتدقق معناها ونحللها تحليلا حقيقيا يلي ان صحت ولا تصح فقصد الأشتر بها انه لما رأى امير المؤمنين عليه السلام استعمل اولاد العباس خاف عليه الثورة وهيجان الرأي العام الذي ثار بمثله الثوار على عثمان حيث اختص بالتولية قرابته من الامويين وقصر الامارة على رهطه واسرته ودار الشغب والانكار على محوره بسبب تأميرهم حيث اصبح امراء عثمان سفهاء بني امية فثار لذلك رجال الاصلاح واضف الى فسقهم تحاملهم على الاخيار والزهاد فاوجبت تلك الاعمال الثورة العامة على عثمان وكان من اكبر العوامل في الاشاطة بدمة هذا الفعل .

تخاف الاشتر على الحق والخليفة الاحق امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام انهيار بركان الثورة ثانيا لوجود الناقمين عليه الساخطين لامارته والناكثين لبيعته ممن اشربت قلوبهم محبة عثمان واخضعتهم السلطة القاهرة لهم على الانقياد له وقلوبهم تغلي عليه حقداً وتتوقد غيظا وغضبا وتمتلي غشا ونفاقا فهم يودون التشفي منه بكل طريق يحصل لهم به التمكن .

وحيث ان اعمال امير المؤمنين « ع » جارية على السداد لم يدع للعدو موضعا يعيبه به ولا شيئا ينتقده فيه فقد سد عليهم كل الطرق واغلق ابواب النقد باعماله الصالحة كالعبادة والتقوى والزهد والنسك والعدل والمساوات والتواضع والعلم والحلم والسخاء والجهاد والايثار والاحسان الى الرعية والرأفة فيهم وألانه الجانب للفقراء والورع والعفة والترفع عن الاموال الى ما لا احصي فقد تساوت مزاياه وانسقت محاسنه فسد الابواب على الناقمين واطبق فضله افواه الناقدين .

فلم يبق شيء يخافه الاشتر ان يكون سببا لنقد الناقد ومناشطا لسعي الناقم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

غير تولية بني عمه العاص نخاف ان يقوم المشنعون من انصار عثمان في الاندية والمحتشدات في تهييج الشعب واثارته على الشغب والخصام بهذا السبب قائلين ان الذي قتلتم عليه عثمان قد صار فيكم اليوم فربما ادى هذا المقال الى فتنة يكلف اخمادها عناء كثير اوجهداً شاقاً وربما استفحلت فلم يمكن التغلب عليها وعسى ان تجر الى قتل امير المؤمنين « ع » فقال علام قتلنا الشيخ بالامس حكاية حال هؤلاء المتربصين وليس هو تهديد لامير المؤمنين « ع » بل هو تذكير له بحادثة عثمان وان من اسبابها تولية اقاربه ولم يرد ايضا الندم على قتل عثمان انما كان لاحداثه الكثيرة لا لهذه الخصلة الواحدة هذا رأي الأشتر .

وفرق ظاهر بين التوليتين وبون شاسع بين المولين لان عثمان طلب منه المسلمون عزل عماله الفجار وهم من المقوتين الملمومين عند جميع المسلمين لانهم فسقة فجرة شربة خمر وزناة اهل عهر يتجاهرون بمعاصي الله ويتبجحون بها ويرتكبون في سلطان عثمان الجرائر الموبقة والجرائم المهلكة التي لا تحتمل النفوس الاسلامية الصالحة اقل منها ومع ذلك فقد ابى عثمان طلب المسلمين الاستبدال بهم واعرض عن ضجيج الامة منهم وصراخهم من امارة اولئك الولاة الفجرة واهمل امر الامة واوكل تدبير المملكة الى هؤلاء الزعانف الخونة والمردة الفسقة وكلما ازداد اصراراً على مكافئة ولاته ومعاضدة امرائه الفاسقين ازداد هتاف الامة المظلومة به طلبا للخلاص من جور عماله فلما اعيتهم الحيلة فيه ثاروا تلك الثورة التي قضت على حياته وذهب ضحية عمله وقضي ذميما عندهم بقبيح افعاله حتى كان من له مناصحا وعابه الخواص من المتربصين على رقيه ودوام ملكه وهذا بخلاف سيرة امير المؤمنين « ع » في عماله فانه يولي من كان مقبولا عند العامة مرضيا عند الخاصة فاذا بدت منه زلة او بدرت منه بادرة او رأى منه خيانة لم يمهله عن العزل والقصاص والمصادرة واخذ الحق منه والتنكيل به حسب جرم المجترم

وفرق بين علي « ع » وعثمان ان عثمان كان مستضعفا قد علم عماله ذلك واختبروه بذلك مراراً حتى ان احدهم ليقضي الامور دونه ويضع ختمه فيما يريد ويشتهي دون ان يراجعه واذا علم بذلك سكت ولم ينكر واذا سئل قال لا ادري حتى جرى فيه المثل العبد عبدي والختم ختمي ولست ادري

وامير المؤمنين « ع » قد علم عماله وسائر المسلمين ان لا هوادة عنده ولا يحابي أحداً في معصية ولا يدع شريفا حتى يأخذ منه الحق ويقول القوي والضعيف عندي في العدل سواء والضعيف عندي قوي حتى اخذ له الحق والقوي عندي ضعيف حتى اخذ منه الحق فهو لا يعدل عن جادة العدل قلامة ظفر ولا يصده عن التنكيل بالمجرمين صاد .

نعم ليست عنده صرامة عمر بن الخطاب الجبارة ولا شدته وصلابته التي قيل فيها درة عمر اهيب من سيف الحجاج وليس عنده ضعف عثمان فهو على الجادة المعتدلة جادة رسول الله « ص » السمحاء وهديه وسيرته يلين في موضع اللين ويشتد في موضع الشدة فلا يغفر لعماله الهنات ولا يقرلهم على زلة

وحيث ان الاشتر « ره » كان يظن ان تولية الاقارب نفسها سبب الثورة عرفه امير المؤمنين « ع » ان ذلك بنفسه غير مسبب لها واعلمه ان ما يحذر منه لا يقع لامور كان يجهلها الاشتر انه عليه السلام لا يهمل أمر المسلمين فيتركهم طعمة للولاة وماكلة للامراء كما صنع عثمان :

١ — ان بني العباس يعلمون من امير المؤمنين « ع » الشدة في الدين وانه لا هوادة عنده لظالم ولا محاباة لديه مع مرتكب .

٢ — قد عرف بنو العباس من حال علي « ع » انه سريع الانكار لكل ما خالف الشرع وقد كان في خلافة عمر بن الخطاب ابطل كثيراً من احكام عمر وردها فاذعن له عمر واقرها ومدحه بكلام مشهور .

٣ — الفرق العظيم عند المسلمين بين عمال عثمان وعمال علي « ع » ان عمال عثمان بني امية وهم طلقاء ومؤلفة وقد طبعوا على الفسق والفجور وقلم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

عرف ذلك المسلمون منهم واختبروا سيرتهم فجوها وقد نزل القرآن بقسطهم وتواترت السنة بلعنهم ويقو العباس صحابة يوصفون عند المسلمين بصلاح وعفة وورع وهم من ولد عم رسول الله (ص) وقد استسقى بابيهم عمر ابن الخطاب وعبد الله منهم يسمى حبر الامة وعبيدالله من اجود العرب في وقته وقثم يشبه برسول الله (ص) فلا يقاس فيهم الوليد الفاسق وابن ابي سرح مهدور الدم ومروان الوزغ الطريد .

٤ – ان عليا * ع * شديد المراقبة لعماله وينادي كل حين القوي عندي ضعيف حتى اخذ منه الحق فهم منه على حال خوف ووجل ومراقبة علي ع لعمال بمقدار اهاء عثمان لهم ان عثمان رأيه في العامل حيلك على غاربك فارتعى حيث شئت ويعتذر عبدي وخادمي ولست ادري .

٥ – ان سيرة الوالي تابعة لسيرة من ولاه في العادات والاطوار واذا عاث السبع عاثت الثعالب ان عمال عثمان رأوه قد عاث في اموال المسلمين وانشب اظفاره في خزانة بيت المال فمزقه واتلفه في ملاذه ومشتهياته من من شراء الضياع وتشييد القصر والشاهقة المزخرفة المؤثثة بالاثاث القيصري الكسروي وانفق الشطر الاوفر منه بنوع الهدايا والصلاة لجماعة الطلقاء الطردا كآل الحكم ملاحدة بني امية وآل ابي معيط ادعياءهم ووفر على اناس من الصحابة بحرمان من هو خير منهم واعظم نفعا للاسلام واهله فيعطي حسان بن ثابت وزيد بن ثابت ويحرم بن مسعود وعمار بن ياسر مثلا وسيف عمار في الاسلام اثره مشهور وحسان يوم الخندق يقعد مع النساء فيهجم عليهن يهودي وهن في الحصن فتقول صفية بنت عبد المطلب لحسان خذ هذا العمود واقتل هذا اليهودي لئلا يدل علينا غيره فيقول رحمك الله يا بنت عبدالمطلب قد علمت لو كنت استطيع ذلك ما جلست معكن فتنحدر صفية بالعمود الى اليهودي فتهشم رأسه فتقتله فهذا حسان الجبان يعطى ثلاثون الفا ويقطع راتب عمار بن ياسر .

فهذا عثمان وهذا عماله يحرم ابن مسعود وعبدالرحمن بن عوف ويعطي محمد بن مسلمة وزيد بن ثابت والحارث بن الحكم الفاسق وعماله يرون بيت المال اصبح فريسة لعثمان ينشب فيه مخالبه واظفاره .

فهبت منهم زوابع طمع هائلة وعواصف شره شديدة عصفت باموال المسلمين في سائر الاقطار وقد قيل الناس على دين ملوكهم .

فهذا عثمان وهؤلاء عماله سيرتهم سيرته وعملهم عمله .

وعمال امير المؤمنين علي * ع * يرونه يقسم قرص الخبز اليابس قسمة الاموال اسباعا فيضع على كل سبع من اموال المسلمين سبعا من قرص الشعير البالي ويكنس بيت المال بعد تقسيم ما فيه على المسلمين ويصلي فيه ركعتين ويختم على جراب طعامه خوفا ان يزاد فيه ويدخل عليه بعض الاعيان في بيت المال وامامه شمعة تتقد وتحته حصير فيطفي الشمعة ويرفع الحصير ويقول اتوني بشمعة وحصير من البيت وهذا من بيت المال وانا كنت في مصلحة الامة .

فكيف يقدم عماله على امر يخالف سيرته ويثير غضبه عليهم محال في سنة العقل وما دسته اهل السنة من الدعوى الكاذبة ان ابن عباس اختان مال مال البصرة وهرب فامر باطل ارادوا التشنيع على علي * ع * بان عماله كعمال عثمان تخون وتسرق وقد بينا (في كتابنا الميزان الراجح) كذب هذه الدعوى وبطلانها وان ابن عباس ما فارق عليا * ع * وكان عامل الحسن بن علي ع على البصرة وخرج بخروجه الى الحجاز .

فامير المؤمنين * ع * شديد المراقبة لولاته شديد الاخذ لهم حتى فيما يخالف الزهد والعفة النفسية أليس هو الذي وبخ عامله عثمان بن حنيف الانصاري العبد الصالح حيث سمع انه اجاب دعوة وليمة اقيمت في البصرة فدعي اليها ومن كان لا يحتمل من عامله ان يحضر الولائم التي يدعى اليها خوفا ان تكون ذريعة للتهاون والتساهل ببعض الحقوق مع كونها مباحة غير محظورة ولا محرمة . فكيف يتجاسر عامله على ظلم الامة واختيان اموالهم

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ولا يخاف سطوته والاشتر « ره » قد خفيت عليه هذه الامور على فرض صحة النقل وكم يخفى على الفقيه النحرير والفيلسوف المتعمق في النظر مايتفطن له غيره ويستخرجه من عداه .

وهناك دقيقة اخرى وسر اخر في استعمال بني العباس لا يصل اليه علم الاشتر ولا غيره ويختص به امير المؤمنين « ع » لانه من مكنون علم رسول الله وسره الذي اودعه عند امير المؤمنين « ع » وهو ان ذرية العباس بن عبد المطلب سيملكون امر امة محمد « ص » بعد سنين وانهم يسيئون الى ذريته فاراد ان يبر اباهم ليحسنوا الى ذريته اذا ذكروا احسان جدهم الى اجدادهم ومن طالع سيرة بني العباس الخلفاء والم بقصة المأمون في ترشيح الامام الرضا « ع » للخلافه واقامته له في ولاية العهد وقوله ان عليا « ع » احسن الى ولد العباس وما رأينا من كافئه منهم ومن قرء شعر الشعراء في ذم بني العباس يكفر ان النعمة كقول الامير الحمداني .

لا ينكر الخير عبدالله نعمته ابوكم ام عبيد الله ام قثم

تيقن ان امير المؤمنين « ع » في هذا قد غرس غرسا يجتني ثمره بعد حين واني لمالك الاشتر ولغيره من الناس الوقوف على هذه الاسرار الخفية ومعرفة المغيباء فمعنى اعتذاره الى الاشتر اخباره بهذه الامور التي ذكرناها والا فعلي « ع » لا يعتذر من فعل فعله لانه لا يفعل الا ما وافق الشريعة والدين ومحال ان يعتذر من الراجح الشرعي .

فاياك ايها القادح ان تخبط خبط العشواء فتتردى في مهاوي الضلالة العميقة ثم اياك وما يوحيه شيطان الجهل والحماقة الى اولياء العجرفية والغباوة وما ينزغ به ابليس الفاجر في القلوب القاسية الصماء مما تسيخ منه رواسي الحلم الشامخة وتندك له هضبات العقول الراسخة وانهى نفسك عن الخبط في فيافي الجهالة وحذرها من الخلط ولف الحابل والنابل وتقول انا شيخ الجامع وصاحب السواك والسجادة وانت ترد على الله ورسوله وصاحب الوصية

والنص بالامامة في القدح باهل ولايته والمخلصين في محبته (وتبيتون ما لا يرضى من القول) للمؤلف :

ان كنت لا تدري فتلك مصيبة فذاك احرى ان تصيب الطريق
فرب سار سار في مجهل بلا دليل فهوى في المضيق
ومالك الاشتر في نصحه فرد وبالمدح جدير خليق

تم الكتاب والحمد لله اولا واخيرا ونسأله العفو عن زلاتنا والغفران لذنوبنا بحرمة محمد وآله الطاهرين آمين

جدول المواضيع

ص	العنوان
٢	مقدمة المؤلف
٧	كلمة التمهيدية للمؤلف
٩	نسب مالك الاشتر
١٠	اختلاف النسابين في النخع هل هو عدناني ام قحطاني
١٠	اصول النسبة عند العرب اربعة
١١	من نسب النخع الى اياد
١٥	بطون النخع واخذاها ومن انتسب اليهم
١٦	منازل النخع قبل الاسلام
١٧	اقتدار العرب على الوصف
١٨	منازل النخع في الاسلام
١٨	ولادة مالك الاشتر
١٩	نشأة الاشتر
٢٠	كنية الاشتر والقابه
٢٠	سبب تلقيب مالك بالاشتر

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ص	العنوان
٢٣	لقبه كبش العراق والوقت الذي لقب به
٢٤	من تلقب بالكبش من العرب
٢٥ — ٢٦	اشعار صفين تسمية كبش العراق
٢٨	وفاة مالك الاشتر
٢٩	كيفية موت الاشتر
٣٢	نقد المؤلف المقريزي ومن وافقه
٣٥	مرقد الاشتر وموضع قبره
٣٦	بيت الاشتر ومبدأ رياسته
٣٧	عبدالله بن الحارث اخو الاشتر
٣٨	اسحاق بن الاشتر من شهداء الطف على قول
٣٩	السلائل والبيوت العلمية المنتسبة الى ابراهيم بن الاشتر
٤١	صفة الاشتر البدنية والعوران من الاشراف
٤٢	سلاح الاشتر في الحرب ومن يحمل عامرد الحديد
٤٣	الاشتر من رجال السياسة
٤٨	تولية الاشتر القطر المصري
٤٩	ما تضمن كتاب امير المؤمنين «ع» من مدح الاشتر
٥٣ — ٥٥	دهاء الاشتر والدهاة في الاسلام
٥٥	سخاء مالك الاشتر
٥٧	وفاء الاشتر والوفاء من شيم العرب
٥٧	رأفة الاشتر ورقته
٥٨	قصة الاصبغ بن ضرار
٥٩ — ٦١	حلم الاشتر وحديثه مع السوقي
٦٢	علوم الاشتر علم الفقه

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٥٠٤٧
التاريخ ١٥/١١/٢٠٠٧

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com